مسلم بن عقيل عليهما السلام

معركة القصر

السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

اصدار مكتبة الرباب الحسينية

بسم الله الرحمن الرحيم

مسلم بن عقيل عليهما السلام

معركة القصر!

تأليف
السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

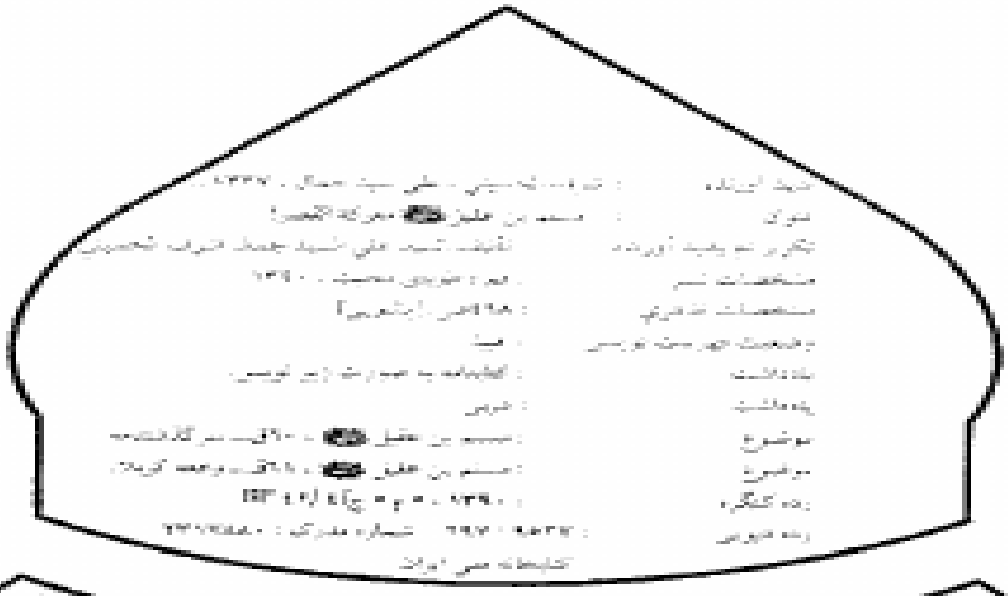

عليهما السلام

مسلم بن عقيل

معركة القصر!

المؤلف : السيد علي السيد جمال اشرف الحسيني

المطبعة : ذاكر

الطبعة : الأولى ١٤٣٣ هـ ق

الكمية : ١٠٠٠ نسخة

مراكز التوزيع:

قم / بولوار ١٥ خرداد

نرع ٧٧ / جنب مسجد امير المؤمنين علي بن ابي طالب/ رقم ٣٠

شارع چهار مردان / فرع ٦ / رقم ١٧٣

.tel ـ ٧٧٤٤٨٢٢ / ٠٩١٢ ٥٨٩ ١٤٧٢

www.ketabashura.blogfa.com

E-Mail: ketabashura@hotmail.com

قم / بولوار سميه/ ١٦ متري عباس آباد / رقم ٧٢

.tel ـ ٧٧٤٠٠٢٢ / ٧٧٣٣٤٨٢

.Art for 1976

E-Mail: tobay-mohebbat@yahoo.com

البريد الإلكتروني للمؤلف : saliashraf@hoemail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

معركة القصر

الحمد لله الذي لا إله إلّا هو الملك الحقّ المبين، المدبّر بلا وزير، ولا خلق من عباده يستشير، الأوّل غير موصوف، والباقي بعد فناء الخلق، العظيم الربوبية، نور السماوات والأرضين وفاطرهما ومبتدعهما، بغير عمد خلقهما، فاستقرّت الأرضون بأوتادها فوق الماء، ثم علا ربّنا في السَّماواتِ الْعُلى الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّرى، فأنا أشهد بأنّك أنت الله، لا رافع لما وضعت، ولا

واضع لما رفعت، ولا معزّ لمن أذللت، ولا مذلّ لمن أعززت، ولا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت[١].

اللَّهُمَّ واجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِك، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتك عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِك وَرَسُولك، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ، وَالدَّامِغِ صَوْلاتِ الأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ، فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِك، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلا وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلامِ، وَنَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ

---

١. بحار الأنوار: ٨٣ / ٣٣٢ باب ٤٥.

الدِّيـــنِ، وَبَـــعِيثُكَ بِـالْحَقِّ، وَرَسُـولُكَ إِلَى الْخَلْقِ[١].

اللّـــهم وضـــاعف صـــلواتك ورحمـــتك وبركاتك على عترة نـبيك العـترة الضـائعة الخائفة المستذلّة، بقية الشجرة الطيّبة الزاكية المباركة، وأعل ـ اللّهم ـ كـلمتهم، وأفـلج حجّتهم، واكشف البلاء واللأواء، وحنادس الأبـاطيل والعـمى عـنهم، وثـبّت قـلوب شيعتهم وحزبك عـلى طـاعتهم وولايـتهم ونصرتهـم وموالاتهـم، وأعـنهم وامـنحهم الصبر على الأذى فيك، واجعل لهـم أيـاماً مشهودة، وأوقاتاً محمودة مسعودة، توشك فـيها فـرجـهم، وتـوجب فـيها تمكـينهم ونصرهم، كما ضمنت لأوليـائك في كـتابك المنزل، فإنّك قلت ـ وقولك الحق ـ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَـمِلُوا الصَّـالِحاتِ

---

١. نهج البلاغة: ١٠١ خ ٧٢.

لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً﴾(١).

والعن اللّهم أوّل ظالم ظلم حقّ محمد وآل محمد، وآخر تابع له على ذلك، اللّهم واهلك من جعل يوم قتل ابن نبيك وخيرتك عيداً، واستهلّ به فرحاً ومرحاً، وخذ آخرهم كما أخذت أوّلهم، وأضعف اللّهم العذاب والتنكيل على ظالمي أهل بيت نبيك، واهلك أشياعهم وقادتهم، وأبر حماتهم وجماعتهم(٢).

وصلّ اللّهم على حبيبي ومالك رقي وسيّدي وإمامي الشهيد السعيد، والسبط الثاني، والإمام الثالث، والمبارك، والتابع

---

١. مصباح المتهجّد: ٧٨٥.
٢. مصباح المتهجّد: ٧٨٥.

لمرضاة الله، المتحقّق بصفات الله، والدليل على ذات الله، أفضل تقاة الله، المشغول ليلاً ونهاراً بطاعة الله، الناصر لأولياء الله، المنتقم من أعداء الله، الإمام المظلوم، الأسير المحروم، الشهيد المرحوم، القتيل المرجوم، الإمام الشهيد، الولي الرشيد، الوصي السديد، الطريد الفريد، البطل الشديد، الطيب الوفي، الإمام الرضي، ذو النسب العلي، المنتفق الملي، أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام.

متبع الأئمة، شافع الأمّة، سيّد شباب أهل الجنّة، وعَبرة كلّ مؤمن ومؤمنة، صاحب المحنة الكبرى، والواقعة العظمى، وعَبرة المؤمنين في دار البلوى، ومن كان بالإمامة أحقّ وأولى، المقتول بكربلاء، ثاني السيّد الحصور يحيى ابن النبي الشهيد زكريا عليه السلام، الحسين بن علي المرتضى عليه السلام.

زين المجتهدين، وسراج المتوكّلين،

مفخر أئمّة المهتدين، وبضعة كبد سيّد المرسلين ﷺ، نور العترة الفاطمية، وسراج الأنساب العلوية، وشرف غرس الأحساب الرضوية، المقتول بأيدي شرّ البريّة، سبط الأسباط، وطالب الثأر يوم الصراط، أكرم العتر، وأجلّ الأسر، وأثمر الشجر، وأزهر البدر، معظّم، مكرّم، موقّر، منظّف مطهّر...

أكبر الخلائق في زمانه في النفس، وأعزّهم في الجنس، أذكاهم في العرف، وأوفاهم في العرف، أطيب العرق، وأجمل الخلق، وأحسن الخلق، قطعة النور، ولقلب النبي ﷺ سرور، المنزّه عن الإفك والزور، وعلى تحمّل المحن والأذى صبور، مع القلب المشروح حسور، مجتبى الملك الغالب، الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام[١].

---

١. المناقب لابن شهرآشوب تحقيق السيّد علي

الذي حمله ميكائيل، وناغاه في المهد جبرائيل، الإمام القتيل، الذي اسمه مكتوب على سرادق عرش الجليل «الحسين مصباح الهدى، وسفينة النجاة»، الشافع في يوم الجزاء، سيدنا ومولانا سيّد الشهداء عليه السلام[١].

الذي ذكره الله في اللوح الأخضر، فقال: .. وجعلت حسيناً خازن وحيي، وأكرمته بالشهادة، وختمت له بالسعادة، فهو أفضل من استشهد، وأرفع الشهداء درجة، جعلت كلمتي التامّة معه، والحجّة البالغة عنده، وبعترته أثيب وأعاقب[٢].

الذي قال فيه جدّه المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وآله: حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً[٣].

← أشرف: ١٠ / ١١٣.

١. معالي السبطين: ٦١.

٢. كمال الدين: ٢ / ٢٩٠ ح ١.

٣. بحار الأنوار: ٤٥ / ٣١٤.

وقال رسول الله ﷺ، وهو الصادق الأمين: إنّ حبّ علي قذف في قلوب المؤمنين، فلا يحبّه إلّا مؤمن، ولا يبغضه إلّا منافق، وإنّ حبّ الحسن والحسين قذف في قلوب المؤمنين والمنافقين والكافرين، فلا ترى لهم ذامّاً[١].

فمن أيّ المخلوقات كان أولئك المردة العتاة، وأبناء البغايا الرخيصات، الذين قاتلوه بغضاً لأبيه، وسبوا الفاطميات، ولم يحفظوا النبي ﷺ في ذراريه.

قال الإمام سيّد الساجدين عليه السلام: .. أيّها الناس، أصبحنا مطرّدين مشرّدين شاسعين عن الأمصار، كأنّا أولاد ترك وكابل، من غير جرم إجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، ﴿إنْ هذا إلّا اخْتِلاقٌ﴾.

---

١. المناقب: ٩ / ٤٧، بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٨١.

فوالله لو أنّ النبي ﷺ تقدّم في قتالنا كما تقدّم اليهم في الوصاية بنا لما إزدادوا على ما فعلوا بنا، فإنّا لله وإنّا اليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها، وأوجعها، وأفجعها، وأكظّها، وأقطعها، وأمرّها، وأفدحها، فعند الله نحتسبه فيما أصابنا، وما بلغ بنا، إنّه عزيز ذو إنتقام[١].

ولكنّ الله لهم بالمرصاد، فإنّ دمه الزاكي الذي سكن في الخلد، واقشعرّت له أظلّة العرش، وبكى له جميع الخلائق، وبكت له السماوات السبع، والأرضون السبع، وما فيهن، وما بينهن، ومن يتقلّب في الجنّة والنار من خلق ربّنا، وما يرى وما لا يرى، سوف لا ولم ولن يسكن، لأنّه قتيل الله وابن قتيله، وثار الله وابن ثاره، ووتر الله الموتور في السماوات والأرض[٢] حتّى «يبعث الله

---

١ ـ بحار الأنوار: ٤٥ / ١٤٧.

٢ ـ انظر: بحار الأنوار: ٩٨ / ١٥١ باب ١٨.

قائماً يفرج عنها الهمّ والكربات».

قال الحسين عليه السلام: يا ولدي، يا علي، والله لا يسكن دمي حتّى يبعث الله المهدي[١].

فذلك قائم آل محمد صلى الله عليه وآله يخرج، فيقتل بدم الحسين عليه السلام بن علي.. وإذا قام ـ قائمنا ـ انتقم لله ولرسوله ولنا أجمعين[٢].

وقد بشّر بذلك رسول ربّ العالمين صلى الله عليه وآله فقال: لمّا أسري بي إلى السماء أوحى إليّ ربّي ـ جلّ جلاله ـ فقال: يا محمد، إنّي اطلعت على الأرض اطلاعة فاخترتك منها، فجعلتك نبيّاً، وشققت لك من اسمي اسماً، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها علياً، وجعلته وصيّك وخليفتك، وزوج ابنتك، وأبا ذريّتك، وشققت له اسماً من أسمائي، فأنا العلي الأعلى، وهو علي، وخلقت فاطمة والحسن

---

١. المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ١٣٤.

٢. بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٧٦.

والحسين من نوركما، ثم عرضت ولايتهم على الملائكة، فمن قبلها كان عندي من المقرّبين.

يا محمد، لو أنّ عبداً عبدني حتّى ينقطع، ويصير كالشنّ البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتهم، ما أسكنته جنّتي، ولا أظللته تحت عرشي.

يا محمد، تحبّ أن تراهم؟

قلت: نعم يا ربّ. فقال عزّ وجلّ: ارفع رأسك، فرفعت رأسي، وإذا أنا بأنوار علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، و«م ح م د» بن الحسن القائم في وسطهم، كأنّه كوكب درّي.

قلت: يا ربّ، ومن هؤلاء؟

قال: هؤلاء الأئمة، وهذا القائم الذي يحلّل

حلالي، ويحرّم حرامي، وبه أنتقم من أعدائي، وهو راحة لأوليائي، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللّات والعزى طريين فيحرقها، فلفتنة الناس ـ يومئذٍ ـ بها أشدّ من فتنة العجل والسامري[١].

وروى عبد الله بن سنان قال: دخلت على سيّدي أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام في يوم عاشوراء، فألفيته كاسف اللّون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يا ابن رسول الله، ممّ بكاؤك؟ لا أبكى الله عينيك.

فقال لي: أو في غفلة أنت؟! أما علمت أنّ الحسين بن علي أصيب في مثل هذا اليوم؟!

فقلت: يا سيّدي، فما قولك في صومه؟

---

١ ـ كمال الدين: ١ / ٢٥٢ باب ٢٣ ح ٢، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٧٩ ح ١٨٥.

فقال لي: صمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله، وانكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعاً في مواليهم، يعزّ على رسول الله صلى الله عليه وآله مصرعهم، ولو كان في الدنيا ـ يومئذٍ ـ حيّاً لكان صلّى الله عليه وآله هو المعزّى بهم.

قال: وبكى أبو عبد الله عليه السلام حتّى اخضلّت لحيته بدموعه..

ثم علّمه آداب يوم عاشوراء، وآداب الزيارة في ذلك اليوم الى أن قال: ثم قل:

اللّهم عذّب الفجرة الذين شاقّوا رسولك، وحاربوا أولياءك، وعبدوا غيرك، واستحلّوا محارمك، والعن القادة والأتباع، ومن كان منهم فخب وأوضع معهم، أو

رضي بفعلهم لعناً كثيراً.

اللّهم وعجّل فرج آل محمد ﷺ، واجعل صلواتك عليه وعليهم، واستنقذهم من أيدي المنافقين المضلّين، والكفرة الجاحدين، وافتح لهم فتحاً يسيراً، وأتح لهم روحاً وفرجاً قريباً، واجعل لهم من لدنك على عدوّك وعدوّهم سلطاناً نصيراً..

اللّهم إنّ كثيراً من الأمّة ناصبت المستحفظين من الأئمة، وكفرت بالكلمة، وعكفت على القادة الظلمة، وهجرت الكتاب والسنّة، وعدلت عن الحبلين اللّذين أمرت بطاعتهما، والتمسّك بهما، فأماتت الحقّ، وجارت عن القصد، ومالأت الأحزاب، وحرّفت الكتاب، وكفرت بالحقّ لمّا جاءها، وتمسّكت بالباطل لمّا اعترضها، وضيّعت حقّك، وأضلّت خلقك، وقتلت أولاد نبيك، وخيرة عبادك، وحملة علمك، وورثة حكمتك ووحيك.

اللّهم فزلزل أقدام أعدائك، وأعداء رسولك، وأهل بيت رسولك.

اللّهم وأخرب ديارهم، وافلل سلاحهم، وخالف بين كلمتهم، وفتّ في أعضادهم، وأوهن كيدهم، واضربهم بسيفك القاطع، وارمهم بحجرك الدامغ، وطمّهم بالبلاء طمّاً، وقمّهم بالعذاب قمّاً، وعذّبهم عذاباً نكراً، وخذهم بالسنين والمثلات التي أهلكت بها أعداءك، إنّك ذو نقمة من المجرمين.

اللّهم إنّ سنّتك ضائعة، وأحكامك معطلة، وعترة نبيك في الأرض هائمة، اللّهم فأعن الحقّ وأهله، واقمع الباطل وأهله، ومنّ علينا بالنجاة، واهدنا إلى الإيمان، وعجّل فرجنا، وانظمه بفرج أوليائك، واجعلهم لنا ودّاً، واجعلنا لهم وفداً[١].

---

١. مصباح المتهجّد: ٧٨٤، بحار الأنوار: ٩٨ / ٣٠٥ باب ٢٤.

والصلاة والسلام على أصحاب الحسين عليه السلام الذين كشف لهم سيّد الشهداء عليه السلام «الغطاء حتّى رأوا منازلهم من الجنّة، فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها، وإلى مكانه من الجنّة[1]»، ووعدهم ربّ العزّة أن يعيد لهم الكرّة على أعدائهم فقال: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ يخاطب بذلك أصحاب الحسين عليه السلام[2].

وصّل يا ربّ صلاة خاصّة نامية زاكية طيبة دائماً على مولاي الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام:

سلام الله العلي العظيم وسلام ملائكته المقرّبين، وأنبيائه المرسلين، وأئمّته المنتجبين، وعباده الصالحين، وجميع

---

١. علل الشرائع: ١/ ٢٢٩ باب ١٦٣ ح ١، بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٩٧ باب ٣٥ ح ١.
٢. تأويل الآيات الظاهرة: ٢٧٢.

الشهداء والصديقين، والزاكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح عليك يا مسلم بن عقيل بن أبي طالب، ورحمة الله وبركاته.

أشهد أنّك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت في الله حقّ جهاده، وقتلت على منهاج المجاهدين في سبيله، حتّى لقيت الله ـ عزّ وجلّ ـ وهو عنك راض.

وأشهد أنّك وفيت بعهد الله، وبذلت نفسك في نصرة حجّته وابن حجّته حتّى أتاك اليقين.

أشهد لك بالتسليم والوفاء والنصيحة لخلف النبي المرسل والسبط المنتجب والدليل العالم والوصي المبلغ والمظلوم المهتضم، فجزاك الله عن رسوله وعن أمير المؤمنين وعن الحسن والحسين أفضل الجزاء بما صبرت واحتسبت وأعنت، فنعم عقبى الدار. لعن الله من قتلك، ولعن الله من أمر

بقتلك، ولعن الله من ظلمك، ولعن الله من افترى عليك، ولعن الله من جهل حقّك واستخفّ بحرمتك، ولعن الله من بايعك وغشّك، وخذلك وأسلمك، ومن آلب عليك ولم يعنك، الحمد لله الذي جعل النار مثواهم وبئس الورد المورود.

أشهد أنّك قد قتلت مظلوماً، وأنّ الله منجز لك ما وعدك... قتل الله أمّة قتلتك بالأيدي والألسن.

صلّى الله عليك أيّها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام، صلّى الله على روحك وبدنك.

أشهد أنّك مضيت على ما مضى به البدريون والمجاهدون في سبيل الله المبالغون في جهاد أعدائه ونصرة أوليائه، فجزاك الله أفضل الجزاء، وأكثر الجزاء، وأوفر جزاء أحد ممّن وفى ببيعته، واستجاب له دعوته، وأطاع ولاة أمره.

أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود حتّى بعثك الله في الشهداء، وجعل روحك مع أرواح السعداء، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً، وأفضلها غرفاً، ورفع ذكرك في العليين، وحشرك مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

أشهد أنّك لم تهن، ولم تنكل، وأنّك قد مضيت على بصيرة من أمرك مقتدياً بالصالحين، ومتّبعاً للنبيين، فجمع الله بيننا وبينك وبين رسوله وأوليائه في منازل المخبتين، فإنّه أرحم الراحمين.

اللّهم ارزقنا زيارة مولانا الغريب الحبيب ما أبقيتنا واحشرنا معه، وعرّف بيننا وبينه وبين رسولك وأوليائك في الجنان.

اللّهم صلّ على محمد وآل محمد، وتوفّنا على الإيمان بك والتصديق برسولك والولاية

لعلي بن أبي طالب ـ صلوات الله عليه ـ والأئمّة من ولده والبراءة من أعدائهم ..[١].

أمّا بعد:

قد تناولنا في دراسات سابقة بعض المفاصل المهمّة في تاريخ حياة مولانا الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام من قبيل: «قصّة شراء والدته»، و«قصّة التطيّر»، و«قصّة معقل»، و«قصّة اغتيال ابن زياد في بيت هاني بن عروة رضوان الله عليه»، و«كونه عليه السلام ثائراً أم سفيراً».

وها نحن نحاول دراسة «معركة القصر» في هذه الرسالة واستكشاف أحداث ذلك اليوم، وربما نوفّق ببركة المولى الغريب لإتمام المسير معه إن شاء الله في الساعات الباقية في الكوفة.

ونحسب أنّ قائلاً يقول: إنّ النتائج التي

---

١. انظر: المزار لابن المشهدي: ١٧٧، بحار الأنوار: ٩٧ / ٤٢٨، زيارة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

خرجت بها البحوث نتائج خطيرة، قد تخالف المشهور، بل المتّفق عليه تاريخياً، فعلى أيّ أساس استندت، ومن أيّ عين انتهلت حتّى بلغت إلى ما بلغت وانتجت ما انتجت؟! وكنت من قبل قد سوّدت وريقات في تحديد المنهج والأسس التي عليها يقوم البحث ويقبل الحدث التاريخي أو يردّ، فأحببت أن أعرضها هنا مختصرة مقتضبة أشبه ما تكون بالعناوين والفهارس منها إلى البحث والتقرير، لتكون في متناول الأخوة، ويعرف من يقرأ هذه البحوث أنّنا لم نناقش بإذن الله وبركة أهل البيت عليهم السلام الأحداث فنثبت أو ننفي أو نتوقّف تشهياً واعتباطاً.

والمفروض أنّ من يقرأ المدخل سيقتنع بالنتائج إذا اقتنع بالمقدّمات والأسس.

ويعلم الله ويشهد سيّد الشهداء عليه السلام والمولى الغريب أنّنا تحرينا الاحتياط وقصدنا خدمة أهل البيت عليهم السلام وعزمنا

الدفاع عن حريمهم وقداستهم، وكلّ ما ينسب إليهم، فإن وفّقنا في ذلك فهو فضلهم ومنّهم وفيضهم وبركاتهم، وإلا فنستغفر الله ونسأله أن يعطينا أجر من أحسن عملاً، إنّه عفو جواد كريم، وهو نعم المولى ونعم النصير، والله من وراء القصد.

السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

١٤٣٣ / ٣ / ٢٠

المدخل

يمكن وضع المعالم والشواخص ورسم الحدود التي يمكن أن تضبط حركتنا على صفحات التاريخ وتجعلنا نقبل أو نردّ أو نتوقّف ونحن واثقون في كلّ حدث يتعلّق بتاريخ أهل البيت عليهم السلام عامّة وسيّد الشهداء خاصّة ومولانا مسلم بن عقيل على الأخصّ.

وهذه الحدود والضوابط ربما تداخلت بعضها ببعض غير أنّنا فصّلناه لتوضيح البيان أكثر، ومنها:

أولاً:
اتّهام النصّ التاريخي

النصّ التاريخي المجرّد عندنا متّهم وقابل للمناقشة حتّى تثبت صحّته بغضّ النظر عن السند.

أمّا البحث السندي فيه فيكون فيه حالات:

الحالة الأولى:

صحّة السند والمتن[1] وفق الموازين المقرّرة التي ستأتي في ثنايا هذا المدخل، فيكون السند قرينة وشاهداً على الصحّة ومقوّياً لها.

---

١. نقصد بالسند والمتن هنا السند والمتن التاريخي، ولا نقصد بها أسانيد الحديث الشريف، والروايات الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فإنّ لهذه الأسانيد والمتون بحوث وموازين خاصّة بها عند الفقهاء وعلماء الدراية، ولنا فيها كلام يختلف تماماً عمّا نذكره هنا.

الحالة الثانية:

أن يكون السند التاريخي صحيحاً باعتبارات المؤرّخين والمتن فاسداً وفق الموازين المقرّرة، فلا قيمة للسند ولا المتن.

الحالة الثالثة:

أن يصحّ المتن ويضعف السند فلا قدرة للسند حينئذٍ على إسقاط المتن لتصحيحه وفق الموازين وموافقته لها، وغاية ما يفيد ضعف السند تشكيل ثغرة يمكن لمن أراد التشكيك أن يستند إليها.

الحالة الرابعة:

أن يكون السند والمتن فاسداً فيكون فساد السند قرينة وشاهداً على فساد المتن.

ثانياً:

ارتكاز المؤرّخ على بنائه العقلي

إنّ المؤرخ مهما كان لابد أن يكون مرتكزاً

إلى سوابقه ومرتكزاته وبنائه العقلي والعقائدي والنفسي وغيرها من المؤثرات في إدراك الحدث وفهمه وتقييمه وطريقة صياغته، سواء كانت مرتكزاته اعتقادية أو تربوية أو نفسية أو بدوافع الأهواء والطمع بما عند السلطان أو غيره.

ولا نتصوّر ما يسمّونه بالموضوعية والتجرّد في طريقة صياغة الحدث عند غير المعصوم، ولو وجد فهو أندر من النادر، بل ربما لا يكون أبداً، فكلّ من يشهد حدثاً ويرويه فهو يشهده ويرويه بمنظاره الخاصّ ووفق موازينه ومدركاته ومرتكزاته ومستوى فهمه.

ويحقّ لمن يقرأ الحدث ويريد أن يصوغه بطريقته الخاصة البحث والتأمّل لاكتشاف مرتكزات الراوي، ثم مناقشته وفق مرتكزاته العقائدية التي يعتقدها حقّاً، ثم يصوّره ويصوغه من جديد، أو يتوقّف فيه

أو يرفضه ويردّه، بناءاً على موافقته أو مخالفته لمعتقداته ومرتكزاته.

ثالثاً:

أخذ ما وافق الشروط المقرّرة

المؤرخ وإن كان متّهماً فيما يرويه لاختلاف المرتكزات أو اتهامه بالكتابة للسلطان الجائر على الأقل، فإنّه وراويه لا يعدّ كاذباً مطلقاً، كما لا يفترض فيه العصمة، فربما نقل لنا خبراً وحدّثنا حديثاً يخلط فيه الواقع بما يحقّق رضا السلطان وأغراضه أو يوافق معتقدات المؤرخ وأهوائه، والحسم في التمييز العرض على الثوابت المقرّرة، فما احتواه الخبر ممّا يوافقها فهو مقبول، وما خالفها فهو متوقّف فيه أو مردود.

وبناءاً على هذا ربما يكون في الخبر الواحد ما يردّ وما يقبل وفق الموازين المقرّرة لا اعتباطاً وتشهياً وتحكيماً للهوى.

رابعاً:
طرح ما خالف الأصول الاعتقادية

تعدّ المتبنّيات العقائدية والأصول الموضوعة في العقيدة كبديهيات ترجع إليها كلّ علوم الدين وما يتعلّق بتاريخ الإسلام وشريعته ...

فإذا ورد أيّ حدث يخالف صراحة ما نعتقده من ضروريات المذهب الحقّ، ويكون غير قابل للتأويل بما ينسجم معها، فهو مطروح:

مثاله ما يرويه معاوية من اختلاف وهجران بين أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام في شؤون الدنيا، وأنّ معاوية أصلح بينهما. فهذا الخبر مرفوض مردود نضرب به عرض الجدار بقوّة ولا كرامة، لتعارضه مع اعتقادنا الضروري بعصمتها، وبحاجة الخلق إليها.

وعدم احتياجها إلى أحد ...

خامساً:

أن لا يخالف التاريخ حديث أهل البيت عليهم السلام

يشترط في الخبر التاريخي أن لا يخالف الحديث الشريف المروي عن أهل بيت العصمة عليهم السلام، فإنّ الحديث المروي عنهم بطرقنا ـ بغضّ النظر عن كونه نصّاً معصوماً وما يترتّب على ذلك ـ فإنّه يبقى في أقلّ التقادير نصّاً تاريخياً ينتسب إلى المعصوم عليه السلام، فإذا تعارض المؤرخ كابن سعد والطبري والبلاذري وغيرهم مع ما يرويه الكليني والبرقي والصدوق وغيرهم عنهم عليهم السلام، فإنّنا نقدّم ما يرويه أعلامنا، ضمن الأصول المقرّرة.

سادساً:

أن لا يخالف المسلّمات القطعية

يشترط في النصّ التاريخي أن لا يخالف مرتكزاتنا القطعية بالأشخاص والوقائع. فلو روى لنا التاريخ ما يفيد ـ ولو إشارة ـ جبن أحد الأولياء أو فراره من الزحف غير متحيّز إلى فئة أو ارتكابه ما لا يليق بالمؤمن سيما إذا كان الخبر غير قابل للتأويل بما يناسب شخصية ذلك الولي.

أو يروي لنا التاريخ ما يخالف المسلّم التاريخي الثابت عن أهل البيت عليهم السلام كتقييم شخص أو رضاهم عنه أو سخطهم عليه.

فمثلاً ثبت لنا تاريخياً تقييم سيّد الشهداء عليه السلام لمولانا مسلم بن عقيل عليه السلام وأنّه ثقته ومعتمده وشهد له بالفضل، فكلّ ما سال به لعاب القلم التاريخي ممّا يخالف هذا التقييم والشهادة فهو مرفوض مردود.

ومثال آخر: فإنّ معرفتنا القطعية بشجاعة مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام وإقدامه وشهامته ووفاءه وبطولته وثباته واستقامته وغيرها من محامد الأخلاق ومعاليها، وجميل الصفات وساميها، فإذا ورد في التاريخ ما يدعو للريب فيها أو الطعن أو محاولة إثبات خلاف ذلك من غير إمكان التأويل في تعبير المؤلّف، فهو مرفوض مردود إلى نحر قائله من دون خوف ولا تردّد، فالقداسة والحصانة ثابتة لأولياء الله، والتجاسر عليهم أو رميهم بما لا يليق بهم عاقبته في غاية الخطورة، ولا يأمن العقاب عليه، والحال أنّ المؤرخ لم تثبت له قداسة ولا حصانة، فهو عار عنها خال منها حتّى نتبيّن ذلك فيه.

ومثال على الوقائع: ثبت تاريخياً وشرعياً أنّ سيّد الشهداء الحسين عليه السلام استشهد يوم العاشر من المحرم الحرام، فإيّ نصّ تاريخي

خالف هذا المسلّم التاريخي لا قيمة له ولا يصحّ الاعتماد عليه والاستدلال به.

سابعاً:

أن لا يكون دفاعاً عن الظالم

أن لا يكون في كلام المؤرّخ ما يكون دفاعاً عن ظلم الظالم، وتبريراً لمواقف السلطان الجائر الحاكم، وطمساً لمظلومية المظلوم، وتصويراً للحدث بما يخدم صاحب البلاط والأجير والمأجور.

ففي مثل هذه الحالات نتريث، ثم نجمع الشواهد، وندرس القرائن، ونحلّل المواقف، فربما كان أصل الحدث قد حصل وفعله السلطان غير أنّه كان موقفاً يراد له أن يسجّل في التاريخ لتحقيق الأغراض المنشودة، فحينئذٍ قد نقبل صدور الحدث بشرط أن يكون ضمن بيان دوافعه بحيث لا يشكّل تزكية للظالم أو إثباتاً لفضيلة له هو

عار عنها ممنوع منها.

وكذا إذا حدّثنا التاريخ بما يثبت منقبة لعدوّ الله في موقف يثبت فيه ما لا يليق أو يضدّ تلك المنقبة لولي أهل البيت عليهم السلام.

ثامناً:

أن لا يخالف إجماع الشيعة

أن لا يخالف بديهة من بديهيات الشيعة والمجمع عليه بينهم وما اتفقوا عليه بشرط أن يكون المشهور المتّفق عليه في الأعصار والأمصار غير معتمد على نصّ تاريخي معروف، وهو ما قد يطلق عليه بسيرة المتشرعة، كأن يشتهر عندهم عن طريق التناقل بالصدور كابراً عن كابر، أو استناداً إلى ما روي عندهم عن طريق أهل البيت عليهم السلام وإن كان بالموازين الفنية التخصصية يسمّى ضعيفاً.

فإذا كان إجماعهم واتفاقهم مستنداً إلى

نصّ تاريخي لمؤرّخ معروف، فقيمته قيمة ذلك النصّ التاريخي مضافاً إليه قيمة جديدة تسنده وتجعله أقوى نسبتاً من النصوص الأخرى، وهي قيمة استناد الشيعة إليه.

فقد وردت الأخبار في التاريخ تقرّر أنّ المباشر لقتل سيّد الشهداء عليه السلام هو سنان ابن أنس، كما وردت أخبار تقرّر أنّه شمر بن ذي الجوشن، فاشتهار الثاني عند الشيعة إن كان ناشئاً من الاعتماد على الأخبار الواردة في ذلك فحسب، تكون الشهرة بينهم مرجّحاً قوياً.

أمّا إذا كان النصّ المعتضد بالمشهور عند الشيعة يلزم منه إحدى المحاذير السابقة، ويؤدّي إلى اختارق الحدود المرسومة، فحكمه تماماً حكم أيّ نصّ تاريخي آخر، حيث يكون معرّضاً للنقاش، ومحلاً للردّ والقبول، وخبراً قابلاً للتصديق والتكذيب.

تاسعاً:

استكشاف بعض الأحداث من الوقائع

يمكن لمن قرأ التاريخ بتأمّل أن يجمع عدّة أحداث يرويها المؤرّخون متفرّقة ضمن عرض صورة واحدة، فيجعلها مقدّمات لاستخلاص نتيجة تكون قوّتها بقوّة مقدّماتها.

فإذا كانت الأحداث متّفق عليها وعلى نسبة عالية من القوّة على صفحات كتب المؤرّخين تكتسب النتيجة نفس القوّة والمتانة بالرغم من عدم ذكر المؤرّخ لها.

فربما أخفاها المؤرّخ عامداً قاصداً لتحقيق غرض ما، أو غفل عنها دون قصد، أو أعرض عنها اختصاراً وما شاكل.

مثل:

المقدّمة الأولى:

روى المؤرخون أنّ سيّد الشهداء عليه السلام جعل فسطاطاً في مقدّمة مخيّمه وجعله للشهداء.

المقدّمة الثانية:

روى المؤرّخون أنّ سيّد الشهداء عليه السلام كان ينقل الشهداء، سيّما الشهداء من آل البيت عليهم السلام إلى ذلك الفسطاط.

المقدّمة الثالثة:

إنّ الشهداء كانوا يحملون إلى المخيم ورؤوسهم على أبدانهم، ولم يستشهد بقطع الرأس منهم إلّا أفراد معدودين، وربما كانوا خمسة لا أكثر.

المقدّمة الرابعة:

إنّ ابن سعد ـ لعنه الله ـ أمر بقطف الرؤوس صباح اليوم الحادي عشر ليجهّزها ويرفعها على الرماح.

النتيجة:

إنّ القوم هجموا على مخيم الحسين عليه السلام بعد صدور أمر اللعين، وجعلوا يقطعون رؤوس الشهداء على مرأى من العلويات والنساء، فيجلس اللعين على صدر علي الأكبر أو القاسم بن الحسن وو.. ويعمل خنجره أو سيفه أو سكينه بعنف في عنق الشهيد حتّى يجتزّ رأسه، وأمّه وباقي العلويات وقوف ينظرن إلى هذا المشهد المروّع الذي يزيل الجبال عن مستقرّها، ويصدع الفؤاد ويزهق النفس ويستلّ الروح استلالاً...

يا لها من مصيبة ما أعظمها! غير أنها لم يذكرها أيّ واحد من المؤرّخين ـ حسب فحصنا ـ، فهذا الحدث العظيم الجسيم مستنتج من تلك المقدّمات، وليس لأحد أن يعتبره لسان حال، أو خيال، وإنما هو واقع أدّت إليه الوقائع وأثبتته المقدّمات.

عاشراً:

تفصيل المختصر

ربما اختصر المؤرّخ حدثاً كاملاً أو أحداثاً في عبارة لأيّ غرض من أغراضه، وحينئذٍ يمكن فكّها والاستفادة منها، ونثر ما في بطنها، ليخرج منها أحياناً عسكر كامل، أو حرب بكلّ تفاصيلها، وسيأتي في ثنايا الكتاب مثل لذلك[١].

الحادي عشر:

فكّ رموز كلام أهل البيت عليهم السلام

يلاحظ أنّ أهل البيت عليهم السلام عوّدونا على التعبير عن الأحداث التاريخية بعبارات مختصرة جدّاً، أو أشاروا إليها بأسلوب التشفير والترميز، أو دمج الأحداث الضخمة

---

١. انظر: تقسيمات قطعات عسكر ابن زياد.

الكبيرة وضغطها في رموز وألفاظ جزلة قويّة عميقة لا تتعدّى الجملة المكوّنة من ثلاث أو أربع كلمات، بل قد تكون كلمة أو كلمتين، بيد أنّها تحكي حدثاً يستوعب صفحات كثيرة إذا ما فكّت الرموز، وذلك للتقيّة أو لأسباب أخرى:

كقولهم: «سبينا سبي ترك وكابل»، أو «سبينا كما يسبى الديلم».

أو قولهم: «ذبح جدّي الحسين عليه السلام كما يذبح الكبش».

أو قول الرضا عليه السلام: «يوم عاشوراء أذلّ عزيزنا»...

أو خطب الصديقة الصغرى عليها السلام، وخطب سيّد الساجدين عليه السلام، وخطب الإمام سيّد الشهداء عليه السلام وهكذا..

الثاني عشر:
ملاحظة تفرّق الحدث

يلاحظ تفرّق الحدث عند المؤرّخ أحياناً كثيرة، فهو يستعرض حركة مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام مثلاً من مكة إلى الكوفة ضمن عرضه لحركة قيام سيّد الشهداء عليه السلام، فيذكر انطلاقه من مكة وهو يتحدّث عن أيام إقامة سيّد الشهداء عليه السلام في مكة، ثم يغيّب المشهد أحداث حركة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ويستمر في الحديث عن قيام سيّد الشهداء عليه السلام وغيره من الأحداث، ثم يعود للحديث عن المولى، ممّا يؤدي إلى تشتّت الذهن وفتح المجال لتسريب الأكاذيب أو التلاعب بالحدث.

الثالث عشر:
الاستناد إلى غير المصادر العربية

للدارس أو الباحث والمحقّق أن ينفلت من طوق الاقتصار على المصادر العربية للوصول إلى الأحداث والوقائع أو الحقائق التاريخية، فإنّ لكلّ أمّة طريقها إلى التاريخ، وربما سجّلت بطرقها أحداثاً لم تكن في مرمى النظر للراوي الذي يعتمده المؤرّخ الكاتب بالعربية، أو أنّه رصد ما لم يهتم به الراوي الآخر، أو لم يلتفت إليه، فما رواه المؤرّخ البريطاني وسجّله من «مطر السماء دماً في بريطانيا يوم عاشوراء» لا يمكن للمؤرّخ الذي يعيش بالجزيرة أو العراق أن يسجّله في نفس يوم عاشوراء من تلك السنة، لأنّه خارج عن مرمى نظره ونظر راويه ....

فلماذا لا نعتمد أو على الأقلّ نستشهد

بالمصادر الفارسية والتركية والأردوية، بل حتّى الإنجليزية والفرنسية وغيرها من اللغات والأمم.

قال الشيخ المحقّق عبد الواحد المظفر في كتابه بطل العلقمي:

«وكأنّي أسمع بعض القرّاء لكتابنا هذا من منتحلي الثقافة ومدّعي التنوير، وزمرة من التجدّديين الذين لا يريدون إثبات فضيلة لأهل هذا البيت النبويّ المفخّم، وفئة من المتفقّهين بلا معرفة وتمييز، وهناك فئام يضرعون لأوهام وخيالات يسمّونها بالعقول، والعقول بريئة من كلّ فكر سطحيّ وخيال وهميّ، سيقولون إذا مرّوا بهذه الحكايات: كيف اعتمد مؤلّف كتاب "بطل العلقميّ" في نقل هذه الحكايات على الكتب الفارسيّة والتواريخ الأعجميّة ومؤلّفوها يتمسّكون بالواهيّات ويعتمدون المراسيل...، ولو شهد العبّاس بن عليّ عليه السلام

صفّين وكان في صفّ المحاربين لذكره المؤرّخون أساتذة فنّ التاريخ كالطبريّ والجزريّ والمسعوديّ وأضرابهم؟!

فيظنّ من لا معرفة له ولا إلمام بحقائق الأشياء أنّ هذه المقالة مبتنية على أساس محكم وبناء مرصّف في ركن وثيق، وهي لدى التحقيق على جرف منهار قد جرفه السيل، وعلى رأس منار متداعي الأركان قد زعزعته العواصف وهدّته القواصف.

المؤرّخون الذين لهم شهرة لم يضبطوا كلّ حادثة، ولم يقفوا على كلّ قضيّة من القضايا التاريخيّة، فبعض الوقائع قد وصل إليهم نبؤه وبعضها لم يصل، والذي لم يصلهم أكثر ممّا وصل إليهم، وقد فات الطبريّ ما استدركه عليه الجزريّ، وذكر المسعوديّ مالم يذكره اليعقوبيّ، وهكذا، فما وصل إليهم فقد ذكروه، وما لم يصل إليهم لم يبق في طيّ الخفاء المظلم، بل برقت بارقة من ذلك العلم

فأضاء لطالبيه وأسفر لرائديه، فاقتضبوا منه شارده، وأحتبلوا قنيصه، فكان كالمستدرك على من فاته العلم به.

وقد استدرك الحاكم النيسابوريّ على صحيحي! مسلم والبخاريّ من الأحاديث الصحيحة على شرطهما ما ساوى حجم الكتابين معاً، والصحاح! الباقية الأربعة أو الثمانية بناء على جعل الصحاح! عشرة عندهم كالاستدراك أيضاً على الصحيحين هذا من ناحية أهل السنّة والجماعة.

وأمّا من ناحية أهل التشيّع فقد استدرك الميرزا النوريّ على وسائل الشيعة للحرّ العامليّ ما ساوى حجمها.

فليكن ما رواه هؤلاء العلماء من الأعاجم كالمستدرك على التواريخ المشهورة، وليست بأقلّ من متفرّدات الأغاني لأبي الفرج»[1] ....

---

١ ـ بطل العلقمي للمظفّر: ٢ / ٢٤٠.

النتيجة

تبيّن ممّا مرّ: أنّ التزّ والشاقول الذي يقاس إليه التاريخ فيردّ إليه الزائد ويلحق به الناقص، والميزان الذي على أساسه يقوّم الحدث التاريخي المروي إنّما هو:

١. كتاب الله.

٢. سنّة النبي ﷺ والأئمّة المعصومين عليهم السلام.

٣. الاعتقادات الضرورية الحقّة.

٤. المرتكزات الموافقة للحقّ.

فما وافق كلام أهل البيت عليهم السلام أو لم يخالفه قبلناه (ومنه تتألّف منظومة العقائد والمسلّمات والمرتكزات الحقّة).

وما خالف ذلك فهو ساقط لا يعتمد عليه ولا يعتدّ به، ولا يستدلّ له.

المقدّمة

سجّل لنا التاريخ يوماً من أيام المولى ثقة الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة، نادى فيه البطل الهاشمي بشعاره «يا منصور»، وانطلق بمن أجابه إلى قصر الطاغية القزم فحاصره! ثم جرت أحداث سنأتي على ذكرها إن شاء الله تعالى....

وسنحاول ـ ما استطعنا ـ استكشاف أحداث ذلك اليوم ودراستها باختصار.

دواعي النداء بالشعار

ينبغي أوّلاً أن نتعرّف إلى الأسباب والدوافع التي أدّت إلى رفع هذا الشعار وانطلاق حفيد أبي طالب عليه السلام نحو القصر..

ومعرفة الأسباب والدوافع لها دور أساس في فتح الآفاق لتحليل المواقف ودراسة الخطوات المتّخذة، وتقدير النتائج، وتحديد ما إذا كان النداء بالشعار قد حقّق أغراضه، أو أخفق في تحقيق أيّ غرض.

فربما كانت واحدة أو أكثر من الأسباب والدواعي الآتية:

الداعي الأوّل:
اعتقال هاني وغيره

اتّفقت المصادر التي روت أحداث القصر على توقيت الانطلاق نحو القصر، وأنّه كان بعد اعتقال ناصر سفير الحسين عليه السلام هاني بن عروة، والذي يفاد من عبارات المؤرّخين أنّ تلك الحركة إنما كانت بعد موقف مذحج ووصول خبر تعرّض حياة هاني بن عروة للخطر في القصر.

فقد روى البلاذري في أنساب الأشراف: ما جرى على هاني من تعذيب واعتداء وحبس ثم قال:

«.. وأتى مسلماً خبر هانئ فأمر أن ينادى في أصحابه ....»[1].

---

١ ـ أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩): ٢ / ٣٣٨.

ومن الواضح أنّ المراد من وصول خبر هاني إلى مسلم عليه السلام هو قصد قتله والاعتداء عليه بالضرب، وإلّا فأصل الاعتقال وذهاب هاني إلى القصر كان بمحضر مسلم عليه السلام لأنّه كان في بيت هاني حسب الفرض.

وقد صرّح الطبري[١] بذلك، وأبو الفرج في مقاتل الطالبيين[٢]، والشيخ المفيد في الإرشاد[٣] في روايته عن أبي مخنف قال: حدّثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن خازم، قال:

أنا ـ والله ـ رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هانئ، قال:

فلمّا ضرب وحبس ركبت فرسي وكنت أوّل أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل

---

١ ـ تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨.

٢ ـ مقاتل الطالبيين: ١٠٣.

٣ ـ الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ / ٥٩ ـ ٦١.

بالخبر، وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عترتاه! يا ثكلاه! فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه ....

وقال المسعودي (ت ٣٤٦) في مروج الذهب: ... ولمّا بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانئ، أمر منادياً فنادى «يا منصور» وكانت شعارهم[١]..

وقال ابن الجوزي (ت ٥٩٧) في المنتظم:

... قال: ائتني به، قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، فضربه على حاجبه فشجّه، ثم حبسه فنادى مسلم أصحابه[٢]...

وقال آخرون أنّ خبر مقتل هاني وصل إلى مسلم بن عقيل عليه السلام فنادى بالشعار.

---

١. مروج الذهب للمسعودي: ٨ / ٥٨.

٢. المنتظم لابن الجوزي: ٥ / ٣٢٦.

وقد صرح بذلك الدينوري في الأخبار الطوال (ت ٢٨٢):

قال: ولمّا بلغ مسلم بن عقيل قتل هانئ بن عروه نادى فيمن كان بايعه، فاجتمعوا[١]...

وروى الطبري أيضاً: عن الحصين:... وأمر فكتف ـ أي هاني ـ ثم ضرب عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير[٢]....

الداعي الثاني:
موقف مذحج

أفادت جملة من العبارات الواردة في الأخبار أن تخاذل مذحج وانصرافها عن نصرة هاني والثبات على المطالبة به كانت هي السبب في رفع الشعار والانطلاق نحو

١. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٤٠ ـ ٢٣٨.
٢. تاريخ الطبري: ٣ / ٣٧٣.

القصر، وكأنّ هؤلاء القوم الذين دعوا لمحاصرة القصر سيقومون بدور عشيرة هاني المتخاذلة.

ومن الواضح أنّ مذحج لم تخرج إلى القصر وتحيط به بقصد استئصال نظام الحكم القائم وقطع ذنب القرد الأموي، وإنما خرجت تطالب بهاني وتريد المنع من قتله ليس إلّا، ويدلّ على ذلك رجوعهم بمجرّد أنهم أخبروا ـ ولو كذباً ـ بأنّه سالم ولم يقتل[1] ....

---

١ ـ ربما يقال: إنّ هذه الطائفة من روايات المؤرّخين تفيد السبب الأوّل خاصّة أو السبب الأوّل والثاني معاً، ولا ضرر في ذلك فإنّنا نريد بيان سبب نداء مسلم بن عقيل عليه السلام بشعاره، فلتؤيّد هذه النصوص أيّ سبب من الأسباب التي ذكرناها، ولكنّها على كلّ تقدير تتّفق على نحو «الإجماع المركّب» على نفي «قصد الثورة» بالمعنى الاصطلاحي الذي يستهدف إسقاط النظام الحاكم والاستيلاء على السلطة بغرض إدارة دفة الحكم وما يستتبع ذلك ويستلزم منه.. وللتفصيل راجع: «مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير» للمؤلّف.

فقد روى الطبري في تاريخه خبر عمار الدهني في حديث طويل قال:

... فخرج شريح حتّى قام على باب القصر، فقال: لا بأس عليه، إنما حبسه الأمير ليسائله، فقالوا: صدق، ليس على صاحبكم بأس، فتفرّقوا، فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره[١]..

وقال ابن شهرآشوب (ت ٥٨٨) في المناقب[٢]:

... وبلغ ذلك مذحجاً فأقبلت إلى القصر، فأمر ابن زياد شريحاً القاضي أن يخرج إليهم ويعلمهم أنّه حيّ سالم، فخرج إليهم وصرفهم ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل..

وقال السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤) في اللهوف[٣]:

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.
٢. المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ٣١٧.
٣. اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٤٧.

... فأمر شريحاً القاضي أن يدخل على هاني فيشاهده ويخبر قومه بسلامته من القتل، ففعل ذلك وأخبرهم فرضوا بقوله وانصرفوا.

قال: وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل فخرج بمن بايعه ...

وقال مسكويه في تجارب الأمم (ت ٤٢١):

فخرج إليهم شريح، فأعلمهم أنّه رآه وهو حيّ سالم، وإنّما عاتبه كما يعاتب الأمير رعيّته، فانصرفوا.

وبعث مسلم بن عقيل من يأتيه بالخبر، فأتوه بالخبر على وجهه، وأمر أن ينادى بشعاره[1] ...

وقال ابن الأثير في الكامل:

فقال عمرو وأصحابه: فأمّا إذ لم يقتل

---

١. تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٨.

فالحمد لله! ثمّ انصرفوا، وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى في أصحابه: يا منصور أمت! وكان شعارهم[١]...

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

... فتفرّقوا ـ أي مذحج ـ إلى منازلهم، وسمع مسلم بن عقيل الخبر فركب ونادى بشعاره «يا منصور أمت»[٢]..

هذه النصوص التاريخية تكاد تكون صريحة بترتب النداء على خذلان مذحج سيما إذا التفتنا إلى التفريع بالفاء وصدور الأمر بالنداء بعد وصول خبر مذحج مباشرة.

---

١. الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٠.

٢. البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤.

الداعي الثالث:
الدفاع عن النفس

مسلم عليه السلام هو الطلبة الأولى لابن زياد

لم يكن حفيد أبي طالب عليه السلام ـ الذي لو ولد العرب كلّهم لكانوا شجعاناً ـ، وصهر وابن أخي أمير المؤمنين عليه السلام أشجع العالمين، وأخو سيّدي شباب أهل الجنّة الحسين والحسين عليهما السلام والبطل الهاشمي مسلم بن عقيل عليه السلام بالذي يعطي بيده إعطاء الذليل أو يقرّ قرار العبيد.

وهو العالم العارف بالكوفة وأهلها وبالدعي ابن الدعي والجرو الأموي ابن زياد الذي دخل الكوفة بمهمّة محوّلة له من قبل القرد الأموي يزيد تنصّ على طلب مسلم بن عقيل، فقد روى الدينوري في الأخبار الطوال قال:

فكتب مسلم بن سعيد الحضرمي وعمارة بن عقبة وكانا عيني يزيد بن معاوية إلى يزيد يعلمانه قدوم مسلم بن عقيل الكوفة داعياً للحسين بن علي، وأنّه قد أفسد قلوب أهلها عليه، فإن يكن لك في سلطانك حاجة فبادر إليه من يقوم بأمرك، ويعمل مثل عملك في عدوّك، فإنّ النعمان رجل ضعيف أو متضاعف، والسلام.

فلمّا ورد الكتاب على يزيد أمر بعهد، فكتب لعبيد الله بن زياد على الكوفة، وأمره أن يبادر إلى الكوفة، فيطلب مسلم بن عقيل طلب الخرزة حتّى يظفر به، فيقتله، أو ينفيه..

ودفع الكتاب إلى مسلم بن عمرو الباهلي، وأمره بإغذاذ السير. فسار مسلم حتّى وافى البصرة، وأوصل الكتاب إلى عبيد الله بن زياد[1].

---

١ ـ الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١.

وروى ابن حجر في الإصابة قال:

فكتب الرجل بذلك إلى يزيد، فدعا يزيد مولى له يقال له «سرجون» فاستشاره، فقال له: ليس للكوفة إلّا عبيد الله بن زياد، وكان يزيد ساخطاً على عبيد الله، وكان همّ بعزله عن البصرة، فكتب إليه برضاه عنه، وأنّه أضاف إليه الكوفة، وأمره أن يطلب مسلم بن عقيل، فإن ظفر به قتله[١].

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد: إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل فإن قدرت عليه فاقتله أو انفه[٢]...

وقد اعتقل هاني بن عروة الذي كان يعدّ درعاً ورداءً وحصناً منيعاً وركناً ركيناً للدفاع عن مسلم بن عقيل عليه السلام، وخذلته عشيرته التي كان يحسب عليها هاني

١. الإصابة: ٢ / ٧٠.

٢. البداية والنهاية: ٨ / ١٥٣.

ويحسب لها ابن زياد..

فـــقتضى الحـــال أن يســـتعدّ مســـلم بـــن عقيل عليه السلام للدفاع عـــن نـــفسه وعـــن البـــقية الباقية معه من الموعودين بـــالفتح، ليـــتسنّى لهم اللحاق بركب الشهادة.

الهجوم على مسلم بن عقيل عليه السلام

إضافة إلى مـــا مـــرّ آنـــفاً مـــن مـــقتضيات الأحداث، وأنّه الطلبة الأولى للقرد الأموي وذنبه، فإنّ ثمة مؤشرات تـــاريخية واضـــحة وصريحة تؤكّد أنّ الدعي ابـــن الدعـــي قـــد أرسل في طلب مسلم بن عقيل عليه السلام لقتله أو أسره، فوثب البـــطل الهـــاشمي للـــذبّ عـــن حريمه والدفاع عن نفسه.

قـــال ابـــن قـــتيبة (ت ٢٧٦) في الإمـــامة والسياسة:

.. فضرب بها وجهه (أي وجه هاني) حتّى كسرها، ثم قدّمه فضرب عنقه.

قال: وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل[١]...

وقال اليعقوبي (ت ٢٩٢) في تاريخه:

ووجه ـ أي ابن زياد ـ بالشرط يطلبون مسلماً وخرج وأصحابه[٢]..

رواية شاذّة

لا يلتفت إلى ما رواه المقدسي (ت ٥٠٧) في البدء والتاريخ حيث قال:

... فأرسل الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليأخذ البيعة من أهلها، فجاء حتّى نزل على هانئ بن عروة واجتمع إليه خلق كثير من الشيعة يبايعون الحسين، وخرج الحسين بأهله وولده وبلغ الخبر عبيد الله بن زياد عليه اللعنة وهو باليصرة فهمّ إلى الكوفة، فسار إليه الشيعة وقاتلوه حتّى

---

١. الإمامة والسياسة: ٢ / ٩.

٢. تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٢٤٣.

دخل قصره وأغلق بابه.

فلمّا كان عند المساء وتفرّق الناس عن المسلم بن عقيل بعث عبيد الله بن زياد خيلاً في خفية، فقبضوا على مسلم وعلى هانئ، ورفعوا مسلماً بين شرف القصر وقتل أدنى من العضادة ثم ضربوا عنقه[١]..

فهي رواية شاذة غريبة ومختصرة مريبة، يغني مجرد قراءتها عن مناقشتها وكشف العوار فيها.

غير أنّها تنفع هنا للإشارة إلى أنّ ابن زياد ـ لعنه الله ـ هو الذي أرسل خيلاً ليلقي القبض على المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، وإن كنّا لا نصدّق أنّهم استطاعوا بهذه السهولة التي يصوّرها المقدسي أن يقبضوا على العظيمين مسلم وهاني، كما أنّه يخالف اتفاق المؤرخين على القول بسبق اعتقال هاني على المولى مسلم عليه السلام.

---

١. البدء والتاريخ: ٦/ ٨.

الداعي الرابع:
اقتحام القصر لاستنقاذ هاني

قال سماحة الشيخ الطبسي ـ حفظه الله ـ في معرض الجواب عن سؤال: «لماذا لم يقتحم الثوار القصر؟».

٤ ـ لا يشكّ المتأمّل العارف بأخلاقية أهل البيت عليهم السلام السامية وأخلاقية من تربّى في أحضانهم وكنفهم، والمُدرك للضرورات السياسية والاجتماعيّة، أنّ مسلم بن عقيل عليه السلام كان يحرص كلّ الحرص على سلامة هاني بن عروة رضي الله عنه وعلى انقاذه وإطلاق سراحه محفوظ العزّة والجاه والكرامة، وبرغم أنف ابن زياد ومن شايعه من وجهاء وأشراف الكوفة.

وذلك: لإيمان هاني رضي الله عنه ومظلوميّته وأهميّته، فنصرته واستنقاذه وإعزازه أمرٌ واجب مع القدرة على ذلك، وتتجلّى أهميّة

هانيؓ فضلاً عن كونه قياديّاً بارزاً جدّاً في التكتل الثوري في كونه القطب الذي يمكن أن تجتمع عند كلمته قبيلة مذحج قاطبة، في إطلاق سراحه عزيزاً منتصراً على يد قوّات الثورة برغم ابن زياد تعزيز وتقوية لموقعه الرفيع في أهل الكوفة عامّة. وفي قبيلة مذحج خاصّة التي قد تستشعر فضل الثورة عليها بإطلاق سراح زعيمها معزّزاً مُكرّماً. الأمر الذي قد يدفع جميع مذحج بعد ذلك إلى إطاعة هانيؓ في مناصرة الثورة والانضمام إليها إلى آخر الأمر.

ولايخفى ما في جميع ذلك من إذلالٍ للسلطة الامويّة وكسر لشوكتها وإضعافها. هذا على فرض أنّ المواجهة بين الثوّار والسلطة كانت ستنتهي عند إطلاق سراح هانيؓ.

من هنا، يمكن للمتأمّل المتتبع أن يجزم بأنّ الثوّار كانوا قد عزموا على اقتحام القصر، ووضعوا لذلك الخطّة التي تضمن سلامة

هاني رضي الله عنه أيضاً[١].

❊❊❊

قد أجاد سماحة الشيخ في ترتيب المقدّمات، وهي مقدّمات منطقية وصائبة في الغالب، ولكن النتيجة المستحصلة من تلك المقدّمات غريبة عنها، وذلك:

أوّلاً: استنتاج القطعي من الظنّي

استحصال نتيجة قطعية جزمية من مقدّمات كلّها ظنّية تحليلية احتمالية..

ثانياً: عدم انحصار النتيجة بخيار

لا تنحصر النتيجة بما ذكره المؤلف مع فرض الاتفاق معه على صحة جميع المقدّمات، فلا شكّ أنّ مسلماً انطلق بمن معه إلى فناء القصر بعد وصول خبر تعرّض هاني للضرب والجرح والاعتداء وربما القتل،

---

١. مع الركب الحسيني: ٣ / ١٣٢.

فكان إنقاذ هاني من أهم الدوافع التي دعت إلى النداء بالشعار ...

ولكن هل يكفي هذا في جزمنا بأنّ التحرّك كان يستهدف القصر نفسه؟

أجل، أقصى ما يمكن استنتاجه من ذلك أنّ التحرّك كان يستهدف تحرير هاني من مخالب ابن الأمة الفاجرة ولو بالحصار الطويل للقصر مثلاً، أو بإدخال الرعب على ابن زياد الجبان وأتباعه، فيدفع إليهم هاني معزّزاً مكرّماً، وهكذا يمكن افتراض فرضيات أخرى تحقّق الهدف دون اقتحام القصر.. فليس اقتحام القصر هو الطريق الوحيد لإنقاذ هاني لتكون النتيجة محصورة في ذلك كما جزم سماحته ـ حفظه الله ـ..

فهل يقال: أنّ مذحجاً التي أحاطت بالقصر كانت قد عزمت على اقتحام القصر؟!

صحيح أنّ مذحجاً رجعت فور سماعها

كلام شريح غير أنّها خرجت أساساً للمطالبة بهاني، وكانت ترى في إحاطتها بالقصر كفاية لتهديد ابن زياد وإدخال الرعب في قلبه واضطراره للاستسلام وتسليم هاني معزّزاً مكرّماً.

وكانت فعلتهم لها أثرها البليغ في تخويف ابن زياد واضطرته إلى ركوب الكذب وتسخير الوجه الذي كان قاضياً في الكوفة وله وجاهته الدينية والقضائية مهما كانت هذه الوجاهة مزيفة إلّا أنّها كانت مرضيّة عند أولئك الغوغاء.

ثالثاً: خضوع مذحج

إذا تمّ اقتحام القصر تنفيذاً للعزم، فهذا يعني قطع ذنب القرد الأموي والقضاء على حكم الطاغية المتهوّر ابن زياد، وسيطرة «الثوّار»! رسمياً على الكوفة واستيلاء مسلم بن عقيل عليه السلام على مقاليد الحكم، وحينئذٍ

تخضع مذحج اللاهثة في طلب الدعة ومجاراة السلطان سواء كان هاني موجوداً أو شهيداً. ولا ننسى أنها قد خذلت شيخها واتخذت لها شيخاً جديداً «لا يخلع طاعة ولا يفارق جماعة»...

رابعاً: قلّة المدافعين عن القصر

يعرض لنا المؤرّخ صورة بهلوانية لابن زياد ومن كان معه في القصر، جعلتهم على قلّتهم يدافعوا عن القصر ويدحروا الآلاف المتجمّعة المحاصرة لهم في وقت لا يتعدّى السويعات في أقصى التقادير، وهذا ما سنناقشه ضمن بحوث هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

فعددهم على المشهور في المصادر عشرون من الوجوه وثلاثون من الشرط:

«وقد أغلق عبيد الله بن زياد أبوابه، وليس معه فيه إلّا عشرون من الوجوه

وثلاثون من الشرط ... ثم صاروا مقدار مائتي رجل من أشراف أهل الكوفة والأعوان والشرط».

«وتحصّن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشراف أهل الكوفة والأعوان والشرط، وكانوا مقدار مائتي رجل»[١] ...

وهذا المقدار الضئيل عدداً، الجبان طبعاً أو حبّاً في الدنيا، الخائف نتيجة الظروف، المرتبك لكثرة العدد المتوعّد أحقر بكثير من أن يستمر في المقاومة لساعات.

هذا من حيث العدد حسب المصادر.

خامساً: معرفة مسلم عليه السلام بالقصر

تبيّن أنّهم من حيث العدد والرجال ـ حسب ما يبدو من تصوير المؤرّخ ـ قلّة حقيرة ضئيلة لا تقوى على الصمود أمام

---

١. أنساب الأشراف (ت ٢٧٩): ٢ / ٣٣٨.

الزحف الهادر المحيط بالقصر.

أمّا من حيث استحكام القصر و«إنّه كالهجوم على الصخر، كان القصر مشيّداً بمتانة بالغة، تحكي ذلك أنقاضه الموجودة لحدّ الآن، رغم مرور ألف وثلاثمائة وخمسين عاماً على تشييده، ويكفي أن نتصوّر كون جدار القصر من القوّة والسعة بحيث تتمكن الشاحنات من السير فوقه»[١]..

فلا شكّ في استحكامه وقوّة بنيانه، وهذا ما يكشف عنه الواقع بالفعل إلى اليوم، وقد قضينا ساعات طويلة من أيام عمرنا نطوف في حنايا قصر الخبال، ورأينا ذلك بأعيننا ولمسناه بأيدينا، غير أنّ في هذا الكلام مجال واسع للمناقشة:

---

١. مع الركب الحسيني عن مبعوث الحسين عليه السلام: ١٨٠.

المناقشة الأولى: لزوم التالي الفاسد

حيث أنّ هذا الكلام يفيد بوضوح أنّ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام قد أقدم على فعل لم يعرف عواقبه، ولم يعرف الموقع الذي يريد الهجوم عليه، ولم يحدّد ثغراته ولا طرق التمكّن منه، وهيهات أن يصدر ذلك من إنسان عادي، فكيف بقائد عسكري خبير كان على ميمنة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، كما ذكر ابن شهرآشوب في المناقب وابن أعثم في الفتوح[1].

المناقشة الثانية: معرفة مسلم عليه السلام بالقصر

كان المولى مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة أيام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان قصر الخبال بين يديه، وربما كان يمرّ عليه كلّما قصد المسجد ذاهباً وجائياً، وأنا أتذكر أنّنا

---

١. الفتوح لابن أعثم: ٣ / ٢٤، المناقب لابن شهرآشوب: ٣ / ١٦٨.

كنّا نطوف في خرائبه وأطلاله ونحن شباب صغار حتّى تعلّمنا مساربه ومداخله ومخارجه رغم سعته وتعقيد خريطته، فكيف بمسلم بن عقيل عليه السلام الذي كان يعلم ـ ولا نشكّ في ذلك ـ أنّ له يوماً مع هذا القصر في مستقبل الأيام.

بل حتّى لو لم يكن يعلم بذلك، فإنّه خلال ما يقارب خمس سنوات قضاها في الكوفة مع عمّه أمير المؤمنين عليه السلام متردّداً على القصر كيف لا يعرفه ولا يعرف ثغراته أو نقاط الضعف والقوّة في بنائه؟

المناقشة الثالثة: معرفة من كان معه عليه السلام

لو فرضنا ـ وهو فرض لا يكون ـ أنّ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام كان لا يعرف القصر وتفاصيله وثغراته التي تساعد على اقتحامه، فإنّ في الكوفة من الرجال من تردّد على هذا القصر وقضى فيه عمراً من

الزمن.

وفيهم من الخبراء العسكريين والقادة والرؤوس من ذوي السابقة في الحروب، والكوفة يومها ثكنة عسكرية وقد خاضت حروباً غير قليلة ولا سهلة خلال الفترة القريبة من أيام المولى مسلم بن عقيل عليه السلام فضلاً عن الحروب السابقة على ذلك التاريخ.

المناقشة الرابعة: وجود طرق التسلّل للقصر

لقد أغلقت أبواب القصر حسب الأخبار، غير أنّ بعض الأبواب كانت شارعة تستقبل الداخلين لنصرة الجرو الأموي، حيث كان ما يسمّونهم الأشراف يدخلون عليه من قبل باب الروميين، وكانت قيادات قوّاته تدخل وتخرج عليه، فهو لم يكن موصداً مكنوناً كما يصوّرونه.

الداعي الخامس:

محاصرة القصر حتّى تحقيق النصر

قد يقال: إنّ المولى نادى بشعاره ليحاصر القصر بحيث تدوم هذه «المحاصرة المستمرة التي قد تطول أيّاماً حتّى يستسلم من فيه مثلاً، أو يسلّموا هاني على أقلّ تقدير».

وذلك لأنّ «من المعلوم أنّ إخضاع القصر بمن فيه لا يتمّ خلال ساعة من الحصار، كما أنّ وقت النهار يكاد ينتهي، والهجوم على القصر الضخم البناء الذي أوصد ابن زياد أبوابه الكبيرة بشكل محكم لا يسفر عن نتيجة نافعة، إنّه كالهجوم على الصخر، كان القصر مشيّداً بمتانة بالغة، تحكي ذلك أنقاضه الموجودة لحدّ الآن.. فلابدّ إذن والحالة هذه من المحاصرة المستمرة التي قد تطول أيّاماً حتّى يستسلم من فيه مثلاً، أو

يسلّموا هاني على أقلّ تقدير»[١].

❊❊❊

إنّ هذا الفرض جميل لو أعانت عليه الدلائل وساعدت عليه الشواهد، وعلى فرض معالجة ما يمكن أن يناقش به في المناقشات التالية:

المناقشة الأولى: الفرض مبني على تخطئة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

إنّ هذا الفرض مبني على تخطئة انطلاق المولى مسلم بن عقيل عليه السلام والخلل الفضيع الواقع في توقيت النداء بالشعار، وقد جاء الفرض ليعالج هذا الخطأ ويبرر علّة الموقف.

ويبدو ما ذكرناه واضحاً في التعليل الذي سبق استنتاج هذا الفرض، وتفريع القول بالمحاصرة الطويلة بقول «فلا بدّ»، أي أنّ

---

١. مبعوث الحسين عليه السلام: ١٨١.

المقدّمات المذكورة كعلل تقتضي أن يكون العمل عقيماً، والنداء غير مجد، لأنّ «من المعلوم أنّ إخضاع القصر ممن فيه لا يتمّ خلال ساعة من الحصار، كما أنّ وقت النهار يكاد ينتهي، والهجوم على القصر الضخم البناء الذي أوصد ابن زياد أبوابه الكبيرة بشكل محكم لا يسفر عن نتيجة نافعة، إنّه كالهجوم على الصخر، كان القصر مشيّداً بمتانة بالغة، تحكي ذلك أنقاضه الموجودة لحدّ الآن ...»، فلماذا إذن نادى المولى بشعاره، والمفروض أنّ هذه الموانع لم تغب عنه، لأنّها لائحة واضحة عرفها أهل هذا الزمان، فكيف تخفى على من كان شاهد عيان؟

فمن أجل تبرير الموقف نضطر إلى فرض المحاصرة طويلة الأمد!

فلذا قال: «فلابدّ إذن والحالة هذه من المحاصرة المستمرّة التي قد تطول أيّاماً ..».

المناقشة الثانية:

لم يرد هذا الفرض في نصّ تاريخي، ولم نجد له أيّ مؤشر يدلّ عليه من كلمات المؤرّخين والرواة، وكلمات مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام أو المنضوين تحت رايته، أو الأعداء المحاصرين في القصر، فهو محض افتراض لا تدعمه الوثائق.

بل التأمّل العميق في مجريات الأحداث لا يفيد أنّ هذه الخطّة كانت من نوايا المولى، وحركة الأحداث تشير إلى خلاف ذلك تماماً.

المناقشة الثالثة:

إنّ سعة القصر وضخامته وإحكامه وترامي أطرافه وكثرة ما فيه من البنيان والعدد وآبار المياه والمؤن، وقلّة الأفراد المحصورين فيه تقتضي أن يحاصر شهوراً طويلة لا أياماً، لاحتوائه كلّ ما يحتاجه

العدد القليل المتواجد فيه، ولا زالت آبار المياه موجودة فيه إلى اليوم، ولا زالت بعض المؤن تستخرج منه أيضاً، وقد حضرت مرّة ورأيت بعيني كمية كبيرة من العتاد كالسيوف والدروع والملابس وغيرها تستخرج من موضع واحد من القصر الكبير.

المناقشة الرابعة:

لم يكن القصر محاصراً محاصرة تامّة، وقد نصّ التاريخ على بقاء الباب من جهة الرومين طريقاً سالكاً للداخلين والخارجين منه، وكثرة أبواب القصر وترامي أطرافه، والأنفاق الموجودة فيه ـ إلى اليوم ـ تجعل القصر ممتنعاً على الحصار امتناعاً صعباً عسيراً.

❋❋❋

هذا كلّه بلا ريب ولا تردّد كان بعين المولى مسلم بن عقيل عليه السلام وفي علمه.

الداعي السادس:
اقتحام القصر لإسقاط الحكم

قد يقال: إنّ الداعي الأساس الذي دفع المولى مسلم بن عقيل عليه السلام للنداء بشعاره هو الاستيلاء على قصر الخبال باعتباره مركزاً يمثّل سلطان بني أمية والمبنى الرسمي للحكومة المحلّية. وكان الهجوم على هذا الموقع من صلب مهمّة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، فأقدم عليه كخطوة تمهيدية للقضاء على الحكم الأموي كلّه واستئصال الشجرة الملعونة التي ما لها من قرار لتسقط جميع الفروع المتعلّقة بأغصانها.

قال الشيخ الطبسي ـ حفظه الله ـ في جملة كلامه عن استكشاف المهمّة التي أرسل بها المولى مسلم بن عقيل عليه السلام وذكر الأدلّة

التاريخية على ذلك:

«إنّ مهمّة مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة لم تنحصر في استطلاع الرأي العام الكوفي ومعرفة حقيقة ومصداقية التوجهات فيها، بل كانت مهمّته الأساسية فيها هي الثورة بأهل الكوفة ضدّ السلطة المحلّية الأموية فيها، والتمهيد للقضاء على الحكم الأموي كلّه..»[1].

وهذا الداعي لا يصمد أمام النقد، وقد ناقشناه مناقشة مستفيضة في رسالة مستقلّة بعنوان «مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير»، ودرسنا المهمّة من خلال نصوص الدعوة، ونقصد بها النصوص الواردة عن سيّد الشهداء حين دعا مسلم بن عقيل عليه السلام ليرسله إلى الكوفة، وكُتب سيّد الشهداء عليه السلام إلى أهل الكوفة، والكتب التي أرسلها مسلم

---

١. مع الركب: ٢ / ٤٥.

إلى الحسين عليه السلام، وما ورد عن أهل البيت عليهم السلام، والفهم السائد في عصره، وملاحظة الأصول الاعتقادية، ونصوص العلماء والمؤرخين والمشهور بينهم.

ثم نقلنا هناك أدلّة القائلين بهذا الداعي وناقشناها مناقشة مفصلة، فمن أحبّ التفصيل فليراجع.

الداعي السابع:
كشف النوايا وفضح المبايعين

وهذا الداعي[1] من أهم الدواعي وأقواها، وربما كان هو الغرض الأساس من رفع الشعار، وذلك لأمرين:

---

١. ربما اعتبر هذا الداعي غائياً فيعدّ الداعي هدفاً وغاية حقّقها المولى بتحرّكه ذاك، فكانت حركته موفّقة قد حقّقت الأغراض المتوخّاة منها وإن بقي وحيداً أو أنّه استشهد أو أنّه لم يستنقذ هانئ ولم يقتحم القصر، لأنّ الغرض الأساس كان أحد هذين الأمرين.

الأمر الأوّل: كشف النوايا

إنّ مسلم بن عقيل عليه السلام كان موظّفاً من قبل الإمام عليه السلام أن يستكشف نوايا المبايعين والمراسلين، ويستكشف الوضع في الكوفة، وقد اعتمده الإمام عليه السلام في ذلك وقبل منه رأيه ونظره، فإبداء البيعة وحده والمكاتبة والمراسلة لا تكفي، وإلا لما أرسل سيّد الشهداء مسلماً عليه السلام إليهم.

وقد صرّحت النصوص التي ذكرت دعوة الإمام الحسين لمسلم عليه السلام وتكليفه بالمهمّة، والكتب التي كتبها سيّد الشهداء عليه السلام لأهل الكوفة بذلك[1].

والذي يكشف حقيقة النوايا هو الالتزام بتلك البيعة في ساعة العسرة، وعند النداء وطلب النصرة، فاستعراض القوم بالنداء وإن كان بسبب الدواعي السابقة إلّا أن

---

١. انظر: مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير، تجد فيه دراسة وافية للنصوص.

الغرض الأساس منه إنما هو كشف النوايا.

فربما لم يقدم المولى مسلم بن عقيل عليه السلام على مثل هذا الإقدام أيام تمكن الذيل الأموي النعمان بن بشير من قصر الخيال باعتبار أنّ مؤشرات الظروف كانت مواتية، ومؤثرات البيعة والمراسلة مستمرة على نسق واحد. فكتب المولى مسلم بن عقيل عليه السلام بما شاهده لإمامه عليه السلام. فلمّا ولى نعمان ودخل الجرو الأموي ابن زياد، وتغيّرت الظروف وتفعّلت المؤثرات الجديدة صارت المجموعة المتبقية مع المولى بحاجة إلى غربال وامتحان يكشف لهم أنفسهم، وللآخرين حقيقة أمرهم، ويجعلهم على المحك الذي يميز الخبيث من الطيب، ويكون أميناً في الكتابة إلى الإمام عليه السلام باجتماع ملأهم وذوي الحجى منهم على ما قدمت به رسلهم أو تفرّقهم عن ذلك، وقد فعل عليه السلام.

الأمر الثاني: كشف العامل الغيبي

إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد خرج إلى أرض المصرع واليوم الموعود يوم عاشوراء، وقد توجّه في حقيقة الأمر وواقع الحال إلى كربلاء، ولم يتوجّه إلى الكوفة بحال، وقد دلّت على ذلك الأخبار الربّانية، والأحاديث النبوية، والإخبارات الغيبية الأميرية، وما ورد من إخبارات سماوية على لسان الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

ولكي تتكشف الأمور وتقام الحجّة ويقع المقدور ضمن الظروف الطبيعية والمناخات السياسية والاجتماعية أضحى من الضروري أن يقدّم الإمام الحسين عليه السلام الحجّة على القوم الظالمين، فلا يقال له: لو كنت وصلت الكوفة ودخلتها لكان أمر الناس غير ما كان، فإنّه أرسل لهم مبعوثه، وأمرهم أن يلتفّوا حوله، وأن يبايعوا للإمام عليه السلام على يديه، فلمّا تعرّض للخطر أعرض المسوخ

عنه وخذلوه، وباعوا بيعتهم ودينهم لابن زياد، وعقدوا زمام أمورهم ودنياهم بالقذر المتدلي من ذنب القرد الأموي.

ولولا نداء المولى مسلم بن عقيل عليه السلام بشعاره لما انكشفت هذه النوايا، ولما عرف بهرج القوم وزيفهم.

ورغم انكشاف حقيقة القوم وبلوغ خبرهم إلى سيد الشهداء عليه السلام بالطرق المتعارفة يومها، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام لم يرجع عن قصده ولم يمتنع من عزمه ومضى إلى كربلاء أرض المصرع الموعود، ليعلم أهل الأرض أنّ الحسين عليه السلام لم يكن يقصد الحكم والسلطان، وإنما هو ماض إلى ما أمره به الربّ المنان.

يوم الحصار[1]

اختلفت المصادر التاريخية في تحديد يوم الانطلاق إلى القصر على أقوال:

القول الأوّل:

الثامن من ذي الحجّة

مشهور المؤرخين على هذا القول، وقد دلّت عليه عمدّة المصادر، وذهب إليه أكثر المؤرّخين والمحقّقين:

قال البلاذري في أنساب الأشراف: وكان مخرج مسلم بالكوفة، يوم الثلاثاء لثمان ليال خلون من ذي الحجّة سنة ستّين ....

---

١. لا نقصد بالحصار محاصرة القصر للحرب وإنّما نقصد تجمع الناس في رحبة المسجد والقصر.

.. وكان الحسين خرج من المدينة إلى مكة يوم الأحد، للليلتين بقيتا من رجب سنة ستّين، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شعبان، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوال وذي القعدة، ثم خرج منها يوم الثلاثاء لثمان ليال خلون من ذي الحجّة يوم التروية وهو اليوم الذي خرج فيه مسلم بالكوفة[١] ...

وقال الشيخ المفيد ﷺ في الإرشاد:

وكان خروج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة سنة ستّين، وقتله يوم الأربعاء لتسع خلون منه يوم عرفة، وكان توجّه الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق في يوم خروج مسلم بالكوفة وهو يوم التروية[٢].

---

١. أنساب الأشراف: ٣ / ٣٧١.

٢. الإرشاد: ٢ / ٦٧.

وقال الشيخ ابن نما في مثير الأحزان:

... وكان خروج مسلم في الكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة يوم التروية، وهذا اليوم كان فيه خروج الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق بعد مقامه بها بقيه شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة[١]

القول الثاني:

التاسع من ذي الحجّة

قال البلاذري في أنساب الأشراف:

ويقال: يوم الأربعاء لتسع خلون من ذي الحجّة سنة ستّين يوم عرفة بعد خروج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم...

وقال بعد سطور: وقد يقال: إنّه خرج بالكوفة يوم الأربعاء وهو يوم عرفة[٢]..

---

١. مثير الأحزان: ٢٣ ـ ١٦.

٢. أنساب الأشراف: ٣ / ٣٧١.

القول الثالث:

الثاني من ذي الحجّة

قال الدينوري في الأخبار الطوال:

وكان قتل مسلم بن عقيل يوم الثلاثاء لثلاث خلون من ذي الحجّة سنة ستّين، وهي السنة التي مات فيها معاوية[١].

ثم قال بعد أن ساق الأحداث:

فلمّا أصبح ـ أي ابن زياد ـ جلس للناس، فدخلوا عليه، ودخل في أوائلهم محمد بن الأشعث، فأقعده معه على سريره...

إلى أن قال: فقال: انطلق، فاتني به الساعة.

فإذا كانت شهادته الثلاثاء الثالث من ذي الحجّة يلزم أن يكون الحصار في اليوم الثاني منه، لأنّه بات ليلته تلك عند طوعة حسب المصدر.

---

١. الأخبار الطوال: ٢٤٢.

القول الرابع:
السابع من ذي الحجّة

روى الطبري في تاريخه عن أبي مخنف قال:

حدّثني الصقعب بن زهير، عن عون بن أبي جحيفة، قال:

كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان ليال مضين من ذي الحجّة سنة ستّين..

ويقال: يوم الأربعاء لسبع مضين سنة ستّين من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكة مقبلاً الى الكوفة بيوم[١]...

ويبدو واضحاً أنّ «لسبع» تصحيف «لتسع»، ويشهد لذلك أنّه قال: «لسبع مضين سنة ستّين من يوم عرفة بعد مخرج الحسين من مكة مقبلاً إلى الكوفة بيوم..

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٨١.

ويشهد له أيضاً أن يوم الثامن من ذي الحجّة صادف الثلاثاء عند البلاذري والطبري والمفيد وابن نما، وقال البلاذري إنّ الأربعاء صادف التاسع، فيما يفيد الطبري هنا أنّ الأربعاء صادف السابع من ذي الحجّة.

قال: وكان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستّين، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة شعبان وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة، ثم خرج منها لثمان مضين من ذي الحجّة يوم الثلاثاء يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل.

وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص:

وكان قتل مسلم لثمانٍ مضين من ذي الحجّة بعد رحيل الحسين من مكة بيوم،

وقيل يوم رحيله[١] ...

وهذا القول يعني أنّ سيّد شاب أهل الجنّة قد خرج من مكة متوجّهاً إلى الكوفة يوم السابع من ذي الحجّة، وكذا كان خروج المولى مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة، وهو خلاف المشهور المتّفق، وخلاف قول سبط ابن الجوزي نفسه، إذ يقول:

كان مخرج الحسين من المدينة الى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستّين ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة شهر شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة، وخرج منها لثمان ليال مضين من ذي الحجّة يوم الثلاثاء، وكان يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل بالكوفة[٢]..

---

١ ـ تذكرة الخواص: ٢١٩.

٢ ـ تذكرة الخواص: ٢٢١.

النتيجة

قال الشيخ الطبسي ـ حفظه الله ـ في كتاب مع الركب الحسيني بعد أن نقل الأقوال:

... إنَّ المشهور ـ وهو الصحيح ـ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان قد خرج من مكّة إلى العراق يوم الثلاثاء، يوم الثامن من ذي الحجّة سنة ستّين ...

وبعد أن ناقش الأقوال قال:

... فلا يبقى من هذه الأقوال بعد هذا إلّا ما لا يُعارض المشهور الصحيح، وهو أنّ خروج الإمام عليه السلام من مكّة الى العراق كان في يوم التروية يوم الثامن من ذي الحجّة سنة ستّين للهجرة.

وعلى هذا يكون خروج مسلم بن عقيل عليه السلام في الكوفة يوم الثلاثاء يوم التروية، يوم الثامن من ذي الحجّة سنة ستّين، ويكون يوم مقتله يوم الأربعاء لتسع

مضين منه، أي يوم عرفة، وهو الأقوى[١]....

❊❊❊

أمّا ما هو المشهور اليوم في مدينة الكوفة حيث يقيمون مراسم العزاء وتخرج المواكب والهيئات يوم الثامن من ذي الحجّة إحياءاً لمصيبة صهر أمير المؤمنين عليه السلام وكبير آل عقيل عليه السلام، فهو إمّا اعتماداً على قول مثل الطبري المذكور في «القول الرابع»، أو أنّه استباق منهم للخيرات حيث أنهم يقيمون مآتم المولى مسلم بن عقيل عليه السلام عند قبره، ويعلنون له ولاءهم وعرفانهم بفضله عليهم، وهو الذي يظلّل مدينتهم بقبته السامقة التي تعانق السماء علواً، وتفاخر نجوم السماء وبدرها جمالاً وروعة وهيبة.

---

١. مع الركب الحسيني: ٣/ ٤٩.

ثم يسارعون لزيارة سيّد الشهداء عليه السلام يوم عرفة لئلا يفوتهم الفيض العظيم وخصائصه...

جيش العسكريين

قصة العرض التاريخي

عرض لنا المؤرّخ صورة العسكريين بشكل مزدحم تتراكم فيه الحركات والمجاميع وتنقبض وتنبسط بسرعة مذهلة، وتتكثّر وتتناقص في رقعة جغرافية لا تتجاوز عدّة كيلومترات مربعة في حركة تخطف الأبصار، وتتّسع وتضيق كثرة وقلّة في فترة زمنية لا تتجاوز السويعات، وكأنها مدّ وجزر ينال أمواج البشر خلال نصف يوم أو أقلّ من ذلك.

وهذه السرعة في الانبساط والانكماش تفقد الباحث قوّة التركيز لتمييز الجبهات

وانتشار القوى المقاتلة أو المناصرة.

ولا شكّ أنّ ساحة التحرّك كانت مزدحمة متشابكة متداخلة تتعرّض للهزات في كلّ الاتجاهات، ولكن هذا لا يمنع من التأمّل في المتون التاريخية من خارج ميدان المواجهة بحيث نستطيع أن نستطلع الأمواج المتعارضة المتلاطمة التي كانت تغطي الأرض يوم ذاك.

ومن جهة ثانية فإنّ هذا الارتباك في النقل ورواية المشهد في جوّ ملتهب فرض على ذهن المتلقّي ما يشبه الحقيقة التي أراد لها المؤرّخ وأسياده أن يفرضها على ذهن المتلقّي، وهي أنّ الكوفة كانت بقضّها وقضيضها، وكبيرها وصغيرها، وسيّدها ودنيّها، وأشرافها وسفلتها، ومواليها وعبيدها، ورجالها ونسائها، في قبضة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام وفي طاعة سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، حتّى الأعداء الرسميين كانوا

على حدّ الحياد المناصر للإمام الحسين وسفيره عليهما السلام، كما يلحظ في طريقة عرض موقف النعمان بن بشير.

ولم يكن في الكوفة كلّها إلّا بعض الجيوب النائمة والأفراد المعدودين المحصورين الخائفين الوجلين من الطوفان القادم لقلع جذور الشجرة الأموية، فكتبوا من مخبئهم إلى يزيد وهم رجلان أو ثلاثة لا أكثر[١]. وفي مثل هذا الجوّ الغالب الذي كان يخدم أحفاد أبي طالب عليه السلام دخل الجرو الأموي ابن زياد إلى الكوفة، واستطاع هذا النزق الخرق المبتور الجبان الخائر البطّاش المجرم المدان أن يقلب الكوفة في أقلّ من عشية، ولم تبلغ العشية ضحاها حتّى أمسى المولى الشجاع والقويّ الهمام غير مطاع، وانقلب

---

١. انظر: الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣١، أنساب الأشراف للبلاذري: ٢ / ٧٧.

الأمر بتدبير الوغد إلى ما انتهى إليه.

هكذا هي قصّة المؤرّخ باختصار مع أهل البيت عليهم السلام عموماً، ومع مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام خصوصاً، دائماً وأبداً عند المؤرّخين، ثم عند من تتبّع خطاهم وقبل أقوالهم، ولا حزازة على من قبل روايتهم ونقلها فهذا هو التاريخ المكتوب.

في سلطنة بني أمية الإعلامية تركيز شديد على إبداء أهل البيت عليهم السلام في صورة من لا يعرف من السياسة ومعاملة الناس شيئاً، وأنّ بني أمية ورثوا ترويض الناس كابراً عن كابر، وعرفوا كيف يأخذوا بزمام الناس ويملكوا نواصيهم ويوجهونهم في أقلّ من لمحة البصر حيث يشاؤون، ويسوقونهم بالسياط والأموال للرضا بقتل مواليهم وساداتهم وأئمتهم الذين رضوا بهم أئمة وقبلوهم قادة.

ولا شكّ في أنّ للسوط والسجن

والتعذيب، والفضة والذهب والمال والدنيا وحبّ الرئاسة أبلغ الأثر في توجيه الرعاع والسفلة والأذناب والانتهازيين.

غير أنّنا نقول: إنّ الجرو الأموي ابن زياد لم تكن عنده قدرة القادر وسلطة الساحر وسياسة الخبير الذكي الماهر، ولم يمتلك ما يؤهله ليقلب الأمر على الطهر الطاهر مسلم بن عقيل عليه السلام في هذه الفترة الوجيزة، ولم تكن الشؤون الاجتماعية غائبة يومذاك عن المولى مسلم بن عقيل عليه السلام وحاضرة عند ابن الأمة الفاجرة.

نحن نعلم أنّ ابن زياد قد ترك البصرة متوجّهاً إلى الكوفة بمهمّة خاصّة محوّلة إليه من القرد الأموي يزيد، إذ أمره أن يدخل الكوفة، ويطلب المولى مسلم بن عقيل عليه السلام طلب الخرزة فيقتله أو ينفيه.

ونعلم أن يزيد قد أخبره أنّ الكوفة هبّت مع سفير الحسين عليه السلام.

ونعلم أنّ ابن زياد كان حاكماً على البصرة يوم استلام المهمّة الجديدة، والبصرة فيها من العسكر والجند ما يكفي.

وابن زياد يعلم أنّ الكوفة التي تجمّعت حول سفير الحسين عليه السلام! حسب ما يرويه المؤرّخ تكنة عسكرية، فكيف يدخل الكوفة بأهله وعياله وشرذمة من المقرّبين إليه؟! ولم يأمر الجند الموالي له في البصرة أن يخرج معه أو يلتحق به؟!

لولا أنّه كان واثقاً من وجود عسكر وجند موالٍ له في الكوفة، يركن إليه ويعتمد عليه في حربه المقبلة مع أسد العقيليين ومن التفّ حوله!

وسيتّضح لنا ما ذكرناه في هذه المقدّمة الموجزة من خلال دراسة بعيدة عن صخب المؤرّخين وضجيج العساكر التي ملأت الآفاق في الرحبة بين المسجد الأعظم وقصر الخبال، لنرى أنّ الأكثرية الساحقة التي

كانت تستوعب الكوفة كانت منذ البداية مع الطاغوت متمرّدة على الحقّ ومنقلبة على إمام زمانها وعاصية لربها وخالقها وباريها، ولم يكن مع المولى مسلم بن عقيل والإمام الحسين عليه السلام سوى الأقليّة التي لا تكاد تبين عدداً بالنسبة لتلك الأكثرية، وإن كانت ساطعة لامعة يغطّي نورها كلّ تلك الظلمات المتراكمة في جموع عساكر السقيفة.

ظليمة المولى الغريب

ربما كان من أعظم الظلم الذي تعرّض له المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ما يلاحظ بكلّ وضوح في كلّ ما وقعت عليه في صفحات التاريخ وتحليل المحلّلين وعبارات المسجّلين لوقائع أيامه عليه السلام في الكوفة، التي تصرّح أو تشير بوضوح إلى أنّه فوجيء بغدر أهل الكوفة، وأنّ حساباته وإعداداته كانت تعتمد تماماً على ما أظهروه من البيعة وإعلان الاستعداد للنصرة، وأنّه كان واثقاً منهم، وبانياً عليهم كلّ آماله، وأنّه لا يشكّ في نيّاتهم غير أنّ ظروف القهر والتخذيل أثرت فيهم، فبقي المولى حائراً لا يدري ـ والعياذ بالله ـ كيف يدبر الأمر ويدير الموقف حيث اكتشف أنّهم غدرة لا وفاء لهم، وأنّهم أفلتوا على حين غرّة ونكثوا البيعة التي كان يعتمدها مسلم عليه السلام، فكأنّه لم يحسب للغدر

ونكث البيعة أيّ حساب، ممّا جرّه إلى الموقف الأخير، فبقي وحيداً متلدّداً حائراً لا يدري ما يفعل...

هكذا باختصار ما وجدناه في كلّ ما وقع بأيدينا من كتب قديمة أو حديثة على كثرتها.

ونحن لا نريد الإطالة هنا في الدفاع عن هذه الظليمة، وإن عظمت وجلّت، وستقرأ في ثنايا هذا الكتاب ما يكفي لإثبات خلاف ذلك.

ولكنّنا نقول هنا باختصار شديد جدّاً:

أولاً: خبرة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

لم يكن المولى مسلم بن عقيل عليه السلام أقلّ خبرة ـ والعياذ بالله ـ من عبد الله بن عمر وعبيد الله بن عباس وأبي هرّة الأزدي وغيرهم ممّن اعترض على الإمام السبط عليه السلام وذكّره! بغدر أهل الكوفة بأبيه وأخيه...

ثانياً: حضور المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

لم يكن مسلم بن عقيل عليه السلام بعيداً عمّا جرى لعمّه وابن عمّه وقد عاصر الأحداث والوقائع بنفسه الشريفة ورأى بعينه كلّ ما جرى من غدر وخيانة.

ثالثاً: معرفة المولى بالمجتمع الكوفي

كان المولى مسلم بن عقيل عليه السلام عالماً عارفاً بالمجتمع الذي أرسل له، ولولا ذاك لما اعتمد الإمام السبط عليه السلام عليه وعلى تقييمه، وبنا موقفه وانطلاق قيامه على ما سيخبره به ثقته.

عسكر ابن زياد

لا نريد هنا تقديم دراسة توثيقية ومسح سكاني دقيق للكوفة أيام المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، وإنما نحاول باختصار وبالاستفادة من المتون التاريخية أن نبيّن أنّ الأكثرية الكاثرة والأغلبية الساحقة كانت خاضعة للباطل، وأنّ هذا الأمر كان على علم المولى مسلم بن عقيل عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام.

وبيان هذه الحقيقة لا يضرّ الكوفة وقداستها، لأنّ الكوفة أرض مقدّسة منذ أن خلقها الله ومسكن الأنبياء وعاصمة خلافة سيّد الأوصياء وخاتم الأولياء عليه السلام، ومعدن الشيعة وجمجمة العرب، وتقدّس الأرض لا يدنّسها ما ينتابها من قذر الأرجاس الذين ربما عاشوا عليها ردحاً من الزمن، تماماً كما هو حال كربلاء المقدّسة نفسها ومكة

والمدينة وغيرها من الأرضين المقدّسة.

ونعود مرّة أخرى لنؤكّد كما أكّدنا في أكثر من موضع من كتاباتنا أنّ الشيعة كانوا في الكوفة أكثرية نسبة للشيعة في بقية أصقاع العالم، لا بالنسبة للكوفة نفسها، فإنهم كانوا أقلّية صغيرة صغيرة جدّاً بالنسبة لباقي السكان، وبقي الشيعة على طول التاريخ أقليّة، وما أكثر الأدلّة والشواهد على هذه الحقيقة، وأنصار الحقّ منذ عهد أبينا آدم قليل «آية».

ولكي تتّضح الصورة نقسّم السكان المتواجدين يومذاك إلى عدّة شرائح:

الشريحة الأولى: قوات السلطة والشرطة والحرس

أطلق على الكوفة اسم «كوفة الجند»[١] وأصبحت معسكراً ثابتاً لجيش السقيفة.

---

١ ـ معجم البلدان للحموي: ٤ / ٤٩١.

وكانت أسماء الجند مسجلة في ديوان وها مسؤول، وكان الملك الثاني عمر بن الخطاب قد دوّن الدواوين وأحصى أسماء الجند وأجرى لهم العطاء حسب الإحصائيات التي ضبط بها أسماءهم وأسماء عوائلهم وذرّياتهم ومواليهم، وآخر إحصائية وصلتنا قام بها زياد بن أبيه:

في فتوح البلدان ومعجم البلدان:

قال الوليد بن هشام: أخبرني أبي عن أبيه، وكان يوسف بن عمر ولاّه ديوان جند العرب، قال:

نظرت في جماعة مقاتلة البصرة أيام زياد فوجدتهم ثمانين ألفاً ووجدت عيالهم مائة ألف وعشرين ألف عيل، ووجدت العرب مقاتلة الكوفة ستّين ألفاً وعيالهم ثمانين ألفاً»[١].

---

١. فتوح البلدان: ٣٤٦، معجم البلدان: ١ / ٤٣٤.

وهذه الإحصائية التي قام بها النغل الأموي زياد بن أبيه بين سنة خمس وأربعين وثلاث وخمسين كشفت عن ستّين ألف مقاتل ضبطت أسماؤهم في الدواوين، وكانوا يأخذون العطاء رسمياً، ولم تكن إحصائية شاملة، لأنها ركزت على من ضبطه الديوان لأخذ العطاء، وحدّدت الإحصاء بالعرب خاصّة دون الموالي وغير المسلمين، وهم كثير.

وكان هؤلاء الجند في طاعة الوالي المتسلّط، لا يتجاوزونه حتّى في أخصّ الشؤون الخاصّة بهم:

روى الطبري في التاريخ بعد أن قطن عسكر السقيفة الكوفة استأذنوا عمر في بنيان القصب فأذن لهم فبنوا، قال:

ثم إنّ الحريق وقع بالكوفة وبالبصرة، وكان أشدّهما حريقاً الكوفة، فاحترق ثمانون عريشاً، ولم يبق فيها قصبة في شوال.

فما زال الناس يذكرون ذلك فبعث سعد منهم نفراً إلى عمر يستأذنون في البناء باللبن، فقدموا عليه بالخبر عن الحريق، وما بلغ منهم ـ وكانوا لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلّا وآمروه فيه ـ فقال: افعلوا[١].

وهذا النصّ يكشف عن مدى التزام عسكر السقيفة بطاعة أميرهم، ودقّتهم في تحرّي رضاه وأوامره حتّى في شؤونهم الخاصّة، فهم يستأذنون في نمط البناء الذي يعيشون فيه ولو لم يأذن لبقوا في القصب ولو احترق عليهم كلّ يوم، لأنّهم «لا يدعون شيئاً ولا يأتونه إلّا وآمروه فيه».

ولا شكّ أنّ الكوفة كانت تتقدّم في النمو السكاني والعسكري منذ أن اتخذها الملك الثاني داراً لاستقرار عساكره وحتّى تسلّط عليها الجبرو الأموي ابن زياد.

---

١. تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤.

ويؤكد خضوع العساكر للسلطة التهديدات التي أرعد بها ابن زياد يوم هدّدهم بتفريق مقاتلتهم وإبعادهم إلى الثغور النائية، وهو يتكلّم معهم بلغة الآمر العسكري الذي يتصرّف بقطعاته العسكرية كيف يشاء.

ومن الواضح أنّ هذه التشكيلة العسكرية المنضبطة والمسيطر عليها من خلال التشكيلة الإدارية والقبلية والاجتماعية المرتبطة بالأجهزة الحاكمة بالولاء السياسي والديني وضرورات الحياة من خلال الأرزاق والعطاء كانت مستقرّة في المعسكر الكبير «كوفة الجند»، وكانت تتحرّك إلى الثغور والمشاتي والصائفة التي ما فتئت أيام الملك الثاني، وما بعده حتّى أيام ملك بني أمية وتسلّط يزيد على رقاب الناس.

وهي كانت على حالها من انتظامها في سلك الدولة أيام النعمان بن بشير، وكذا أيام

الجرو الأموي ابن زياد، ولم يصلنا أيّ خبر في التاريخ ـ حسب فحصنا ـ عن وجود تمرّد أو تشتّت في البنية العسكرية الأموية الرسمية حتّى أيام تشرّف الكوفة بأقدام المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، ولو كان لبان.

وقد دفع النعمان بن بشير قصر الخبال وما يعنيه من التسلّط الإداري ومركزية الحكم إلى ابن زياد بما في ذلك قيادة العسكر!

هذا باختصار عن الجند والعسكر والجيش الذي كان يدين بالولاء المطلق لسادته وأمرائه.

الشرطة:

وكانت ثمّة قوّة أخرى «الشرطة» يبدو من خلال تتبّع موارد عملها والأوامر الصادرة لها من ابن زياد أنّها كانت تقوم بمهام السيطرة على الكوفة داخلياً ـ كما هو شأن الشرطة في هذا الزمان ـ.

وكان رئيس هذه القوّة لعين يقال له «الحصين بن نمير التميمي»، وكانت خاضعة خضوعاً تامّاً لقصر الخبال والجرو المتسلّط عليه، ولم يبلغنا ـ أيضاً ـ أي خبر عن وقوع التمرّد أو الانفلات في صفوفها، وغير ذلك.

وكانت هذه القوّة متماسكة مشدودة القوام كما يتبيّن من متابعة تحرّكها في الكوفة يومذاك وانتشارها على حدود المدينة وضبطها لكلّ داخل وخارج إلى المصر.

وكان فيها من الكثافة العددية ما يسمح لها بتنفيذ أوامر الجرو الأموي الذي سلّطهم على دور الكوفة لتفتيشها سكّة بعد سكّة وداراً بعد دار مع ما للكوفة من سعة جغرافية وانتشار أفقي وكثرة الدور.

كما أمره أن يضع المراصد على أفواه السكك، ففي تاريخ الطبري:

وقد سلّطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح

غداً واستبر الدور وجس خلالها[١] ...

وقد ورد في إحصاء روي عن بشر بن عبد الوهاب القرشي ذكر فيه أنّ في الكوفة خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وستّة وثلاثين ألف دار لليمن، وعشرين ألف دار لسائر العرب[٢].

وهذا الإحصاء وإن كان متأخّراً لأنّ بشر بن عبد الوهاب قد توفي سنة ٢٥٤ هـ غير أنّه يعكس لنا نموذجاً من النمو السكاني[٣]، ويمكننا من رسم صورة للكوفة، لأنّ بشر لم يذكر الموالي وغير المسلمين الذين كانوا يتواجدون بكثافة وكثرة في الكوفة أيام تسلّط ابن زياد.

---

١ ـ تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

٢ ـ الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العملي للأستاذ حسن الحكيم: ٣٥. وانظر: معجم البلدان للحموي: ٤ / ٤٩٢، والمنتظم لابن الجوزي: ٤ / ٢٢١.

٣ ـ انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العملي للأستاذ حسن الحكيم: ٣٥.

الحرس:

وهناك قوّة أخرى تدعى «الحرس»، وقد وردت الإشارة إليها مرّات عديدة في خضم الحديث عن الأحداث الجارية يومها، كما سيتّضح من مراجعة المصادر، من قبيل النداء الذي نادى به ابن الأمة الفاجرة بعد أن خرج من جحره الى المسجد، حيث أمر منادياً فنادى بالكوفة ألا برئت الذمّة من رجل من العرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد.

وهؤلاء الحرس إمّا أن يكون المقصود بهم حرسه الشخصي، وهو بعيد، وذلك لأنّ الحرس الشخصي له كان حوله ساعة خروجه إلى المسجد.

أو يكون الحرس الذين كانوا يجوبون السكك والمنهاج في الليل وربما في النهار لتأمين الدور والطرقات، كما هو مرسوم إلى وقت متأخّر، بل إلى اليوم في بعض البلدان.

وربما كان المقصود كلا الطائفتين.

الفتيجة:

وبهذا تتكشف لنا ـ من خلال ما ذكرناه باختصار ـ حقيقة تاريخية ربما لا يلتفت إليها كثيراً، وهي:

إنّ عسكر السقيفة وجيوش أميّة كانت على الولاء لأسيادها، منتظمة في راياتها، منتشرة ضمن قطعاتها، ولم يذكر لنا التاريخ ـ حسب فحصنا ـ أيّ اهتزاز أو خلخلة في صفوفهم، إلّا إذا كانت حالات نادرة من الانشقاقات التي لا يعتد بها لتذكر.

وكذا كانت قوى الأمن الداخلي «الشرطة» تحت السيطرة، وكانت من الكثرة والاستعداد بحيث تستطيع أن تمسح الكوفة وتفتشها داراً داراً!

الشريحة الثانية: لم يكاتبوا ولم يبايعوا

ورد في الأخبار أنّ مجموع من بايع المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ثمانية عشر ألفاً، وهذا العدد لا يمثّل الأعداد الهائلة التي كانت تقطن الكوفة يومئذٍ، بالخصوص إذا لاحظنا أنّ الكوفة يومذاك كانت ثكنة عسكرية وتدعى «كوفة الجند».

وأقلّ ما يقال فيها أنها كانت تحوي مائة ألف سيف[١] فيكون العدد المبايع أقلّ من خمس العدد القادر على القتال بالفعل، فهم أقليّة رغم ضخامة العدد المروي.

بل إنّ عدد الثمانية عشر ألفاً المذكور لا يساوي حتّى أتباع هاني ورجاله من مراد فقط وأحلافها من كندة قال المسعودي في المروج:

«وهو ـ يعني هاني بن عروة ـ يومئذٍ

---

١. انظر: أنساب الأشراف للبلاذري: ٣ / ٢٢٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٩١، وغيرها.

يركب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل. وإذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منهم أحداً فشلاً وخذلاناً»[١].

والمفروض في العدد غير المبايع أن يكون على ولائه للسلطان، وفي أفضل حالاته يكون خاذلاً لسيّد الشهداء عليه السلام، ولا يقال عنه أنّه ناصر للحسين عليه السلام، فهو لا يريد أن يسجّل موقفاً مع المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، ولا يمكن أن يصوّر في المحايدين، لأنّ خذلان الحقّ وترك نصرته والحياد فيه خيانة ومذلّة.

فالأكثرية الساحقة كانت في عداد الخاذلين للحقّ منذ البداية، ولم تعلن ولاءها لسيّد الشهداء عليه السلام بالمكاتبة ولا المبايعة لسفيره، لأنّنا لو افترضنا ـ وهو فرض

---

١. مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٦٠.

بعيد ـ أنّ الذين كاتبوا غير الذين بايعوا، فسيكون مجموعهم أقلّ من سكان الكوفة ومقاتليها.

على أنّ العدد المبايع المشهور يربو قليلاً عن نصف العدد الذي كان يركب به هاني.

ومن الواضح أنّ الكوفة يومها كانت أكبر من مراد وكندة جميعاً، بل إنّ مراد وكندة كانت أكثر من ذلك، لأنّها لم تكن جميعاً تنضوي تحت راية هاني وتتولى زعامته.

وإذا كان هاني يركب في العدد المذكور (ثلاثين ألفاً)، فهذا يعني أنّ أتباع هاني أيضاً لم يبايعوا جميعاً، وذلك لأنّ العدد المبايع والمكاتب كان عبارة عن خليط متراكم من مجموع الكوفة وليس من مراد وكندة فقط، ففيهم الكندي والمذحجي والهمداني وغيرهم.

فكان فيهم من يستجيب للزعامة القبلية غير أنّه لم يعلن استعداده للاستجابة للحقّ

والقيام مع الإمام عليه السلام أو سفيره.

وهذه النتيجة ليست غريبة على المجتمع الكوفي الذي كان الشيعة فيه من أصغر الأقليات، وإن كانوا بالنسبة إلى أعداد الشيعة في غيرها من البلدان كثيرين.

ومن البديهي أنّ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام كان على علم تام بخذلان الأكثرية وعدم استجابتها لنداء القرآن وانصياعها المذلّ المشين لهتاف الشيطان، منذ أن ورد الكوفة، بل قبل ورودها.

وهذا كلّه لا يمنع من المجيء إلى الكوفة لإقامة الحجّة وإتمامها، فالإمام الحسين عليه السلام هو حجّة الله البالغة ومسلم عليه السلام هو المبلّغ عنه.

الشريحة الثالثة: كاتبوا ولم يبايعوا

يمكن تقسيم الذين كاتبوا ولم يبايعوا إلى كتلتين:

الكتلة الأولى: المعروفون بالأسماء.

ربما لا يستطيع الباحث أن يفتش المخرجين الذين حملها سيّد الشهداء عليه السلام وعرضها على الحرّ وأصحابه، ليطبّق الأسماء واحدة واحدة، فيميز الذين كاتبوا سيّد الشهداء عليه السلام وبايعوا له على يد المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

بيد أنّ ثمّة جماعة يمكن أن غيّزها من خلال ورود أسمائهم في التاريخ ضمن كتبهم، ولم نجد لهم ذكراً أيام أخذ البيعة في الكوفة، بل نجدهم بين يدي ابن الأمة الفاجرة منذ الساعات الأولى لدخوله قصر الخبال.

وقد خاطبهم الإمام سيّد الشهداء عليه السلام واحتجّ عليهم بمكاتبتهم وخذلانهم، من قبيل شبث بن ربعي وعزرة بن قيس وأمثالهم.

وهؤلاء كانوا يمثّلون رؤوساً في المجتمع الكوفي يومئذٍ ـ وإن كانت رؤوساً عفنة ـ

وهم أتباع ينصاعون إليهم بدوافع قبلية أو سياسية أو بدوافع الطمع والمال والدنيا وما شاكل.

ويشهد لذلك أمر الجرو الأموي ابن زياد الصادر لهم الذي يقول فيه: «أخرج بمن أطاعك».

الكتلة الثانية: المعروفون إجمالا

لابد أن يكون من هذا القسم جماعة ممّن كاتبوا الإمام عليه السلام فأرسلوا له الكتب من الرجل والرجلين، ثم نكصوا على أعقابهم خاسئين.

فقد حدّثنا التاريخ أنّ مجموع الكتب التي اجتمعت عند سيّد الشهداء عليه السلام كانت إثنا عشر ألف كتاب من الرجل والرجلين والأربعة.

قال السيّد ابن طاووس في اللهوف وابن نما في المثير والمجلسي في البحار والبحراني في

العوالم:

«... وأنفذوا جماعة معهم نحو مائة وخمسين كتابة من الرجل والاثنين والثلاثة والأربعة يسألونه القدوم عليهم، وهو مع ذلك يتأنّى ولا يجيبهم، فورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب، وتواترت الكتب حتّى اجتمع عنده في نوب متفرّقة إثنا عشر ألف كتاب»[١].

فإذا جعلنا معدّل من كاتب سيّد لشهداء عليه السلام في كلّ كتاب ثلاثة، وهو العدد المتوسّط بين «الرجل والرجلين والأربعة»، على أنّ بعض الكتب تضمّنت أسماء أكثر من أربعة يكون عدد المكاتبين «ستّة وثلاثين ألفاً».

والحال أنّ العدد المشهور للمبايعين على

---

١. اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٣٥، مثير الأحزان لابن نما: ٢٦، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٣٣٤، رياض الأبرار للجزائري: ١ / ٢٠٨.

يد المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ثمانية عشر ألفاً.

فيكون وفق هذا الحساب نصف العدد المكاتب قد تخلّى عن البيعة وانقلب على عقبه واختار النار وبئس القرار.

وإن افترضنا العدد المكاتب أكثر من ذلك، فإنّه يؤكّد أنّ العدد المكاتب المتخلّي عن البيعة أكثر.

وإن افترضنا لكلّ كتاب رجلين فيكون العدد المكاتب أربعة وعشرين ألفاً، فيكون مجموع عدد المكاتب والمبايع «٤٢٠٠٠» وهو أقلّ من نصف العدد المفترض للمقاتلين في الكوفة.

وإذا افترضنا لكلّ كتاب رجلاً واحداً، فيكون العدد المكاتب إثنا عشر ألفاً، والمبايع ثمانية عشر ألفاً ويكون المجموع (ثلاثون ألفاً) وهو بمقدار العدد الذي يركب بهم هاني بن عروة وحده.

لفتة:

ربما يتبيّن من خلال ما شرحناه آنفاً مغزى تأكيد سيّد الشهداء عليه السلام على أهل الكوفة يومذاك أنّه لا يعتمد على كتبهم ورسلهم، وإنما يعتمد ما سيكتب إليه سفيره مسلم بن عقيل عليه السلام في تقييم الوضع، ويخبره به من تطابق الكتب والرسل مع ما سيجتمع عليه ذووا الحجا والرأي عندهم.

كما تبيّن لنا أنّ كشف النوايا الخبيثة المنطوية على الغدر والخيانة من نتاج سفر المولى مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة.

الشريحة الرابعة: اتخذت الموقف المعادي قبل النداء

يحدّثنا التاريخ عن جماعة كبيرة تعلّقت بأغصان الشجرة الملعونة في القرآن قبل النداء بالشعار، من قبيل العدد الهائل الذي خرج بقيادة عمرو بن الحجاج الزبيدي

للمطالبة بهاني بن عروة، فأعلنت خضوعها للقرود، وأنها لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة:

لمّا «بلغ عمرو بن الحجاج أنّ هانئاً قد قتل، فأقبل في مذحج حتّى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم.

ثم نادى: أنا عمرو بن الحجاج، هذه فرسان مذحج ووجوهها، لم تخلع طاعة، ولم تفارق جماعة»[١].

وقال الدينوري: «وبلغ مذحجاً أنّ ابن زياد قد قتل هانئاً، فاجتمعوا بباب القصر»[٢].

وهو إعلان صريح عن الانحياز إلى صفّ عساكر السقيفة، ونصرة ابن الأمة الفاجرة، والتحلّل عن أيّ التزام مع غيره.

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٧، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٠.

٢. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.

فإذا كانت مذحج القبيلة الكبيرة أعلنت الطاعة صراحة بجمع عظيم بشهادة المؤرّخ، وبفرسانها ووجوهها بشهادة عمرو بن الحجاج، وهي قد خرجت للذود عن رئيسها والمطالبة بكبيرها هاني بن عروة، فكيف بغيرهم؟! وتعدّ مذحج مثالاً أبرزهم لنا الموقف الذي اتخذوه.

وخبر هؤلاء المسوخ قد بلغ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، «بل ربما أفادت بعض العبارات الواردة في الروايات[١] أنّ تخاذل مذحج وانصرافها عن نصرة هاني والثبات على المطالبة به كانت هي السبب في رفع الشعار، والانطلاق نحو القصر، وكأنّ هؤلاء القوم الذين دعوا لمحاصرة القصر سيقومون

---

١. انظر: تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، المناقب لابن شهرآشوب: ٤ / ٩٢، اللهوف لابن طاووس: ٤٧، تجارب الأمم لأبي علي مسكويه: ٢ / ٤٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤ / ٣٠٤، البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤.

بدور عشيرة هاني المتخاذلة»[١]..

الشريحة الخامسة: بايعوا ولم يلبوا النداء

لا شكّ أنّ جماعة ممّن بايعوا لم يلبّوا النداء، وهو ممّا تقتضيه طبيعة الأحداث بشهادة الأرقام المذكورة بأقلّ من العدد المبايع من قبيل «٤٠٠»، «٣٠٠٠»، «٤٠٠٠»... وقد اتّفقت المصادر على أنّ المبايعين أكثر من هذه الأعداد، فيلزم أن تكون جماعة كبيرة قد نكثت البيعة ولم ترع العهود والمواثيق المأخوذة عليهم قبل النداء أو حين النداء.

وهؤلاء أيضاً لم يغيبوا عن نظر المولى وحسابه لأنّه ـ على هذا الفرض ـ عبأ العدد المتوفّر لديه، وقسّم راياته حسب الأفراد الذين حضروا بين يديه[٢].

---

١. مسلم بن عقيل عليه السلام ثائر أم سفير للسيد علي أشرف: ١٩٥.

٢. وسيأتي بقية الكلام عن هذه الشريحة أثناء الحديث عن عسكر المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

الشريحة السادسة: لبوا النداء ولم يثبتوا

اختلفت المصادر في تعيين العدد الذي لبّى النداء وتراوح التقدير بين ثمانية عشر ألفاً والأربعمائة.

والذي تفيده المصادر أنّ الكثير من هؤلاء لم يبلغوا مع المولى إلى فناء المسجد، وإنما تفرّقوا عنه في الطريق قبل الوصول.

ومنهم من وصل ثم نكص على عقبيه، فدخل تحت راية أولاد البغايا:

قال الشيخ المفيد في الإرشاد:

وجعل محمد بن الأشعث، وكثير بن شهاب، والقعقاع بن شور الذهلي، وشبث بن ربعي، يردّون الناس عن اللحوق بمسلم ويخوفونهم السلطان، حتّى اجتمع إليهم عدد كثير من قومهم وغيرهم، فصاروا إلى ابن زياد من قبل دار الرومسيين ودخل القوم معهم.

النتيجة:

يمكن استخلاص بعض النتائج ممّا مرّ من البحث:

النتيجة الأولى:

تبيّن من خلال تقسيم الجاميع السابقة أنّ الأكثرية الشاملة كانت في صفّ جند الشيطان، ولم يكن مع المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ولا مع سيّد الشهداء عليه السلام إلّا أقليّة قليلة من المقاتلين في الكوفة، سواء المكاتبين أو المبايعين، أو المستجيبين لنداء «يا منصور»، وإن كانوا بحسب العدد لو لوحظ لوحده عدداً كبيراً.

واتضاح هذه الصورة وبيان هذه الحقيقية التاريخية مهمّ غاية الأهمية، ومؤثر أبلغ الأثر في فهم الواقع، وتقرير الوضع، واستكشاف الموقف، ومعرفة المواقف.

النتيجة الثانية:

إنّ ما يرسمه لنا المؤرّخ في صورة تثير العجب وتدعو المتأمّل وغير المتأمّل للاستغراب من خلال عرضه لابن زياد، وكأنّه كان وحيداً إلّا من بعض من يسمّيهم الأشراف! وبعض الشرط الذين لا يتجاوز عددهم جميعاً الخمسين، والدنيا كلّها مع كبير آل عقيل، غير أنّ ذكاء ابن الأمة الفاجرة ودهاءه وخبرته ودقّته في تنفيذ الخطوات المطلوبة في الوقت المناسب، وإطلاقه التهديدات وإعلانه البيانات على الناس أوقات الضرورة مهّدت له الطريق لقلب الكوفة بقدرته الفذّة على المولى مسلم بن عقيل عليه السلام واستقطاب كلّ القوى الموالية له وتركه وحيداً متلدّداً.

تتّضح هذه الصورة السحرية الساخرة ويتبيّن زيفها وكذبها والتمويه فيها.

ويشهد لوجود العدّة والعدد عند ابن زياد قول السيّد ابن طاووس في اللهوف: «فتحصّن منه بقصر دار الإمارة واقتتل أصحابه وأصحاب المسلم»[١]..

وقول ابن سعد في الطبقات: «... واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد»[٢].

وقول ابن أعثم في الفتوح: «... وخرج عبيد الله بن زياد من القصر ـ يعني بعد أن اعتقل هاني بن عروة ـ حتّى دخل المسجد الأعظم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم التفت فرأى أصحابه عن يمين المنبر وعن شماله وفي أيديهم الأعمدّة والسيوف المسلّلة، فقال: أما بعد يا أهل الكوفة ...».

وهذه العبارات وغيرها ـ ممّا ذكرناه ـ تكشف أنّ ابن زياد كان عنده جيش كثيف

---

١. اللهوف: ٤٧.

٢. الطبقات الكبرى: خ ١ / ١٤٦.

مستعد للقتال والاشتباك مع أصحاب مسلم بن عقيل عليه السلام، ولو كان العدد قليلاً لما استطاع الوقوف والقتال.

وأمّا قول المؤرّخ:

وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس.. كما في تاريخ الطبري.

لا يعني بالضرورة أنّه كان وحيداً، وأنّه كان في قلّة من العدد والعدّة، وإنما يفيد أنّه كان قد وظّف جميع قطعانه في حرب المولى، وأخرجهم في مهامهم التي رسمها لهم، فكان في القصر في تلك الساعة خاصّة في قلّة ممّن حضره.

وممّا يشهد لقلّة العدد في ساعة من تلك الساعات وليس مطلقاً قول كثير كما في تاريخ الطبري:

«أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل

بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله ..».

ومن الواضح أنّ التعبير هنا بالقلّة تعبير نسبي، فالقصر يزدحم بالحركة حيث يتردّد القادة والأتباع دخولاً وخروجاً لاستلام الأوامر وتقديم التقارير، ويعج بحركة الشرطة والحرّاس الشخصيين وغير ذلك، بيد أنّ هذا العدد المتواجد في القصر يعدّ قليلاً بالنسبة للأعداد الضخمة المتجحفلة خارج القصر وفي رحبة المسجد وشوارع الكوفة وأزقتها.

ثم إنّ العدد مهما كان كبيراً، فهو يعدّ قليلاً بالنسبة للجبان الذي يخاف من ظلّه، ولا يقوى إلّا إذا كان في أحضان عسكره وجنده.

بل لو كان أهل الأرض كلّهم مع الجبان ابن زياد لخاف واستوحش، لأنّه يعرف شجاعة ابن عقيل عليه السلام وقوّته وصولته.

النتيجة الثالثة:

إنّ الشرائح الخمسة الأولى كانت قبل التوجّه نحو القصر وتقسيم الرايات، وكان المولى مسلم بن عقيل عليه السلام على علم تامّ بها قبل أن ينادي بشعاره، بل كانت مواقف الشريحتين الأولى والثانية واضحة للعيان قبل أن يخرج المولى من مكة، وتبين موقف الشريحة الثالثة عند دخوله الكوفة، وانكشفت الشريحة الرابعة قبل أن ينادي بالشعار، وتحدّد موقف الشريحة الخامسة قبل تقسيم الرايات والانطلاق نحو القصر.

تذكير مهم

لا يقال: إذن كيف كتب المولى مسلم بن عقيل إلى سيّد الشهداء عليه السلام بالقدوم إذا كانت الأقلّية معه، وهو يرى ذلك؟

والجواب على ذلك باختصار:

أولاً:

إنّ القانون الربّاني حاضر عند الفقيه العالم من آل محمد ﷺ مسلم بن عقيل عليه السلام والقرآن ملء صدره وقلبه، وهو يقول «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله».

ثانياً:

قام الإمام الحسن عليه السلام لمواجهة المدّ الأموي القادم من الشام بقيادة معاوية بإثني عشر ألفاً، وقاتل النبي في كثير من معاركه بأقلّ من هذا العدد مقابل أعداد ضخمة من الكفّار.

فلو كان العدد المبايع ثابتاً لكان كافياً للمقارعة وفق الحسابات الظاهرية.

ثالثاً:

ملاحظة الجانب الغيبي في القيام الحسيني، وذلك أنّ المولى كتب إلى سيّد الشهداء عليه السلام وفق التكليف الظاهري ومتطلّبات إقامة

الحجّة وإقامها على الناس، وإلّا فهو عالم ـ ولا شكّ في ذلك أبداً ـ أنّ وجهة سيّد الشهداء عليه السلام كربلاء وليست الكوفة، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام ماض في تنفيذ مشيئة الربّ والإقدام على الفتح بالشهادة وإجابة دعوة الله ....

قطعات عسكر ابن زياد

والآن نستعرض بشكل سريع القطعات التي تألّف منها عسكر ابن زياد، وهي وإن لم يصرّح بها التاريخ تصريحاً واضحاً، إلّا أنّها تتكشّف للمتأمّل بسرعة حينما يقرأ النصّ.

ولا يخفى أنّ القطعات التي سنذكرها من خلال استنطاق النصّ التاريخي تنتظم في العسكر الذي باشر الممارسات العسكرية يوم حصار القصر، ويمكن أن يتوسّع الباحث في التنقيب والتنقير، فيحصي أصحاب الرايات والقطعات التي كانت منتظمة من قبل ضمن جيش السقيفة المتواجد في الكوفة باعتبارها مركز الجند وثكنة العسكر، أو التي ميّزها ابن زياد في الأرباع كما روى البلاذري والطبري:

فقال ابن زياد للناس: تميّزوا أرباعاً

فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربعهم[١] ....

القطيع الأوّل: عسكر مذحج بقيادة عمرو بن الحجاج

كانت مذحج من أكبر القبائل التي قطنت الكوفة واستوطنت فيها، وقد أطلق على قبيلة مذحج لفظ «شعب»، لأنّ القبائل تشعّبت منها، فهي من القبائل الرئيسية في العرب، وتكون بمنزلة الرأس للأنساب[٢]، ومن فصائل قبيلة مذحج «مراد»، و«زبيد»، «عنس»، و«بني سعد العشيرة» و«جعفي النخع»[٣] ....

وكانت مذحج قبيلة مقاتلة حتّى عرفت

---

١. أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤، تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

٢. انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العلمي للأستاذ حسن الحكيم: ١٣٢.

٣. انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العلمي للأستاذ حسن الحكيم: ١٣٦.

بعض حروبها بالأيام، كيوم البيداء بين عدوان ومذحج، ويوم السلان، ويوم خزاز بين مذحج وربيعة، وقد احتكت ببعض القبائل، فأدّى الاحتكاك إلى حروب، كحربها مع قبيلة سليم وقبيلة عامر بن صعصعة، وقبيلة تميم، وغيرها، وقد صارعت قبيلة همدان وقضاعة وطيء والأزد وكندة ونجد[١] ....

وكان لمذحج دور كبير وإسهام فاعل في المعارك والحروب التي جرت في العراق، وقد شاركت المرأة المذحجية في القتال في أيام القادسية، فكانت نساء النخع وبجيلة يقمن بمهام قتالية، وبقي المذحجيون يواصلون القتال في القادسية ومعارك المدائن وجلولاء ونهاوند[٢] ....

---

١. انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العلمي للأستاذ حسن الحكيم: ١٣٤.

٢. انظر: الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العلمي

وهذه القبيلة التي تعدّ من أكبر وأضخم القبائل في الكوفة، قد خرجت قبل أن يرفع المولى شعاره «يا منصور» لتعلن الطاعة وملازمة الجماعة، وقد خرجت لهذا المهم خروجاً منظماً تحت قيادة عمرو بن الحجاج الزبيدي، وأثبتت من خلال ائتمارها بأمره وتخليّها عن زعيمها هاني أنّها في سلك الطاعة للقرود الأموية وأذنابها.

وقد بقي هذا الوغد أميراً في جيش السقيفة، وخرج لقتال سيّد الشهداء عليه السلام على آلاف من المحاربين في كربلاء، وكان على المشرعة لمنع سيّد الشهداء عليه السلام ومن معه عن الماء.

روى ابن الأثير في الكامل والسيّد ابن طاووس في اللهوف، واللفظ للأخير:

قال الراوي: وبلغ عمرو بن الحجاج أنّ

← للأستاذ حسن الحكيم: ١٣٧ وما بعدها.

هانياً قد قتل، وكانت رويحة بنت عمرو هذا تحت هاني بن عروة، فأقبل عمرو في مذحج كافّة حتّى أحاط بالقصر، ونادى:

أنا عمرو بن الحجاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة[١].

وهذا الطاغي الفاسد يعني ما يقول، وكلماته لها دلالات واضحة لا لبس فيها ولا تغبيش، وقد تقدّم نحو القصر يقود الزبد المتعفّن الممتثل لأوامره، المطيع لرأيه إطاعة عمياء تستعد معها للتخلّي عن مطلبها في إنقاذ زعيمها وسيّدها، فنادى فيهم بالرجوع فرجعوا!!!

فهم في قبضة ابن زياد وعلى أمره وطوع إرادته، وكلّهم على الحقّ وأنصاره منذ تلك الساعة ـ على الأقل ـ.

---

١ ـ الكامل في التاريخ: ٤ / ٣٠، واللهوف: ٤٧.

القطيع الثاني: عسكر كثير بن شهاب

روى الطبري وابن الأثير وغيرهما، واللفظ للأوّل:

... ودعا عبيد الله كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي، فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير بالكوفة[١].

من الواضح جدّاً أنّ قوله «فيمن أطاعه» يشير بصراحة إلى وجود ناس قد دخلوا تحت راية المأمور كثير بن شهاب والقعقاع وشمر وغيرهم من الأسماء المنصوص عليها، فهم قادة ولهم أتباع، وقد صدرت إليهم الأوامر بالتحرّك في قطعات للنزول إلى الساحة، وصدور الأمر إلى القائد يكفي عن التفصيل.

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩، الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١.

القطيع الثالث: عسكر القعقاع الهذلي

وفي تاريخ الطبري أيضاً :

وقال مثل ذلك ـ أي أن يخرج بمن أطاعه ـ للقعقاع بن شور الذهلي، وشيث بن ربعي التميمي، وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري[١] ....

وروى الطبري قال : فلمّا رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه، أخذ يتنحّى ويتأخّر، وأرسل القعقاع بن شور الذهلي إلى محمد بن الأشعث : قد جلت على ابن عقيل من العرار، فتأخّر عن موقفه، فأقبل حتّى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين.

فلمّا اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، قال له كثير ـ وكانوا مناصحين لابن زياد ـ :

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواء، فأخرجه[١]..

وكانت المجاميع الخارجة مع هؤلاء من الكثرة والكثافة بحيث كانت تشكّل سدّاً يقطع الطريق أمام الحشود المتجمّعة في الميدان.

قال ابن الأثير:

وكان فيمن قاتل مسلماً محمّد بن الأشعث وشبث بن ربعيّ التميميّ والقعقاع بن شور، وجعل شبث يقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا، فقال له القعقاع:

إنّك قد سددت عليهم وجه مهربهم فافرج لهم يتفرّقوا[٢].

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠.

٢. الكامل في التاريخ: ٤ / ٣١.

فقوله «إنّك سددت عليهم وجه مهربهم» يكشف عن وجود عسكر يكفي لسدّ وجه المهرب على تلك الجموع، وأنّها كانت في محاصرة كاملة....

القطيع الرابع: عسكر حجّار بن أبجر العجلي

في تاريخ الطبري: وقال مثل ذلك ـ أي أن يخرج بمن أطاعه ـ للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري[١]....

القطيع الخامس: عسكر محمد بن الأشعث

في تاريخ الطبري: ... وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت[٢]....

---

١ ـ تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

٢ ـ تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

وقال ابن الأثير: وكان فيمن قاتل مسلماً محمّد بن الأشعث وشبث بن ربعيّ التميميّ والقعقاع بن شور، وجعل شبث يقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا، فقال له القعقاع: إنّك قد سددت عليهم وجه مهربهم فافرج لهم يتفرّقوا[١].

وقال الطبري: وخرج محمد بن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به الى ابن زياد فحبسه، فبعث ابن عقيل الى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن ابن شريح الشبامي.

فلمّا رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه، أخذ يتنحّى ويتأخّر، وأرسل القعقاع بن شور الذهلي إلى محمد بن الأشعث: قد جلت

---

١. الكامل في التاريخ: ٤ / ٣٦.

على ابن عقيل من العرار، فتأخّر عن موقفه، فأقبل حتّى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين[١] ....

القطيع السادس: عسكر الحرس والشرطة

قال الدينوري بعد أن روى أحداث تفرّق الناس:

... فخرج ـ أي الدعي ابن الدعي ابن زياد ـ فيمن كان معه، وجلس في المسجد، ووضعت الشموع والقناديل، وأمر منادياً فنادى بالكوفة:

ألا برئت الذمّة من رجل من العرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد.

فاجتمع الناس، ثم قال:

يا حصين بن نمير ـ وكان على الشرطة ـ ثكلتك أمّك إن ضاع باب سكّة من سكك الكوفة، فإذا أصبحت فاستقرء الدور،

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠.

داراً، داراً، حتّى تقع عليه[١].

وهذا النصّ يفيد أنّ ابن زياد كان له حرس وشرطة منتشرون في الكوفة، أمر أن يجتمعوا إليه، وكان للشرطة رئيس وقائد، وهو «الحصين بن نمير»، وكان للحصين هذا أفراد وقوّة تؤهّله لاستبراء بيوت الكوفة....

وقال اليعقوبي في تاريخه:

ففهم ابن زياد، فقام فخرج من عنده، ووجه بالشرط يطلبون مسلماً[٢]....

القطيع السابع: عسكر شمر بن ذي الجوشن

قال الطبري: وقال مثل ذلك ـ أي أن يخرج بمن أطاعه ـ للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر

---

١. الأخبار الطوال: ٢٣٨.

٢. تاريخ اليعقوبي (ت ٢٩٢): ٢ / ٢٤٣.

العـــجلي وشمـــر بـــن ذي الجـــوشن العامري[١] ....

القطيع الثامن: عسكر الوجوه والأشراف!

في خبر عمار الدهني ـ وهو حديث طويل رواه الطبري ـ: ... وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فلمّا سار إليه مسلم فانتهى إلى باب القصر أشرفوا على عشائرهم، فجعلوا يكلّمونهم ويردّونهم[٢]..

وقال الطبري أيضاً في حديث طويل:

... وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار الرومين[٣] ....

وقال ابن حجر:

... وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.
٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.
٣. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

فجمعهم عنده في القصر، فأمر كلّ واحد منهم أن يشرف على عشيرته فيردّهم[١]..

وقال ابن الأثير:

... وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الّذي يلي دار الروميّين[٢]....

هؤلاء السفلة الذين يسمّونهم الشرفاء إنما حازوا هذا الاسم باعتبار أنّهم وجوه معروفة لها أتباع وأنصار وذيول..

القطيع التاسع: عسكر شبث بن ربعي

قال الطبري: وقال مثل ذلك ـ أي أن يخرج بمن أطاعه ـ للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري[٣]....

---

١. الإصابة لابن حجر: ٢ / ٧٠.

٢. الكامل لابن الأثير: ٤ / ٣١.

٣. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

وفي الكامل لابن الأثير: وكان فيمن قاتل مسلماً محمّد بن الأشعث وشبث بن ربعيّ التميميّ والقعقاع بن شور، وجعل شبث يقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا، فقال له القعقاع: إنّك قد سددت عليهم وجه مهربهم فافرج لهم يتفرّقوا.

وفي تاريخ الطبري تصريح بعقد اللواء لشبث بن ربعي:

... فلمّا اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، قال له كثير ـ وكانوا مناصحين لابن زياد ـ: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواء، فأخرجه[1]..

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠.

القطيع العاشر: عسكر عمرو بن حريث

قال الطبري: ... وقد عقد لعمرو بن حريث راية وأمّره على الناس[١]....

❊❊❊

هذه القطعان العشرة التي أحصيناها على عجل خرج كلّ قائد لها بالزيد الذي تبعه وعقد له راية، لأنّ مفهوم قول الدعي «اخرج بمن أطاعك» يعني تخويله وتأميره وعقد الراية له.

وهذا الإحصاء البسيط يكشف زيف الإدعاء التاريخي الذي يؤكّد بقاء ابن زياد في بداية الأمر وحده لا ناصر له ولا أتباع، ثم تحوّل الناس إلى جهته بفعل خططه وسياساته!

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

عدد عسكر المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

اختلف المؤرّخون في العدد الذي لبّى نداء المولى مسلم بن عقيل عليه السلام :

فهم عند ابن سعد أربعمائة من الشيعة :

«وبلغ الخبر مسلم بن عقيل ، فخرج في نحو من أربعمائة من الشيعة» .

وعند البلاذري أربعة آلاف من أصل ثمانية عشر ألف : «وأتى مسلماً خبر هانئ ، فأمر أن ينادي في أصحابه ، وقد تابعه ثمانية عشر ألف رجل ، وصاروا في الدور حوله ، فلم يجتمع إليه إلّا أربعة آلاف رجل ، فعبأهم ثم زحف نحو القصر»[١] .

ويفيد الدينوري من خلال جمع عبارتين له أنّهم ثمانية عشر ألف رجل :

«ولمّا بلغ مسلم بن عقيل قتل هانئ بن

---

١ . أنساب الأشراف للبلاذري : ٢ / ٨١.

عروة نادى فيمن كان بايعه، فاجتمعوا.... فتقدّموا جميعاً حتّى أحاطوا بالقصر، واتبعهم هو في بقيّة الناس»[١].

وقال قبل ذلك:

«ولم يزل مسلم بن عقيل يأخذ البيعة من أهل الكوفة حتّى بايعه منهم ثمانية عشر ألف رجل»[٢]....

وفي أحدى روايات الطبري أربعة آلاف من أهل الكوفة:

«فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمته»....

وفي الرواية الأخرى الطبري تداعى له أهل الكوفة حتّى امتلأ المسجد والسوق وزيادة:

---

١. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.

٢. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٥.

عن عبد الله بن خازم في خبر طويل:

قال: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هانئ....

فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه، وقد ملأ منهم الدور حوله، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً، وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي: ناد: يا منصور أمت، فناديت: يا منصور أمت، وتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه... ثم أقبل نحو القصر..

وفي خبر عباس الجدلي!:

خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن ثلاثمائة....

قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتّى أحاط بالقصر، ثم إنّ الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فو الله ما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق،

وما زالوا يثوبون حتّى المساء...»[١].

وفي الرواية الثالثة الطبري لم يحدّد العدد بالضبط، وإنما عبّر عنهم ناس كثير.

«فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير».

وعند ابن أعثم: ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون..

«وأقبل مسلم بن عقيل ـ رحمه الله ـ في وقته ذلك عليه وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون...»[٢].

واجتمعوا على قول المسعودي دفعة واحدة ثمانية عشر ألف رجل!!

«فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار إلى ابن زياد»[٣].

وهم عند ابن حبّان: ثلاثة آلاف فارس..

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.
٢. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٩.
٣. مروج الذهب: ٣ / ٥٨.

«ثم ركب مسلم بن عقيل في ثلاثة آلاف فارس يريد عبيد الله بن زياد»[١].

وعند أبي علي مسكويه مثل أحدى روايات الطبري:

«وبعث مسلم بن عقيل من يأتيه بالخبر. فأتوه بالخبر على وجهه. وأمر أن ينادى بشعاره: يا منصور أمت وكان قد بايعه ثمانية عشر ألف رجل. فاجتمعوا إليه. فعقد لجماعة على الأرباع. وقدّم أمامه صاحب ربع كندة. وأقبل نحو القصر. فتحرّز عبيد الله. وغلّق الأبواب. وسار مسلم حتّى أحاط بالقصر. وتداعى الناس. واجتمعوا. حتّى امتلأ المسجد والسوق. وما زالوا يتوثّبون حتّى المساء»[٢].

وعند ابن شهرآشوب: ثمانية آلاف!!

---

١. الثقات لابن حبان: ٢ / ٣٠٨.
٢. تجارب الأمم لمسكويه: ٢ / ٤٩.

«ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل في أربعة آلاف كانوا حواليه فاجتمع إليه ثمانية آلاف ممّن بايعوه»[١] ....

وعند ابن الجوزي في المنتظم: أربعة آلاف..

«فنادى مسلم أصحابه، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة آلاف»[٢] ....

وعند ابن الأثير: ذكر أعداد المبايعين والمجتمعين حوله ثم جمعهم بقوله «ناس كثير».

«وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى في أصحابه: يا منصور أمت! وكان شعارهم، وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً وحوله في الدور أربعة آلاف، فاجتمع إليه ناس كثير ...»[٣].

---

١. المناقب لابن شهرآشوب تحقيق السيّد علي أشرف: ١٠ / ٣١٧.
٢. المنتظم: ٥ / ٣٢٦.
٣. الكامل في التاريخ: ٤ / ٣٠.

وعند ابن نما : جماعة ممّن بايعه ..

«ولمّا بلغ مسلم بن عقيل خبره، خرج بجماعة ممّن بايعه»[١] ....

وعند ابن طاووس : لم يحدّد العدد وإنما خرج بمن بايعه ..

«وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل فخرج بمن بايعه إلى حرب عبيد الله بن زياد»[٢] ..

وقال ابن كثير :

«فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة ..»[٣] .

وهم عند ابن حجر : أربعون ألفاً!! من أهل الكوفة ....

«ونادى مسلم بن عقيل لما بلغه الخبر بشعاره، فاجتمع عليه أربعون ألفاً من أهل

---

١ . مثير الأحزان لابن نما: ٣٤.

٢ . اللهوف للسيّد ابن طاووس: ٤٧.

٣ . البداية والنهاية لابن كثير: ٨ / ١٥٤.

الكوفة»[١]..

الأعداد باختصار

فتكون الأعداد باختصار:

ابن سعد: ٤٠٠ من الشيعة.

البلاذري: ٤٠٠٠ من أصل ١٨٠٠٠.

الدينوري: ١٨٠٠٠. الطبري ١٤٠٠٠.

الطبري ٢: تداعى له أهل الكوفة حتّى امتلأ المسجد والسوق وزيادة على تفصيل في الانقباض والانبساط.

الطبري ٣: معه ناس كثير.

ابن أعثم: ١٨٠٠٠ أو يزيدون.

المسعودي: ١٨٠٠٠ اجتمعوا دفعة واحدة!

ابن حبان: ٣٠٠٠ فارس.

ابن شهرآشوب: ٨٠٠٠.

ابن الأثير: ناس كثير كما صرّح.

---

١. الإصابة لابن حجر: ٢ / ٧٠.

ابن غنا : جماعة .

ابن حجر : ٤٠٠٠٠ .

فإذا حملنا عبارات «بمن بايعه» للسيّد ابن طاووس ، و«جماعة» ، و«ناس كثير» ، و«امتلأ المسجد والسوق» ، وغيرها على الإجمال ، وذكر الأعداد على التفصيل نرى الأعداد تتراوح بين الأربعمائة إلى الأربعين ألفاً .

ووقوع الاشتباه في التخمين بين الأربعمائة والأربعين ألفاً لا يقبل من مثل الأعمى ، فربما استطاع أن يميّز بسمعه الفرق بينها ، وهم حسب الفرض جيش يموج بعضه على بعض .

وكذا الكلام في باقي الأعداد ومقارنتها إلى بعضها من قبيل الأربعمائة بالمقارنة إلى الأربعة آلاف ، والأربعة آلاف بالمقارنة إلى الثمانية عشر ألف ، والثمانية آلاف إلى باقي الأعداد وهكذا ....

الاجتماع التدريجي

ربما يقال: إنّهم اجتمعوا تدريجياً وروى كلّ مؤرخ مشاهدات راويه، وبهذا يفسّر هذا الاختلاف الحاصل في تقدير العدد.

ويناقش هذا التفسير لسببين:

السبب الأوّل:

لوجود شواهد في عبارات بعض المؤرّخين تنفي هذا التفسير من قبيل قول المسعودي: «فاجتمع إليه في وقت واحد»، وخبر الطبري وغيره الذي فصّل بين العدد المذكور ساعة الانطلاق وتناقصه، ثم تداعي الناس حتّى امتلأ المسجد والسوق....

السبب الثاني:

إنّ كلام المؤرّخ ينصبّ ـ كما هو ظاهر عباراتهم ـ على الذين أجابوا النداء حين ارتفع الشعار، فهم جميعاً يتحدّثون عن وقت واحد لا عن أوقات مختلفة.

ثمانية عشر ألفاً

أمّا عدد الأربعون ألفاً عند ابن حجر، فهو خبر شاذ تفرّد به حسب فحصنا، وربما كان تصحيفاً كما يقوى في النظر.

فيبقى أكبر الأعداد «الثمانية عشر ألفاً»، وهذا العدد يمكن أن يلاحظ عليه الملاحظات التالية:

الملاحظة الأولى: التخمين

لم تتوفّر لدينا إحصائيات دقيقة غير أنّ الواضح من عبارات الراوي والمؤرّخ أنّ العدد المذكور لم يكن سوى تخمين من خلال العدد المرصود في المبايعة، فهم يفترضون أنّ من بايع أجاب.

ومن ذا جلس على قارعة الطرق المؤدّية إلى المسجد والقصر وأسقط من سبحته خرزة لكلّ مقاتل مرّ عليه؟!

وكلّ ما ذكر من الأعداد قائم على

التخمين، إلّا ما ورد فيه نصّ صريح بالإحصاء، أو ورد عن معصوم.

الملاحظة الثانية: اجتماع العدد

لا يخفى أنّ النداء بالشعار كان مفاجئاً، وقد جرت أحداث القصر كلّها في أقلّ من نهار كامل، ومن هنا يتردّد الناظر في مجريات الأحداث في قبول إمكان اجتماع هذا العدد الهائل في غضون فترة قصيرة مهما كانت الكوفة صغيرة، بل مهما كانت الجموع مستعدّة وجاهزة للإجابة.

ومن البديهي أنّ هذه الجموع كانت منتشرة في الكوفة منصرفة إلى اهتماماتها اليومية، ومنهمكة في شؤون حياتها، ولم تكن متكردسة في قطعات، ولا محتشدة في ساحة قتال تحت الرايات، حتّى لو فرضناها أنّها كانت في حالة إنذار نتيجة الظروف، غير أنّها كانت في إنذار وهي في دورها

وضياعها ومناهجها وأسواقها وباقي مشاغلها الحياتية الأخرى.

الملاحظة الثالثة: انتشار جند ابن زياد

لم تكن الكوفة متفلتة من عسكر السفيفة وأتباع الجرو الأموي كما بيّنا ذلك أثناء الحديث عن عسكر ابن زياد. وكانت الشرطة والجند منتشرون في المناهج والسكك، يراقبون الخطط عن كثب. فقد روى الطبري قال:

إنّ كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له «عبد الأعلى بن يزيد»، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتّى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنما أردتك، قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟! فأمر به فحبس.

وخرج محمد بن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب

الأزدي وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه[١].

وكان هؤلاء العفاريت يشكّلون عائقاً وسدّاً منيعاً أمام حركة القادمين جهة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام.

الملاحظة الرابعة: تفرّقهم

إذا افترضنا أنّ هذا العدد اجتمع للمولى، وقد تفرّق قبل وصوله إلى القصر كما هو المتفق عليه ـ تقريباً ـ، أو أنّه تفرّق بعد وصوله لكن بعد اشتداد حملات التهديد والتخذيل، وعلى كلّ الاحتمالات فإنّ تفرّقهم حصل بين الفترة الواقعة بين قبيل المغرب والمغرب وفق ما ورد في المصادر من استمرار خطاب المخذّلين حتّى كادت الشمس أن تجبّ.

فكيف نتصوّر تفرّق هذا العدد الكبير في

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠.

غضون تلك الفترة القصيرة؟!

ولو فرضناهم قد تفرّقوا خلال المسيرة نحو القصر، كما أفادت بعض الأخبار، فكم هي المسافة من مراد إلى القصر حتّى يتسنّى لهذه الأعداد الغفيرة بالتسلّل والانصراف.

هذا! وقد أكّدت المصادر التاريخية أنّ مذحج بما فيها مراد كانت تسكن في جهة القبلة من المسجد.

وجهة القبلة تمتدّ إلى جهة النجف، والمسافة بين قبر أمير المؤمنين عليه السلام ومسجد الكوفة لا تبلغ عشرة كيلومترات، وكانت حدود الكوفة البلدية تنتهي عند الخندق المسمّى بخندق سابور أو كري سعد «سعدة»، والمسافة بين مسجد الكوفة والخندق ليست بعيدة، حتّى قال أبو محمد موسى بن إسحاق بن طلحة:

كنت أجلس في المسجد الأعظم قبل أن يبنيه زياد، وليست له مجنبات ولامواخير،

فأرى منه دير هند وباب الجسر، ودير هند واقع بحضرة خندق الكوفة ممّا يلي الخندق[١]. وبالتقدير المعاصر تزيد المسافة بين المسجد الأعظم والكري عن الكيلومترين قليلاً..

فكيف نتصوّر تفرّق هذه الأعداد الغفيرة في مسافة أقلّ من ذلك بكثير. إلّا أن نقول أنّها كانت تدخل وتخرج في نفس الوقت، وهذا ما يمنعنا من تصويره كعسكر اجتمع لتلبية النداء.

الملاحظة الخامسة: عدم ثبات المبايعين

لا نشكّ أنّ جماعة ممّن بايع المولى لم يثبت على بيعته وباع دينه بدنيا غيره، وكان لدخول ابن زياد الكوفة أثره البالغ في تغيير مواقف جملة من الضعفاء والانتهازيين

---

١ ـ انظر الكوفة بين العمق التاريخي والتطوّر العلمي للأستاذ حسن الحكيم: ٧٠ ـ ٦٠.

وأتباع السقيفة، وغيرهم من القطعان التي كانت في صفّ الحقّ لأيّ داعي من الدواعي، ثم مالوا إلى مواقعهم الحقيقية التي تكشف عن نيّاتهم ومعتقداتهم، أو أنّهم انحازوا إلى انتمائهم القبلي وغير ذلك.

ويؤكّد ذلك ما ورد في المصادر من التصريح بأنّ الذين أجابوا هم أربعة آلاف من أصل ثمانية عشر ألفاً.

فلا يمكن والحال هذه أن نتصوّر أنّ عدد الثمانية عشر ألفاً بقي على حاله لم ينقص أبداً في خضم تلك الأحداث.

الملاحظة السادسة:

اشتهار غيره من الأعداد

بناءاً على ما مرّ ذكره في استعراض المصادر التي ذكرت الأعداد نرى أعداداً أخرى غير هذا العدد تتراوح بين الأربعمائة والأربعة آلاف، وقد اشتهر العدد الأخير في

المصادر، وورد في مصادر يعتدّ بها تاريخياً ويهتمّ بها أهل الاختصاص والتحقيق.

فما هي الضرورة لقبول عدد الثمانية عشر ألفاً، مع ما يمكن أن يرد عليه من الملاحظات، وعدم التحقّق منه بالإحصاء.

الملاحظة السابعة:

المناقشة في ما يربو على هذا العدد

إنّ المناقشة في هذا العدد هي بالتالي مناقشة للأعداد التي تربو عنه وتزيد، وهي مع كونها نادرة وشاذة ترد فيها نفس المناقشات.

الملاحظة الثامنة: يبقى العدد أقلّية

أشرنا أكثر من مرّة أنّنا لو افترضنا أنّ العدد الذي لبّى النداء كان ثمانية عشر ألفاً، فإنّه يبقى أقلّية بالنسبة إلى الحشود الهائلة بالأعداد الكبيرة المنضوية تحت راية الضلال وفي عسكر الجرو الأموي، وقد

فصّلنا ذلك أثناء الحديث عن عسكر ابن زياد.

النتيجة:

تبيّن من جميع ما ذكرناه سابقاً أنّ من استجاب لسيّد الشهداء وسفيره مسلم بن عقيل عليهما السلام سواء بالبيعة أو بتلبية النداء عند رفع الشعار هم الأقلّية، بل أقلّية قليلة من مجموع سكان الكوفة يومذاك، وذلك على فرض اعتبار أعلى الأرقام المنصوص عليها في التاريخ من التابعين أو المبايعين.

المجاميع التي لبّت النداء

وكيف كان! يمكن تقسيم العسكر الذي أجاب النداء بحسب الثبات إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: الذين لبّوا النداء ولم يثبتوا

كانت هذه المجموعة هي المجموعة الأكبر، والتي تشكّل الأكثرية الكاثرة في عسكر المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، وقد تجمّع خليطهم المعقّد وتفرّق خلال ساعات من ذلك اليوم العصيب، فخذلوا الحقّ ونصروا الباطل. وكان من عوامل تخاذلهم وانجحارهم ما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

المجموعة الثانية: الذين لبّوا النداء وثبتوا

سنأتي على دراسة هذه المجموعة في

دراسة مستقلّة أثناء الحديث عن الليلة الأخيرة من وجود المولى الغريب في الكوفة إن شاء الله تعالى.

رايات المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

يختلف التقسيم المدني الاجتماعي عن التقسيم العسكري للجيش الذي يريد أن يدخل القتال وساحة الوغى، وإن كان الأساس في التقسيم المدني يقصد به التنسيق المسبق والبقاء على حالة الجهوزية وتيسير تقسيم المؤن والرواتب والعطاء.

فنحن نعلم أنّ عسكر السقيفة الذي خرج لقتال سيّد شباب أهل الجنة عليه السلام لم يقسم من الكوفة إلى ميمنة وميسرة وقلب إلّا صبيحة يوم العاشر حينما اصطف الجيشان للقتال، كما أنّ سيّد الشهداء عليه السلام أيضاً لم يقسم عسكر التوحيد إلّا صبيحة عاشوراء.

وقد اختلفت المصادر في بيان تقسيم أفراد المولى مسلم بن عقيل عليه السلام إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المصادر التي لم تذكر التقسيم

نقلت جملة المصادر القديمة أحداث القصر دون الإشارة إلى أيّ تقسيم. قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة:

وبايع له مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفاً من أهل الكوفة، فنهضوا معه يريدون عبيد الله بن زياد، فجعلوا كلّما أشرفوا على زقاق، انسلّ عنه منهم ناس[١]....

وقال البلاذري في أنساب الأشراف:

... فبلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج في أناس كثير.

قال حصين: فحدّثني هلال بن اساف قال:

ثم إنهم (لقد) تفرّقوا عنه، فلمّا قلّت الأصوات فقيل لابن زياد: ما نرى معه كبير أحد، فأمر فرفعت جرادي فيها النار حتّى

---

١. الإمامة والسياسة: ٢ / ٨.

نظروا، فإذا ليس مع مسلم إلّا قدر خمسين[١]....

وقال ابن سعد في الطبقات:

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج في نحو من أربع مائة من الشيعة. فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو ستّين رجلاً. فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة[٢]....

وقال اليعقوبي: ٢/٢٤٣

... ووجه (أي ابن زياد) بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه[٣]...

وقال ابن أعثم في الفتوح:

وأقبل مسلم بن عقيل ـ رحمه الله ـ في وقته ذلك عليه وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام وشاكوا السلاح[٤]...

---

١. أنساب الأشراف: ٣/ ٣٢٤.
٢. الطبقات الكبرى: خ ١/ ٤٦١.
٣. تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٤٣.
٤. الفتوح لابن أعثم: ٥/ ٤٩.

وقال المسعودي في مروج الذهب:

ولمّا بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانئ، أمر منادياً فنادى «يا منصور» وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها، فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل، فسار الى ابن زياد، فتحصن منه[١]...

وقال الطبري في أحدى رواياته:

ثم ضرب عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير، فبلغ ابن زياد ذلك، فأمر بباب القصر فأغلق[٢]...

وكذا لم يذكر التقسيم العسكري للجيش كلّ من:

ابن شهرآشوب في المناقب، والسيّد ابن طاووس في اللهوف[٣]، وابن حجر في

---

١. مروج الذهب: ٣ / ٥٨.

٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

٣. المناقب لابن شهرآشوب: ١٠ / ٣١٧، اللهوف: ٤٧. المنتظم: ٥ / ٣٢٦، إمتاع الأسماع: ٥ / ٣٦٣.

الإصابة، وابن الجوزي في المنتظم، والمقريزي في إمتاع الأسماع، وغيرهم.

القسم الثاني:

المصادر الذي ذكر التقسيم وفق التشكيلة الاجتماعية (التقسيم المدني)

ذكرت هذه المصادر التقسيم المدني المتعارف عليه يومذاك، وهو تقسيم معمول به دائماً سواء في حالة الحرب أو السلم، لأنّه أقرب إلى التقسيم الاجتماعي والإداري منه إلى التقسيم العسكري.

ولا تقارن مصادر هذا القسم بمصادر القسم الأوّل كمّاً ووزناً.

فقد روى الدينوري في الأخبار الطوال، وابن الأثير في الكامل:

ولمّا بلغ مسلم بن عقيل قتل هانئ بن عروه نادى فيمن كان بايعه، فاجتمعوا.

فعقد لعبد الرحمن بن كريز الكندي على

كندة وربيعة.

وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد.

وعقد لأبي ثمامة الصيداوي على تميم وهمدان.

وعقد للعباس بن جعدة بن هبيرة على قريش والأنصار. فتقدّموا جميعاً حتّى أحاطوا بالقصر، واتبعهم هو في بقية الناس[١]..

وروى الشيخ المفيد في الإرشاد، قال:

فعقد مسلم لرؤوس الأرباع على القبائل كندة ومذحج وأسد وتميم وهمدان..

القسم الثالث: ذكر التقسيم العسكري

ورد التقسيم العسكري في تاريخ الطبري، على شكلين:

---

١. الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.

الشكل الأوّل:

فيه تصريح بالميمنة والميسرة والمقدّمة والقلب، غير أنّه مقتضب لم يذكر الأسماء.

قال في رواية الدهني الطويلة:

فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمته، وعبّى ميمنته وميسرته، وسار في القلب الى عبيد الله[١]..

الشكل الثاني:

مزج فيه بين التشكيلة المدنية والتشكيلة العسكرية، حيث قسّمهم إلى خيالة ورجالة، وأمّر عليهم حسب الأرباع.

روى الطبري في التاريخ وأبو الفرج في المقاتل:

.. فاجتمعوا إليه، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.

وربيعة، وقال: سر أمامي في الخيل.

ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وقال: انزل في الرجال فأنت عليهم.

وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان.

وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة، ثم أقبل نحو القصر[١]..

تقسيم غريب:

قال ابن كثير في البداية والنهاية:

وسمع مسلم بن عقيل الخبر، فركب ونادى بشعاره «يا منصور أمت»، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، وكان معه المختار بن أبي عبيد، ومعه راية خضراء، وعبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء، فرتبهم ميمنة وميسرة وسار هو في القلب

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩.

إلى عبيد الله ...

يلاحظ التقسيم العسكري بالميمنة والميسرة والقلب رغم ما في الخبر من غرابة ..

النتيجة:

تبيّن ممّا مرّ أنّ المصدر الأوّل ـ حسب فحصنا ـ الذي ذكر التقسيم العسكري لجيش مواجهة يصطف للقتال إنما هو الطبري، في أحدى روايتيه. أمّا روايته الثانية فهي مزيج من التقسيمين.

أمّا المصادر التي سبقت الطبري وذكرت التقسيم، فهي إنما ذكرته وفق التشكيلة المدنية، وقد سبق في ذلك الدينوري في الأخبار الطوال.

أمّا باقي المصادر فهي لم تذكر تقسيماً.

فإذا افترضنا أنّ من جاء بعد الطبري إنما أخذ عنه روايته المجملة، كما هو ظاهر الحال،

يلزم أن يكون الطبري قد تفرّد بخبر التقسيم العسكري عند اصطفاف الجيوش، بالميمنة والميسرة والقلب.

❊❊❊

وإذا اعتمدنا غير الطبري، نرى أغلب المؤرّخين الذين ذكرناهم لا يصوّرون المشهد ضمن إطار اصطفاف الجيوش وتقابل العساكر، بل حتّى الدينوري والشيخ المفيد أيضاً لم يرسموا لنا صورة جيش نظامي ينضوي أفراده تحت قطعات تمثّل عسكر المواجهة بالمعنى الكلاسيكي المتعارف عليه يومذاك، كتقسيم القلب والجناحين..

وحينئذٍ تتخرق الصورة التي رسمها لنا الطبري، ويتحوّل الجمع الملبي للنداء إلى مزيج متراكم، وزبد متدافع يطفح بعضه فوق بعض، لا يميّز فيه المقاتل عن المتفرّج، والمندفع للقتال عن المتدافع لركوب الموجة،

والخارج ملبياً للنداء عن الخارج للالتحاق بعسكر الضلال، ولا الميمم وجهه للمسجد لنصرة الحقّ عن اللاهث إلى قصر الخبال خوفاً من تهديد ابن الأمة الفاجرة.... سيما أنّ النداء وتكدس الأفراد مؤمنهم ومنافقهم قد تمّ في أقلّ من يوم أو بعض يوم.

تعبئة العسكر

ورد نوعان من التعبئة في مصدرين سابقين:

النوع الأوّل: تعبئة الدينوري

كان المجتمع الكوفي يومذاك مقسماً وفق التشكيلة العشائرية والقبلية، وكان هذا التقسيم يعتمده الوالي في توزيع العطاء ومتابعة الأفراد وملاحقتهم.

ويعدّ هذا التقسيم أيضاً الأساس الذي تقوم عليه التعبئة العسكرية، فمن خلال العرفاء والزعماء القبليين يدعو الوالي أفراده

للالتحاق بالثغر المقصود.

فلا يعدّ هذا التقسيم تقسيماً عسكرياً بالمعنى الاصطلاحي المعهود تلك الأيام، فهم يخرجون من خلال التعبئة العشائرية، ثم يقتسمون إلى ميمنة وميسرة وقلب قبل أن تقوم الحرب على ساق.

وقد نصّ الدينوري على هذا نمط من التقسيم، فجاءت التعبئة على الشكل التالي:

القائد الأول: عبد الرحمن بن كريز الكندي على كندة، وربيعة.

القائد الثاني: مسلم بن عوسجة على مذحج، وأسد.

القائد الثالث: أبو ثمامة الصيداوي على تميم، وهمدان.

القائد الرابع: عباس بن جعدة بن هبيرة على قريش، والأنصار.

وأجمل الشيخ المفيد ﷺ ذلك بقوله: «فعقد

مسلم لرؤوس الأرباع على القبائل كندة ومذحج وأسد وتميم وهمدان».

النوع الثاني: تعبئة الطبري

وهي التعبئة العسكرية المعروفة يومذاك، وقد جاءت مجملة في إحدى روايتيه إذ قال:

«فقدّم مقدّمته، وعبّى ميمنته وميسرته، وسار في القلب الى عبيد الله ..».

وفي روايته الثانية مزج بين التعبئتين «الخيل والرجال والأرباع» بالصورة التالية:

القائد الأوّل: عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على كندة، وربيعة، في الخيل.

القائد الثاني: مسلم بن عوسجة الأسدي على مذحج، وأسد، في الرجال.

القائد الثالث: أبو ثمامة الصائدي على تميم، همدان.

القائد الرابع: عباس بن جعدة الجدلي على المدينة.

يلاحظ أنّ التقسيم هو نفس التقسيم الذي ذكره الدينوري غير ما فيه من اختلاف قد يكون تصحيفاً في القائد الأوّل فهو عند الدينوري:

«عبد الرحمن بن كريز الكندي»، وعند الطبري: «عبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي».

أو اختلاف في التفصيل والإجمال كقول الدينوري: «قريش، والأنصار» وقول الطبري: «المدينة».

وفي الطبري إضافة قوله «في الخيل... في الرجال»، ولولا ذكر هاتين الكلمتين كانت هذه الرواية أيضاً تصنّف في النوع الأوّل من التعبئة.

فلا يبقى إلّا رواية الطبري المجملة التي نصّت على التقسيم الاصطلاحي: «ميمنة وميسرة وقلب».

وبناءاً على التفصيل المذكور يصعب أن

نصوّر للمولى غريب الكوفة جيشاً مقاتلاً معبّئاً تعبئة عسكرية، وموزعاً ضمن رايات نظامية مميّزة.

والحال أنّ ابن الأمة الفاجرة كانت قطعاته جاهزة باعتباره جيشاً نظامياً رابضاً في حالة إنذار تام في معسكره، وهو رهن الإشارة.

أمّا الرعاع والزبد الطافح المتناثر في الكوفة، فقد حدّدت له زعامات أتينا على ذكرها عند الحديث عن قطعات عسكر ابن زياد.

ميدان القتال

تقسّم الأخبار التي روت لنا توجّه مولانا مسلم بن عقيل عليه السلام بمن أجاب النداء نحو القصر إلى أقسام:

القسم الأوّل: خروج دون مواجهة

الأخبار التي لم ترو لنا وقوع معركة ومواجهات مسلحة[1]. فهي خارجة عن محلّ بحثنا في هذا الموضع، إذ لا معركة حتّى نحدد موقعها.

---

١. سيأتي الكلام في هذا الموضوع عند الحديث عن مشاهد المعركة.

القسم الثاني: تراشق واحتكاك

الأخبار التي روت حصول تراشق بالنشاب أو بالمدر، فإنّها لا تعدّ معركة وحرباً، وإنما هو نوع تخويف استعمله المشرفون من فوق أسوار القصر، لئلا يقترب أحد منهم، وقد ورد هذا التعليل صريحاً في نصّ الخبر «فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتّى أمسوا».

القسم الثالث: وقوع القتال

أمّا الأخبار التي نصّت على وقوع قتال، فقد اختلفت في تحديد المكان بالضبط والدقّة، وإن كانت جميعها تنحصر في مساحة جغرافية محدودة لا تتباعد عن المسجد والقصر.

الرحبة

قال ابن سعد في الطبقات :

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل ، فخرج في نحو من أربع مائة من الشيعة . فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو ستّين رجلاً . فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة ثم دخلوا المسجد[١] ..

أطراف القصر

قال ابن أعثم في الفتوح :

وركب أصحاب عبيد الله واختلط القوم ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، وعبيد الله بن زياد وجماعة من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس[٢] .

---

١ . الطبقات الكبرى: خ ١ / ٤٦١.

٢ . الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٩.

وقال السيّد في اللهوف:

فتحصّن منه بقصر دار الإمارة واقتتل أصحابه وأصحاب المسلم، وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرّفون منه ويحذرون أصحاب مسلم ويتوعّدونهم بأجناد الشام.

ويبدو أنّ الرحبة وأطراف القصر تعبيران عن موضع واحد متقارب، لأنّ رحبة المسجد تمتدّ إلى قصر الإمارة.

المسجد الأعظم

قال الطبري: فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بحرادى فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

قال: فنزل فصعد المنبر وقال للناس:

تميّزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كلّ قوم الى رأس ربعهم، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحه ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا، فخرج مسلم[١]...

وفي هذه الرواية مناقشة كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الموضع الذي كان فيه مسلم عليه السلام

يفيد نصّ ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أنّ المعركة دارت بين المولى وبين المردة قرب مقرّ إقامته، وفي الموضع الذي كان يسكن فيه، وكذا هو مفاد عبارة اليعقوبي في التاريخ، قال ابن قتيبة:

وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر[٢].

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

٢. الإمامة والسياسة ابن قتيبة (ت ٢٧٦) ٢ / ٩.

جغرافية الأحداث

روى لنا الطبري في أثناء حديثه عن أحداث سنة (١٧) للهجرة، وتفاصيل بناء الكوفة في عهد الملك الثاني صورة لبناء المسجد وقصر سعد الذي بني قصر الإمارة إلى جانبه ومعه، وربما كانت هذه الصورة نافعة في تصوّر المنطقة التي دارت فيها أحداث يوم الشهيد المظلوم مسلم بن عقيل عليه السلام، لأنّ أحداثها وقعت في منطقة المسجد والقصر والرحبة.

روى الطبري عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد، قالوا:

لمّا أجمعوا على أن يضعوا بنيان الكوفة، أرسل سعد الى أبي الهياج فأخبره بكتاب عمر في الطرق، أنّه أمر بالمناهج أربعين ذراعاً، وما يليها ثلاثين ذراعاً، وما بين

ذلك عشرين، وبالأزقة سبع أذرع، ليس دون ذلك شيء، وفي القطائع ستّين ذراعاً إلّا الذي لبني ضبة.

فاجتمع أهل الرأي للتقدير، حتّى إذا أقاموا على شيء قسم أبو الهياج عليه، فأوّل شيء خطّ الكوفة وبنى حين عزموا على البناء المسجد، فوضع في موضع أصحاب الصابون والتمارين من السوق، فاختطوه، ثم قام رجل في وسطه، رام شديد النزع، فرمى عن يمينه فأمر من شاء أن يبني وراء موقع ذلك السهم، ورمى من بين يديه ومن خلفه، وأمر من شاء أن يبني وراء موقع السهمين.

فترك المسجد في مربعة غلوة من كلّ جوانبه، وبنى ظلّة في مقدمه، ليست لها مجنبات ولا مواخير، والمربعة لاجتماع الناس لئلا يزدحموا[1]...

---

١. تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤ وما بعدها.

معنى الغلوة ورمية السهم:

قال الفراهيدي في العين :

المغالي بالسهم : الرافع يده يريد به أقصى الغاية ، وكلّ مرماة منه غلوة .

والمغلاة : سهم يتّخذ لمغالاة الغلوة ، ويقال : المغلى بلا هاء في لغة ... والفرسخ التام : خمس وعشرون غلوة .

وقال الطريحي في مجمع البحرين :

الغلوة ـ وهي بالفتح ـ مقدار رمية سهم .

وعن الليث : الفرسخ التام خمس وعشرون غلوة .

وعن أبي شجاع في خراجه : الغلوة قدر ثلاث مائة ذراع إلى أربعمائة ..

فإذا كان الفرسخ خمسة آلاف متر (٥ كم) والذراع نصف متر يكون التقديران متفقان على أنّ الغلوة تكون مائتي متر تقريباً بحسابنا اليوم « ٥٠٠٠ م ÷ ٢٠٠ م = ٢٥» ، وكذلك « ٤٠٠ ذراع ÷ ٢٠٠ = ٢» .

عودة إلى رواية الطبري:

قال الطبري: وكذلك كانت المساجد ما خلا المسجد الحرام، فكانوا لا يشبهون به المساجد تعظيماً لحرمته.

وكانت ظلّته مائتي ذراع على أساطين رخام كانت للأكاسره، سماؤها كأسمية الكنائس الرومية، وأعلموا على الصحن بخندق لئلا يقتحمه أحد ببنيان.

وبنوا لسعد داراً بحياله بينهما طريق منقب مائتي ذراع، وجعل فيها بيوت الأموال، وهي قصر الكوفة اليوم، بنى ذلك له روزبه من آجر بنيان الأكاسرة بالحيرة، ونهج في الودعة من الصحن خمسة مناهج، وفي قبلته أربعة مناهج، وفي شرقيّه ثلاثة مناهج، وفي غربيه ثلاثة مناهج، وعلّمها.

فأنزل في ودعة الصحن سليماً وثقيفاً ممّا يلي الصحن على طريقين، وهمدان على طريق، وبجيلة على طريق آخر، وتيم اللات

على آخرهم وتغلب، وأنزل في قبلة الصحن بني أسد على طريق، وبين بني أسد والنخع طريق، وبين النخع وكنده طريق، وبين كندة والأزد طريق، وأنزل في شرقي الصحن الأنصار، ومزينة على طريق، وتميماً ومحارباً على طريق، وأسداً وعامراً على طريق، وأنزل في غربي الصحن بجالة وبجلة على طريق، وجديلة وأخلاطاً على طريق، وجهينة وأخلاطاً على طريق، فكان هؤلاء الذين يلون الصحن وسائر الناس بين ذلك، ومن وراء ذلك، واقتسمت على السهمان.

فهذه مناهجها العظمى، وبنوا مناهج دونها تحاذى هذه ثم تلاقيها، وأخر تتبعها، وهي دونها في الذرع، والمحال من ورائها، وفيما بينها، جعل هذه الطرقات من وراء الصحن، ونزل فيها الأعشار من أهل الأيام والقوادس، وحمى لأهل الثغور والموصل أماكن حتّى يوافوا إليها.

فلمّا ردفتهم الروادف، البدء والثناء، وكثروا عليهم، ضيّق الناس المحال، فمن كانت رادفته كثيره شخص إليهم وترك محلّته، ومن كانت رادفته قليلة أنزلوهم منازل من شخص إلى رادفته لقلّته إذا كانوا جيرانهم، وإلا وسّعوا على روادفهم وضيّقوا على أنفسهم.

فكان الصحن على حاله زمان عمر كلّه، لا تطمع فيه القبائل، ليس فيه إلّا المسجد والقصر، والأسواق في غير بنيان ولا أعلام...

وقد بنى سعد في الذين خطوا للقصر قصراً بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم، فشيّده، وجعل فيه بيت المال، وسكن ناحيته ثم إنّ بيت المال نقب عليه نقباً، وأخذ من المال...

فقال له دهقان من أهل همذان، يقال له روزبه بن بزرجمهر: أنا أبنيه لك، وأبني لك

قصراً فأصلها، ويكون بنياناً واحداً، فخطّ قصر الكوفة على ما خطّ عليه، ثم أنشاه من نقض آجر قصر كان للأكاسرة في ضواحي الحيرة على مساحته اليوم، ولم يسمح به، ووضع المسجد بحيال بيوت الأموال منه إلى منتهى القصر، يمنة على القبلة، ثم مدّ به عن يمين ذلك إلى منقطع رحبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والرحبة قبلته، ثم مدّ به، فكانت قبلة المسجد الى الرحبة وميمنة القصر، وكان بنيانه على أساطين من رخام كانت لكسرى بكنائس بغير مجنبات، فلم يزل على ذلك حتّى بني زمان معاوية بن أبي سفيان بنيانه اليوم، على يدي زياد.

ولمّا أراد زياد بنيانه دعا ببنائين من بنائي الجاهلية، فوصف لهم موضع المسجد وقدره وما يشتهي من طوله في السماء، وقال: اشتهي من ذلك شيئاً لا أقع على صفته!

فقال له بنّاء قد كان بنى لكسرى: لا يجيء

هذا إلّا بأساطين من جبال أهواز، تنقر ثم تنقب، ثم تحشى بالرصاص وبسفافيد الحديد، فترفعه ثلاثين ذراعاً في السماء، ثم تسقفه، وتجعل له مجنبات ومواخير، فيكون أثبت له.

فقال: هذه الصفة التي كانت نفسي تنازعني إليها ولم تعبّرها، وغلق باب القصر[1]..

---

١ ـ تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤ وما بعدها.

وقت التجمّع والقتال

يبدو من خلال التأمّل في النصوص الواردة أنّ التجمع عند المسجد بلغ الذروة بعد العصر، أمّا وقت القتال، فهو عند المغرب أو بعده، ولا حاجة لتكرار النصوص هنا، ونكتفي بذكر ما قاله ابن سعد في الطبقات:

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج في نحو من أربع مائة من الشيعة، فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو ستّين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة[1]..

---

١ ـ الطبقات الكبرى: خ ١ / ٤٦١.

تخذيل الناس عن مسلم بن عقيل عليه السلام

التخذيل هو ترك النصرة والإعانة والتجبين عن القتال، وتخويف ملاقاة الأبطال[1].

وهو ركن مهمّ من أركان الحرب، بل ربما أثّر في الحرب أثراً يؤدّي إلى وقوع الهزيمة قبل قيام الحرب أو اصفاف العساكر.

وللتخذيل وسائل وأدوات وأساليب كثيرة قد تدخل تحت عناوين كبيرة من قبيل الوعد والوعيد والترهيب والترغيب والتطميع والتخويف وما شاكل، سنأتي على بيانها إن شاء الله تعالى.

---

١. انظر: لسان العرب ومجمع البحرين مادّة «خذل».

لفتة مهمة

لقد عهدنا في الحروب والتجمعات المتعارضة والتيارات المتصادمة، حملات من الحضّ والتخذيل، خطب حماسية تلق من هذا الطرف ومن ذاك، وخطباء مصقعين وشعراء مبدعين يهزون المشاعر ويستجيشون الأحاسيس ويثورون العواطف ويذكرون الجموع في كلا الجبهتين بالمفاخر والأمجاد، ويرغبونهم بالنتائج والعواقب الوخيمة للهزيمة والمغانم الجزيلة في الظفر والغلبة... وهذه الظاهرة مشهورة معروفة وكانت منتشرة في تلك الأعصار، ولولا بناؤنا هنا على الاختصار لأطلنا الكلام في ذكر الشواهد الكثيرة من وقائع النبي ﷺ وحروب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ويوم سيّد الشهداء الحسين عليه السلام في الطف.

غير أنّ من يقرأ التاريخ في هذه الفترة من

الزمن يجد الخطباء والمخذّلين في جبهة ابن الأمة الفاجرة كثيرين، وليس مع المولى الغريب أسد يزأر، ولا حتّى غراب ينعب، لا صاحب راية يحرّض على القتال، ولا مؤمن صالح يحذّر عن مغبة الغدر والانتكاس والارتكاس، أبداً، لا يسمع لهم حسيساً ولا نجوى؟! ولا صريخاً ولا شكوى؟!

لا تحريض ولا تأييد ولا شدّ للعزائم ولو بين أربعة رجال كانوا في صفّ الحقّ يومئذٍ، لم ينقل لنا التاريخ شيئاً يذكر.

بل لم يتحدّث لنا التاريخ ـ حسب فحصنا ـ عن أيّ كلام أو أيّ خطاب، أو أيّ مقال ينسب للمولى الغريب مخاطباً الثابتين معه أو المهزمين عنه؟!

متى بدأ التخذيل؟

يمكن تقسيم فترات التخذيل إلى فترتين :

الفترة الأولى: طويلة الأمد

قد لا يكون التهديد والوعد والوعيد مؤثراً أثراً بليغاً سريعاً إذا كان وليد الساعة، ولم يكن مسبوقاً بتأكيدات قد جرّبها المهدَّدون من قبل.

إمّا إذا كان التهديد والوعد والوعيد قد جرّبه الناس وذاقوا مرارته واكتووا بناره، فإنّه قد يؤثّر في النفوس الضعيفة من ذوي الطباع الجبانة الذين أخلدوا إلى ثقل الطين واستحوذ عليهم حبّ الدنيا، وباعوا

آخرتهم بالحظّ الأحقر والنصيب الأدنى..

ومن البديهي للناظر في مجريات الأحداث التاريخية أنّ يتعرّف بسهولة إلى الأجواء التي كانت تخيّم على المجتمع الكوفي يومذاك، وأن ينظر بوضوح إلى دخائل الصدور الوغرة التي ربّتها السقيفة على نمط خاص من الاستجابة للتهديد والوعد والوعيد.

وقد تأثرت تلك النفوس منذ العصر الأوّل على الاستسلام لحكم الطاغوت بكلّ تبعاته، والخلود إلى الدنيا تحت ضغوط من لبسوا الدين لبس الفرو مقلوباً..

والجيل المتقلّب بين ضفاف الفرات والمسجد الأعظم لم يكن متباعداً عن السقيفة وآثارها وطريقة عملها، وأساليب التخذيل التي اتخذتها لتخذيل الناس عن أهل بيت النبوة، والوسائل القذرة التي وظّفتها لإبعاد الإنسان ـ المنكوس ـ عن الصراط المستقيم والدين القويم

وأمير المؤمنين وذرّيته المعصومين عليهم السلام .

ونحن لا نريد ذكر النصوص والدخول في تفاصيل هذا البحث، لأنّ التفصيل خارج عن موضوع الكتاب، وقد ألّف العلماء جزاهم الله خيراً أسفاراً وموسوعات استوعبت الحدث بكلّ جزئياته، ويحسن لمن أحبّ الزيادة مراجعتها[1] ...

فمنذ اللحظة الأولى لإعلان ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بدأ التخذيل عن آل الله وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله .

ثم اشتدّ جهاراً نهاراً، وصار عملاً يمارس وفق الضوابط والأهداف المرسومة له منذ الساعات الرهيبة التي أعقبت شهادة النبي صلى الله عليه وآله .

واتخذ طابع القسوة والوحشية يوم جمعوا

---

١ . انظر: كتاب سليم، والغدير للعلّامة الأميني وغيرها ..

الناس على باب بيت الوحي، وانتهكوا حرم الله وحرم رسوله على مرآى ومسمع من الناس لئلا يحدّث أحد أنّ له حرمة بعد حرمة الله ورسوله وآل بيت رسوله ﷺ.

وهكذا تمادى القوم في التخذيل حتّى بلغ الذروة في ملك معاوية الذي قتل أهل البيت عليهم السلام وأنصارهم وشيعتهم على الظنّة والتهمة وهدم دورهم وتعقّبهم تحت كلّ حجر ومدر في الكوفة نفسها، واستعر السلطان وكلاب السلطان في الأيام التي نسج فيها البيعة لنغله يزيد...

وكانت جرعات التهديد والوعد والوعيد مستمرة منذ أمد بعيد يذيقونها الناس والغوغاء وأتباع الظلمة والعوام، وقد تجذّرت في وجوداتهم الخاوية، ممّا سهّل على الجرو الأموي ابن زياد مهمّة إقناع الناس بتهديداته وبثّ الرعب والخوف في قلوبهم المنخورة تأثراً بكلماته.

بهذا نعرف أنّ التخذيل عن سيّد الشهداء وسفيره عليهما السلام بدأ أساساً منذ العصر الأوّل، وكان تخذيل يزيد وأذنابه من أمثال ابن الأمة الفاجرة ابن زياد امتداداً لتخذيل المؤسّسين والحاملين لهم على أكتاف آل محمد صلى الله عليه وآله.

الفترة الثانية: الآنية

إنّ هذه الأمّة المنكوسة قد أعرضت عن آخرتها، وأدبرت عن جدّها، وانقلبت على نفسها وتقهقرت عن دينها منذ الساعة الأولى لقيام سيّد الشهداء عليه السلام فخذلته وضيّعته.

قال ابن الأعثم في الفتوح:

وخرج الحسين بن علي من منزله ذات ليلة وأتى إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله فقال:

السلام عليك يا رسول الله! أنا الحسين ابن فاطمة، أنا فرخك وابن فرختك وسبطك في

الخلف[١] الذي خلفت على أمّتك فاشهد عليهم يا نبي الله أنهم قد خذلوني وضيعوني، وأنهم لم يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتّى ألقاك، صلّى الله عليك وسلّم.

ثم وثب قائماً وصفّ قدميه ولم يزل راكعاً وساجداً.[٢]

وفي كلام سيّد الشهداء عليه السلام هذا إشارة واضحة أنّ الناس قد خذلوه وهو في المدينة قبل خروجه إلى مكّة.

تخذيل يزيد ـ لعنه الله ـ :

إنّ معاوية بن هند قد بدأ حملات التخذيل عن سيّد الشهداء عليه السلام قبل أن يأخذ الناس بالبيعة لنغله يزيد، كما لا يخفى على المتصفّح لأوراق التاريخ.

كما بدأ يزيد مذ تسلّق أغصان الشجرة

---

١. وفي نسخة: «الخلق».

٢. الفتوح: ٥ / ١٨.

الشجرة الملعونة ونزى على المنبر بالتهديد والوعيد وتخويف الناس، إذ أمر بقتل أعظم الخلق وأعزّهم وأكبرهم وصاحب القدس النبوي والخلافة الحقّة، فهل تبقى لمن دونه ـ وكلّ الخلق دونه لا شكّ ـ قداسة أو حرمة؟!

وهذا ما يدركه الناس يومئذٍ، وقد فعله من قبله أسلافه الذي مكّنوه من رقاب الناس يوم هتكوا حرمة النبي ﷺ وهجموا على آله في دارهم وأحرقوه عليهم.

روى ابن الأعثم في الفتوح كتاب يزيد إلى الوليد قال فيه:

من عبد الله! يزيد أمير المؤمنين! إلى الوليد بن عتبة، أمّا بعد:

فإذا ورد عليك كتابي هذا فخذ البيعة ثانياً على أهل المدينة بتوكيد منك عليهم، وذر عبد الله بن الزبير، فإنّه لن يفوتنا ولن ينجو منّا أبداً ما دام حيّاً، وليكن مع جوابك إليّ

رأس الحسين بن علي، فإن فعلت ذلك فقد جعلت لك أعنّة الخيل ولك عندي الجائزة والحظّ الأوفر والنعمة واحدة والسلام[١]...

وقال في موضع آخر:

ثم كتب إليه في صحيفة صغيرة كأنها أذن فأرة:

أمّا بعد، فخذ الحسين بن علي و.. أخذاً عنيفاً ليست فيه رخصة، فمن أبى عليك منهم فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه[٢]...

هذا من جانب سيّد الشهداء عليه السلام..

أمّا من جانب الطاغية والأقذار المتدليّة من ذنبه، فقد كتب إلى ابن زياد:

إنّه قد بلغني أنّ حسيناً قد سار إلى الكوفة، وقد ابتلى به زمانك من بين الأزمان، وبلدك من بين البلدان، وابتليت

---

١. الفتوح: ٥ / ١٨.

٢. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ١٠.

أنت به من بين العيال، وعندها تعتق أو تعود عبداً كما ترقّ العبيد وتعبّد، فقتله ابن زياد وبعث برأسه إليه[١]....

هذا هو منطق التخويف والوعيد مع ولاتهم والمقرّبين منهم، فما حال الناس عندهم، فعندئذٍ سيدرك الناس تماماً ما يقوله يزيد البطاش الأزعن في كتابه إلى ابن زياد إذ كتب إليه:

.. قد بلغني أنّ الحسين قد توجّه إلى نحو العراق، فضع المناظر والمسالح، واحترس واحبس على الظنّة وخذ على التهمة...

تخذيل ابن زياد ـ لعنه الله ـ :

مارس ابن زياد عمليات التخذيل ميدانياً على مستويين:

---

١. البداية والنهاية: ٨ / ١٩٥. تاريخ الإسلام للذهبي: ٥ / ١٠.

المستوى الأوّل: ممارساته الشخصية

قام ابن زياد بمحاصرة الكوفة ونظم الصحراء بالخيل، ونشر العسكر والشرطة في أرجاء الكوفة، وباشر عمليات اعتقال الشيعة.

وأمر شياطينه أن يأخذوا الناس بالظنّة التهمة، والفرق بين هذا العنوان وعنوان اعتقال الشيعة أنّ الأخذ هنا يشمل أي من يتعاطف مع سيّد الشهداء وسفيره عليه السلام، وإن لم يكن شيعياً، بل قد لا يعرف بالتعاطف أيضاً غير أنّه يتصرّف تصرفاً يتهم من خلاله فيؤخذ..

ومارس التخذيل مباشرة من خلال خطاباته وتهديداته، والمجتمع الكوفي يعرف ابن زياد ويعرف أباه زياد ابن أبيه الذي سمّل عيونهم وسفّرهم وأخرجهم من ديارهم، وغير ذلك مما سيأتي في وسائل التخذيل.

ويمكن تقسيم مباشرته التخذيل إلى موقعين من حيث الفترات الزمنية:

الموقع الأول: أوّل ما دخل الكوفة:

يلاحظ أنّ ابن الأمة الفاجرة باشر التخذيل منذ اللحظة الأولى التي دخل فيها الكوفة، غير أنّه كان محاطاً بحرسه وعسكره قبل أن يختلط الوضع.

قال الدينوري في الأخبار الطوال:

فنظر ابن زياد من تباشيرهم بالحسين إلى ما ساءه، وأقبل حتّى دخل المسجد الأعظم، ونودي في الناس، فاجتمعوا، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

يا أهل الكوفة، إنّ أمير المؤمنين! قد ولّاني مصركم، وقسم فيئكم فيكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، والشدّة على عاصيكم ومريبكم،

وأنا منته في ذلك الى أمره، وأنا لمطيعكم كالوالد الشفيق، ولمخالفكم كالسمّ النقيع، فلا يبقين أحد منكم إلّا على نفسه.

ثم نزل، وارتحل النعمان بن بشير نحو وطنه بالشام.

وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد وانصراف النعمان، وما كان من خطبة ابن زياد ووعيده، فخاف على نفسه[١]....

وقد تضمّن هذا النصّ وعداً ووعيداً وترغيباً وتخويفاً بأمر القرد الأموي يزيد ويكفيهم قوله: «ولمخالفكم كالسمّ النقيع، فلا يبقين أحد منكم إلّا على نفسه»..

وأمّا قوله «وبلغ مسلم بن عقيل قدوم عبيد الله بن زياد وانصراف النعمان، وما كان من خطبة ابن زياد ووعيده، فخاف على نفسه» فإنّا نأبى ذلك لمولانا البطل الهاشمي

---

١. الأخبار الطوال: ٢٣٣ ـ ٢٣٢.

وسليل أبي طالب عليه السلام أن يخاف من خطبة لابن الأمة الفاجرة، ويأتي مناقشة ذلك في محلّه إن شاء الله، غير أنّنا ذكرناه هنا لإفادته أنّ خطبة ابن زياد كان فيها وعيداً وتهديداً، ليس إلّا.. أمّا أن يخاف من وعيده المولى مسلم بن عقيل عليه السلام فهذا ما لا يرضاه عاقل.

أجل، قد يكون تغيّر الحاكم وتجدّد الأوضاع جعل المولى يغيّر مكانه لمصلحة يعرفها، كما تفيد عبارة مسكويه في تجارب الأمم: «وانتقل مسلم، حين وافى عبيد الله، إلى منزل هانئ بن عروة المراديّ...»[1].

❊❊❊

وأصبح ـ ابن زياد ـ فجلس على المنبر فقال:

أيّها الناس، إني لأعلم أنّه قد سار معي، وأظهر الطاعة لي من هو عدوّ للحسين

---

١. تجارب الأمم: ٢ / ٤٣.

ـ حين ظنّ أنّ الحسين قد دخل البلد وغلب عليه ـ . والله ما عرفت منكم أحداً .

ثم نزل وأخبر أنّ مسلم بن عقيل قدم قبله بليلة ، وأنّه بناحية الكوفة[١] ..

وفي تجارب الأمم لمسكويه :

وقال عبيد الله لوجوه أهل الكوفة :

«إنّي أعلم أنّه قد سار معي ، وأظهر الطاعة لي من هو عدوّ للحسين ، حين ظنّ أنّ الحسين قد دخل البلد ، وغلب عليه ، ووالله ، ما عرفت منكم أحداً» [٢] .

سواء كان المخاطب هم «الناس» في عبارة الطبري ، أو «وجوه أهل الكوفة!!» كما في عبارة مسكويه ، فإنّ في النصّ غموض وشيء من الارتباك على ما يبدو للوهلة الأولى ، ويحتمل أن يكون المراد أحدى المعاني التالية :

---

١ ـ تاريخ الطبري : ٥ / ٣٦٠ .

٢ ـ تجارب الأمم : ٢ / ٤٣ .

المعنى الأوّل:

يقول لهم: إني لا أعلم في الناس إلّا أحد فردين، أمّا أن يكون معي فهو عدوّ للحسين عليه السلام، وإمّا أن لا يكون معي، فأنا أنكره ولا أعرفه، فهو عدوّي، ومن كان عدوّاً لابن زياد فالقتل والتنكيل مآله.

المعنى الثاني:

يقول: إني أعلم أنّ من يكون معي فهو عدوّ للحسين عليه السلام، وأنا لا أعرف أحداً منكم يظهر العداوة للحسين عليه السلام.

فمن سار معي وأظهر الطاعة، فإني أعلمه عدوّاً للحسين عليه السلام أمّا أنتم «فوالله ما عرفت منكم أحداً»، أي أنّكم لا تسيرون معي ولا تظهرون الطاعة لي، فأنتم لستم أعداء للحسين عليه السلام، وفي هذا من التهديد والوعيد ما يكفي لإرعاب تلك القلوب الخاوية، والطباع الخسيسة.

المعنى الثالث :

إذا قرأنا «ما عرفت منكم أحداً» بالتشديد، والبناء للمجهول «عُرِّفت» أي لم يذكر لي أحد أنكم على الصفة التي أريد من عداوتكم للحسين عليه السلام، ويرجع المعنى للمعنى الثاني حينئذٍ.

المعنى الرابع :

أن نقرأها بالتشديد وفتح الراء «عرَّفت»، أي لم أجعل أحداً منكم عريفاً، سيما إذا كان الخطاب مع من يسمّونهم بالوجهاء.

فهو يقول لهم: إنكم ما دمتم لستم على الصفة التي أريد من عداوة الحسين عليه السلام فإني لا أعرف فيكم عريفاً، بعبارة تشمل الماضي والمستقبل، فمن كان منكم عريفاً عزلته عن العرافة، ومن كان يطمع فيها للمستقبل فسوف لن يكون.

وعلى كلّ تقدير فإن كلماته خرجت مخرج

التهديد الشديد.

الموقع الثاني: أثناء الحصار:

مارس الخبيث التخذيل أثناء الحصار غير أنّ جبنه المتأصّل فيه ظهر هنا كما يظهر في كلّ موقف يحتاج فيه الحاكم إلى شيء يسير من الشجاعة، فاستخدم فيه أذنابه وأفراده، كما سيأتي إن شاء الله، ولم يباشر هو بنفسه أيّ مستوى من مستويات التخذيل، إلّا إذا كان يبقي عليه داخل أسوار القصر وبين حمايته وحرسه.

المستوى الثاني: ممارساته من خلال القرين

استخدم ابن زياد أذنابه السفلة الذين يسمّيهم التاريخ «الأشراف» و«الوجهاء» في تنفيذ عمليات التخذيل والحرب النفسية مع الجموع المتكدّسة في الكوفة، فباشروا مخاطبة الناس، ورفعوا لهم رايات الأمان، وغير ذلك ممّا يأتي في وسائل التخذيل.

المخذلون

وفق ما تقدّم من تقسيم لفترات التخذيل، فإنّ المخذّلين كثر يطول بنا المقام إذا أردنا إحصاءهم فرداً فرداً منذ يوم الغدير وما قبله، والسقيفة وما بعدها، لذا سنقتصر في تعداد أسماء من ساهم مباشرة في الكوفة أيام المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، وهم:

يزيد بن معاوية لعنهما الله

عبيد الله بن زياد لعنهما الله

محمد بن الأشعث لعنهما الله

شبث بن ربعي لعنه الله

القعقاع بن شور لعنه الله

محمد بن شهاب لعنه الله

شمر بن ذي الجوشن لعنه الله
حجار بن أبجر لعنه الله
العوائل والأسر

وسائل التخذيل وموادّه

نستعرض هنا وسائل التخذيل وموادّه استعراضاً سريعاً، ونشير إليها مفهرسة باقتضاب يناسب الكتاب، وهي نماذج لا نقصد بها الحصر والشمول، ولا نريد استقصاء المصادر التي توفّرت لدينا، وكلّ ما تضمّنته، وللقارئ أن يتأمّل النصوص إذا أحبّ الاستقراء.

اتّحاد خطاب التخذيل

يلاحظ أنّ الذين باشروا التخذيل لم يكن عملهم ارتجالياً يتصرّف كلّ منهم حسب ما يراه من خطاب، وإنما كان هناك خطاب مركزي يستعمله الجميع:

في الأخبار الطوال: وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشراف! أهل الكوفة: ليشرف كلّ رجل منكم في ناحية من السور، فخوفوا القوم.

فأشرف كثير بن شهاب، ومحمد بن الأشعث، والقعقاع بن شور، وشبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وشمر بن ذي الجوشن، فتنادوا:

يا أهل الكوفة، اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة، ولا تشقّوا عصا هذه الأمّة، ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم، وجربتم شوكتهم.

قلب المفاهيم وتبديل القيم

روى البلاذري في أنساب الأشراف: قول المخذّلين: «اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة، ولا تشقّوا عصا هذه الأمّة».

وروى الشيخ المفيد في الإرشاد قال:

وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبَ، فقال:

أيّها الناس! الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشرّ..

وتكلّم الأشراف! بنحو من ذلك.

إنّ تقوى الله في نصرة الحقّ والدفاع عن ريحانة النبي ﷺ وسيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، ورعاية الحقوق، والوفاء بالعهود، ومحاربة الظلم، وردّ المبطلين والمنتحلين.

والفتنة في مجانبة الحقّ والركون إلى الذين ظلموا.

وشقّ عصا المسلمين في ترك التمسّك بعدل القرآن، وعدم الاعتصام بحبل الله الممدود بين السماء والأرض.

غير أنّ الطغاة أثبتوا الألفاظ وقرّروا المصطلحات، وقلبوا معناها حتّى «ليس الإسلام لبس الفرو مقلوباً».

فصوّروا نصرة سفير الحسين عليه السلام ومبعوث المفترض الطاعة من السماء «شرّاً» و«حرباً» ببعدها السلبي الذي يجرّ الويلات ويدع الديار بلاقع «غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشرّ انصرف فيذهب به فيصرفه»..

نصرة سيّد شباب أهل الجنّة والوفاء بالوعد والميثاق والعهد حرب وشرّ؟! الله أكبر!

وروى الطبري في تاريخه:

أمّا بعد، أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمّتكم، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا...

وفي الفتوح لابن أعثم في خطبة الدعي بعد اعتقال هاني:

يا أهل الكوفة فاعتصموا بطاعة الله ورسوله محمد ﷺ وطاعة أئمتكم ولا تختلفوا ولا تفرّقوا...

أرأيت كيف تحوّلت طاعة أبناء البغايا الرخيصات وذوات الأعلام ودباغات الأدم التنانات إلى اعتصام بطاعة الله ورسوله ﷺ.

وتحوّل العهر الأموي إلى عاصم يعتصم به الناس!!

وتحوّل أبناء آكلة الأكباد وأبناء مرجانة وسمّية إلى أئمة!!

صار شارب الخمر الفاسق واللاعب بالقرود ومسابق الحمام وتارك الصلاة والزاني بالعمات والمحارم والساقط الدني السافل وما تعلّق من أقذار في ذيله، صاروا أئمة!!

وصاروا يكذبون على الطهر الطاهر الذي

لم تنجسه الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسه من مدلهمات ثيابها، ابن الزهراء البتول سيّدة النساء عليها السلام، وريحانة النبي صلى الله عليه وآله أشرف الخلق وسيّد المرسلين والأنبياء، وقرّة عين أمير المؤمنين وسيّد الأوصياء عليه السلام، وخامس أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وافترض طاعتهم على الخلق أجمعين وجعلهم أئمة هادين مهديين..

قلبوا الحقيقة رأساً على عقب، فخاطبوا الناس وجعلوا طاعة الله في طاعة أعدائه، وتمسّك الناس بشراذم الخلق وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار توحيداً للصفّ وابتعاداً عن الفرقة!!!

وقد قالت الزهراء فاطمة عليها السلام: «وطاعتنا نظاماً وإمامتنا أمناً من الفرقة..»[1].

---

١ ـ بلاغات النساء لابن طيفور: ٢٨.

وقس على هذا ما ورد في كلماتهم ـ لعنهم الله ـ .

التنصّل عن المسؤولية

من العجيب أنهم استعملوا هذا اللون الجبان من الاتكالية والتنصل عن المسؤولية عندما دعاهم المولى مسلم بن عقيل، فكان أحدهم يكتفي أن يأتيه أحد ذويه فيقول له: «انصرف الناس يكفونك»، ليلقي حبله على غارب الآخرين وينصرف مطمئن البال لوجود غيره.

وتوازروا حينما دعاهم ابن الأمة الفاجرة لقتال ريحانة النبي ﷺ وابن أمة الله البتول الطاهرة عليها السلام ...

استعراض القوّة العسكرية

قام ابن الأمة الفاجرة باستعراض عسكري ضخم في الكوفة سيّر فيه القطعان في كلّ اتجاه.

ويبدو ذلك واضحاً من خلال زجّ القطعان التي ذكرناها سابقاً لتدوس جميع الأحياء والأزقة، ونشر قواته في الصحراء. فكانت تملأ الكوفة ضجيجاً، وترتفع زعاقاتهم وتصكّ أسماع الناس أصوات الخيل الصاهلة الضابحة رائحة جائية، كما سلّط كلابه الذين يسمّونهم الشرطة على دور الكوفة، وصعد بعض جلاوزته إلى سطح قصر الخبال، وصاروا يرمون الناس بالنشاب والمدر، كما في الأخبار الطوال:

«وكانوا مقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتّى أمسوا».

فخلق بذلك جوّاً من الرعب سيطر على أرجاء الكوفة.

الضبط الاجتماعي عن طريق العرفاء

كان المجتمع الكوفي يومها مضبوطاً بحدود وضوابط تحصي أهل البلد وتحصر من خلال التقسيم الجغرافي والدموغرافي، حيث قسّمت الكوفة إلى مناهج وسكك وانتشرت القبائل والعشائر على رقعة جغرافية محدّدة لكلّ قبيلة لا تتعدّى المنهج المرسوم لها إلّا بإذن من الحاكم أو من يمثّله كالعريف.

فهي مضبوطة باعتبار التقسيم الجغرافي للسكان، كما أنّها مضبوطة من خلال التقسيم القبلي والتركيب الاجتماعي، إضافة إلى ضبطها من خلال الاندراج تحت عرافة معلومة تمثّل الواسطة بين الناس والحكومة.

فلا يولد مولود إلّا ويبلّغ عنه العريف وغيره من ذوي المناصب القبلية

والاجتماعية، ولا يموت ميّت إلّا ويبلّغ عنه ليمحى من ديوان العطاء ويكون الجهاز الحاكم والجهاز القبلي على علم به.

والداخل إلى البلد إمّا أن يكون منتمياً إلى قبيلة أو أهل بيت معروفين، أو لا، فإن كان غريباً لابد أن ينزل على عرافة بعينها أو قبيلة أو أهل بيت معروفين في البلد، فيكون في ضيافتهم وجوارهم حتّى يرحل.

أو ينزل في الموضع المخصّص للغرباء في رحبة الكوفة[١]..

وبهذا كان من السهل على الحاكم أن يصل إلى طلبته من خلال رؤساء القبائل والعرفاء ومن دونهم في السلّم الإداري والقبلي.

وقد سخّر ابن الأمة الفاجرة هذه التشكيلة الإجتماعية لأغراضه الأمنية فهدد العرفاء والرؤساء وطالبهم أن يكتبوا له كلّ

---

١ ـ انظر: تاريخ الطبري: ٤ / ٤٤ وما بعدها.

غريب وقريب إذا كان على خلاف ما يحبّ ويهوى، أو كان خارجاً عن طاعته أيّاً كان:

روى الطبري بالإسناد عن أبي وداك، قال:

لمّا نزل القصر نودي: الصلاة جامعة.

قال: فاجتمع الناس، فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد، فإنّ أمير المؤمنين!! أصلحه الله ولّاني مصركم وثغركم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، وبالشدّة على مريبكم وعاصيكم، وأنا متّبع فيكم أمره، ومنفّذ فيكم عهده، فأنا لمحسنكم ومطيعكم كالوالد البرّ، وسوطي وسيفي على من ترك أمري، وخالف عهدي، فليبق امرؤ على نفسه، الصدق ينبئ عنك لا الوعيد.

ثم نزل فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال:

اكتبوا إليّ الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبريء، ومن لم يكتب لنا أحداً، فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمّة، وحلال لنا ماله وسفك دمه.

وأيما عريف وجد في عرافته من بغيه أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألقيت تلك العرافة من العطاء، وسير إلى موضع بعمان الزارة[١].

وبهذا جعل العريف ومن تحت عرافته في دائرة التهديد، إذ لم يقف عند صلب العريف على باب داره وهدر دمه وإباحة ماله، وإنما هدد بإسقاط العرافة كلّها من العطاء...

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

توظيف ما يسمّون بالأشراف!

جمع ابن زياد الرؤوس العفنة التي كانت تسمّى «الأشراف» وسخّرهم في التخذيل، وكان لهؤلاء الأقزام تبع وذيول ومساحة واسعة من التأثير بدوافع تتباين عند الأتباع، فربما أطاعهم البعض بدافع التعصّب القبلي، أو الخوف من الأتباع الآخرين أو الخوف من السلطان باعتبار أنّ الشخصية التي يعدّها حصناً له فيلجأ إليها إذا دهمه خطر أو يستجير به قد خضع للسلطان وأطاع، فكيف يتمرّد الفرد العادي المتقلّب في قبضة زعيمه؟!

وربما كان لهم نفوذ اجتماعي ووجاهة مزيّفة عند البعض الذين يعتقدون أنّ كبراءهم من ذوي الرأي والحصافة ولا يعرف لجهله أو تعصّبه أو عماه أنّهم أشباه رجال ليس فيهم مسحة رجولة إلّا في ظاهر

تركيبهم الجسدي لا أكثر..

في أنساب الأشراف للبلاذري: «وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشراف أهل الكوفة»..

وفي الإرشاد للمفيد: فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثم أشرفوا على الناس...

وفي الأخبار الطوال للدينوري: وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشراف أهل الكوفة: ليشرف كلّ رجل منكم في ناحيه من السور، فخوفوا القوم.

توظيف أفراد الأسر

لا يخفى ما لأفراد الأسرة من أثر بليغ في التأثير العاطفي والضغط الاجتماعي على الهمم والعزائم تثبيتاً أو تثبيطاً.

فللأب والأم والابن والبنت والزوج والزوجة دور فاعل ومباشر على بعضهم

البعض، بيد أنّ هذا الدور يكون إيجابياً حينما يكون في أهل بيت مؤمنين، ولا يمكنه أن يؤثر سلباً على المجاهد في سبيل الله حينما يكون من موقفه على يقين.

أمّا إذا كان الدور في بيوت العنكبوت، فإنّ القلوب الخاوية والنفوس الضعيفة المتثاقلة سرعان ما تهوي أمام العواطف الخادعة، والمواقف البشعة.

ولا يعدّ من ينسحب من جبهة الحقّ ويخرج عن الصراط المستقيم إلى السبل المؤدية إلى النار لمجرّد دعوة زوجة أو أم أو أخ أو أخت... رجل حرب ولا إنسان صاحب موقف، ولا مؤمن يتّقي الله في مخالفة العهد والميثاق.

﴿قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبيلِهِ

فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ﴾[١].

وقد ورد في المصادر أنّ «المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشرّ؟ انصرف، فيذهب به فينصرف».

كيف يميل الإنسان عن طريق الجنّة، ويهوي في منزلقات الجحيم لمجرد أن يقول له أحد أقربائه «انصرف».

وهل يسمّى هذا الموجود الضعيف المتهرئ مبايعاً.. مقاتلاً.. ثم يحسب إذا عدّ العسكر؟!

---

١. التوبة: ٢٤.

التخويف والتهويل لأهل المعصية

التخويف والتهويل وسيلة فاعلة في الإنسان، غير أنّها مؤثرة في المؤمن المستقيم والناظر في عواقب الأمور فيما إذا كان الأمر يستحقّ التهويل، والمآل يستحقّ التخويف منه، فهو يخاف من نذر الله، ويهوّل المعصية وعاقبتها على نفسه حينما يكون عاصياً لمن لا يسمح الشرع والعقل بمعصيته، ويكون قادراً على العقاب الأبدي السرمدي، ولا يخاف المؤمن غير الله ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولا تهديد مهدّد، ولا تلويح بعقاب، بل ولا يعبأ بما يسميه الطاغوت عقاباً مادام فيه رضا الله ولا يجرّ سخطه.

أمّا النفوس الضعيفة المتشبّثة بسفاسف الدنيا، من الذين حليت الدنيا في أعينهم، وأبهرهم زبرجها وزيفها، فإنّهم يحسبون لهذا التهويل والتخويف حساباً، خوفاً على

الداني من العيش الرخيص، وتعلقاً بقشة الأيام المتكسّرة المنصرمة على الرغم منه، فلا يرى نعيم الله ولا عقابه، وإنما يفكّر في العقاب الفاني الزائل الصادر في حقّه من ضعيف زائل.

وقد وظّف ابن الأمة الفاجرة هذا النوع من التخذيل وأثّر في المذبذبين والمنحرفين الذين عمشت عيونهم، وأصيبت بصائرهم، وختم الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، وما أكثرهم.

روى البلاذري في أنساب الأشراف: «وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشراف أهل الكوفة: ليشرف كلّ رجل منكم في ناحية من السور، فخوّفوا القوم»..

وقال الشيخ المفيد في الإرشاد: فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثم أشرفوا على الناس.. وخوّفوا أهل العصيان..

وروى الدينوري في الأخبار الطوال:

وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشراف أهل الكوفة: ليشرف كلّ رجل منكم في ناحية من السور، فخوّفوا القوم.

وفي الفتوح لابن أعثم: ـ قول ابن زياد: ـ ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتندموا وتذلّوا وتقهروا، فلا يجعلن أحد على نفسه سبيلاً، وقد أعذر من أنذر.

التخويف بالحرب

ذكرنا أكثر من مرّة أنّ كوفة الجند كانت حاضنة عسكرية وثكنة يقطنها الجيش الجاهز للقتال في أيّ صقع أو ثغر يؤمر به.

وقد خاضت الكوفة منذ أن تمصّرت عسكرياً حروباً طويلة الأمد، وأفرادها في حالة حركة دائمة بين الثغور يرجع أحدهم ليستريح ثم يعود حيث يوجهه الآمر العسكري والحاكم المتسلّط من قبل الملك.

والكوفة يومها كانت تكتظّ بعوائل

الشهداء والقتلى جراء الحروب والصدامات حقّاً كانت أو باطلاً.

والفرد المقاتل المنهزم نفسياً والخاوي عقائدياً يعرف ما تعني كلمة الحرب وقد ذاق ويلاتها واكتوى بنيرآنها..

وابن الأمة الفاجرة عاش الكوفة ورأى وسمع ما جرى على أهلها من جراء الحروب، فضرب على هذا الوتر الرجراج المتأرجح في القلوب المتهرئة، فأمر أذنابه أن يخرجوا إلى الناس ويخوّفهم الحرب

«ودعا ابن زياد كثير بن شهاب وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير في الكوفة ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوّفهم الحرب»[1]...

فانصاع له النكرات انصياعاً أعمى

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٩، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥١٨، مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ١٠٣، الكامل لابن الأثير: ٤ / ٣١.

يكشف عن سوء السرائر وكذب النوايا، فأيّ حرب كان يخوّفهم منها؟

ألم يزج بهم في حرب أنت عليهم دنيا وآخرة؟

هل خافوا مغبّة الحرب فانصرفوا إلى رحالهم آمنين مطمئنين وادعين؟

ألم يخرجوا بعد حين لحرب ريحانة النبي ﷺ وسيّد شباب أهل الجنة عليه السلام!

الجفاء والإذلال

جفاء السلطان يعني أن يترك الصلة والبرّ، ويقسو قلبه ويغلظ طبعه عليهم.

والجفاء والاحساس بالحقارة وحبّ إذلال الآخرين طبع في الدعي وابن الزنا، وطبع متأصّل وله جذور ضاربة في أعماق الدعي ابن الدعي، ابن الأمة الفاجرة، فإذا انضمّ إليه عزم منه على الجفاء والإذلال، وكان بقصد الانتقام والتهديد، فإنه سيتفنّن

في ذلك ويري الناس صوراً من الجفاء والإذلال لم يألفوها من قبل.

وقد صرّح ابن زياد في خطبته مهدّداً إذ قال:

أمّا بعد، أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم!، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا[١]..

التهديد بيزيد وجنوده

كان ممّا هدّد به ابن زياد أهل الكوفة، وخوفهم منه مواجهة يزيد بن معاوية! وخيول أهل الشام!

روى البلاذري في أنساب الأشراف قال:

ويتوعّدونهم بيزيد بن معاوية وخيول أهل الشام..

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٦٨، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥١.

وروى المفيد في الإرشاد قال:

وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال: أيّها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين! يزيد قد أقبلت... وتكلّم الأشراف بنحو من ذلك.

أمّا خيول أهل الشام، فربما كانت تهديداً لأهل الكوفة، لأنهم قد التحموا معهم في معارك ضارية، كما سيأتي بعد قليل.

أمّا التهديد بيزيد! فمن أعجب العجب أن يكون مؤثراً في القوم مهما كانت نفوسهم ضعيفة وصدورهم خاوية.

ولا ندري كيف استسلم هؤلاء الجبناء لمثل هذا التهديد الفارغ وهم يخيّرون بين محاربة سليل الأنبياء والأوصياء، ومن شاهدوا بأمّ أعينهم شجاعته وشجاعة أبيه وأخيه وأهل بيته وبين الرعديد الجبان سليل الجبناء!

التهديد بجيش الشام

لقد فرّقنا بين العنوان السابق وهذا العنوان لما في العنوان السابق من إشارة تهديد بشخص يزيد الرعديد، وقد نسب الجند هنالك ليزيد.

أمّا هنا فالتهديد بخيول أهل الشام وجنود الشام.

روى البلاذري في أنساب الأشراف والطبري في التاريخ: «ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم، وجربتم شوكتهم»!!

وروى الطبري أيضاً:

أشرفوا على الناس... وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم.

وروى الشيخ المفيد في الإرشاد:

فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثم أشرفوا على الناس.. وأعلموهم وصول

الجند من الشام إليهم.

وقال السيد ابن طاووس في اللهوف:

وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرّفون منه ويحذّرون أصحاب مسلم ويتوعّدونهم بأجناد الشام..

عسكر الكوفة بعد لم ينس الحرب الضروس التي خاضها مع جند الشام، وإنما كان في عسكر الكوفة شيء من ثبات لوجود أمير المؤمنين عليه السلام وأمثال مالك الأشتر من الشجعان البواسل الذين حرّضوا على قتال القاسطين بمقالهم وفعالهم.

ويبقى السؤال من هؤلاء الأوباش الذين خذلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّهم انفعلوا بتهديد ابن زياد بخيول الشام، وزحفوا بجموعهم يوم ساقهم لحرب أشجع من خلق الله؟!

عقوبة السلطان

ورد التهديد بعقوبة السلطان، في المصادر بألفاظ شتّى، وهو تهديد يفهمه الكوفيون جيّداً، ويعلمون أنّ الكوفة في حصار مطبق، وضبط يحصي الأنفاس والنسمات، والسلطان الذي يشيرون إليه وغد فاجر، ووحش كاسر، لا ذمّة له ولا ضمير، ولا حدود لتنكيله، ولا يعترف بشيء إلّا شريعة آل أبي سفيان.

فقد روى الطبري في التاريخ:

ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب، ويحذرهم عقوبة السلطان..

وروى الطبري أيضاً:

أشرفوا على الناس فمنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة..

وروى الشيخ المفيد في الإرشاد:

«ويحذّرهم عقوبة السلطان» ..

وروى أيضاً :

وجعل محمد بن الأشعث وكثير بن شهاب والقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي يردون الناس عن اللحوق بمسلم ويخوّفونهم السلطان ..

وقال الشيخ المفيد في موضع آخر : .. وخوّفوا أهل العصيان الحرمان والعقوبة ..

وذكر هم بعض النماذج من عقوبة السلطان ، وأنّه قد اتخذ عهداً أن ينزل بهم عقوبته إن هم تمرّدوا عليه ، كما روى المفيد في الإرشاد قال :

وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ ، فقال : أيّها الناس الحقوا بأهاليكم ... وقد أعطى الله الأمير عهداً : لئن تمّمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ... وتكلّم الأشراف بنحو من ذلك ...

لقد ذكر زهير بن القين صاحب ميمنة

معسكر التوحيد، والعلوي الذي خرج يتلقّى الحسين عليه السلام[١] بعض عقوبات السلطان في خطبته يوم عاشوراء حينما دعاهم إلى نصر آل محمد صلى الله عليه وآله وخذلان الطاغية، وذكّرهم بما ذاقوه في ظلّ الحكم الأموي الغاشم على أيدي الأدعياء من أمثال زياد وابنه...

فقال: وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد فإنّكم لا تدركون منها بسوء عمر سلطانها كلّه ليسملان[٢] أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقراءكم أمثال حجر بن عدي وأصحابه وهاني بن عروة وأشباهه»[٣].

---

١. للمزيد أنظر كتاب زهير بن القين علوي خرج يتلقّى الحسين عليه السلام للمؤلّف.
٢. يسملان: يقال: سمل عينه أي فقأها بميل محمي.
٣. انظر: دلالات خطبة زهير مفصّلاً في كتاب زهير بن القين علوي خرج يتلقّى الحسين عليه السلام للمؤلّف.

ذكّرهم زهير بمشاهد عاصروها ورأوها ملء العين، واكتووا بنارها الحامية ولا يزالون يئنون من لظاها، وذكّرهم بشخصياتهم ورؤوسهم الشامخة وجماجمهم العالية التي اقتطفتها أحقاد الأمويين وأذنابهم من أمثال حجر بن عدي وهاني بن عروة وميثم التمار ورشيد الهجري، وغيرهم الذين قتلوا وقطعت أيديهم وأرجلهم وصلبوا على جذوع النخل...

وقد اقتبس زهير هذا المشهد من كتاب الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية حيث يقول في كلام له بعد أن يذكر قتل حجر والمصلّين العابدين وعمرو بن الحمق الخزاعي العبد الصالح صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وإدعاء زياد ابن سمية:

ثم سلّطته ـ أي زياداً ـ على العراقيين يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل

أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل[١]...

هذه نماذج سريعة من عقوبات السلطان التي عاشها الكوفيون وشاهدوها وذاقوها بأنفسهم، ولكنّهم نسوا أنّ الله أَشَدّ بَأْساً وَأَشَدّ تَنْكيلاً، وأنّ عَذاب الآخِرَةِ أَشَدّ وَأَبْقى.

---

١. زهير بن القين علوي خرج يتلق الحسين عليه السلام: ١٠٦، عن اختيار معرفة الرجال للطوسي: ١ / ٢٥٦، الدرّ النظيم لابن حاتم العاملي: ٥٣٤، بحار الأنوار للمجلسي: ٤٤ / ٢١٣.

نفي الحرمة وإسقاط حصانة الإسلام

براءة الذمّة من أحد يعني أنّه خارج عن ربقة الإسلام، فلا حصانة له من قوله «لا إله إلّا الله»، ولا حرمة لدمه ولا لعرضه ولا لماله، بل تسلب منه حتّى حصانة الذمّي، لأنّ الذمّي داخل في الذمّة.

قد استعمل ابن الأمة الفاجرة هذا التهديد لغرض استقصاء الناس وإحضارهم جميعاً بين يديه.

روى الدينوري في الأخبار الطوال:

وأمر منادياً فنادى بالكوفة: ألا برئت الذمّة من رجل من العرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد، فاجتمع الناس...

وكذا في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير:

ألا برئت الذمّة من رجل من الشرطة

والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلّى العتمة إلّا في المسجد، فلم يكن له إلّا ساعة حتّى امتلأ المسجد من الناس...

وفي تجارب الأمم لمسكويه: ونادى: برئت الذمّة من رجل من الشرطة، أو العرفاء، أو المناكب والمقاتلة، صلّى العتمة إلّا في المسجد! فلم تكن إلّا ساعة حتّى امتلأ المسجد..

وفي مقاتل الطالبيين: ونادى في الناس: برئت الذمّة من رجل صلّى العتمة إلّا في المسجد، فاجتمع الناس في ساعة..

واستعمل هذا التهديد أيضاً في مواضع أخرى من قبيل ما رواه في الفتوح لابن أعثم والكامل لابن الأثير وتجارب الأمم لمسكويه نقلاً عن ابن زياد:

وقد برئت الذمّة من رجل أصبنا في داره...

التهديد بالقتل

التهديد بالقتل هو عند هؤلاء الناس من أعظم ما يخافونه، لأنّه يعني الموت الأحمر، ومفارقة الدنيا التي باعوا آخرتهم من أجلها. وهو عند ابن الأمة الفاجرة والأقذار المتدلّية من ذنبه أهون ما يفعلونه، وديدن يألفونه، بل هو لذّة يمارسونها بغلمة ونهم.

روى الطبري في التاريخ خطبة ابن زياد، وفيها:

أمّا بعد، أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا..

وروى المفيد في الإرشاد قال:

وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال: أيّها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل...

هدّدهم أن يلتزموا طاعته التي فيها سخط

الرحمن لئلا يقتلوا، فخافوا القتل بسيف الدعي ابن الدعي الذي كان جوازهم إلى جنات النعيم، ثم ساقهم إلى القتل بسيف سيّد شباب أهل الجنّة ﷺ، الذي يهوي بهم في طبقات الجحيم.

قتل كبار القوم والأشراف

كان من أهمّ الوسائل التي اتخذها بنو أمية وأذنابهم في تخويف الناس وتجبينهم هو اقتطاف الجماجم، وقطع الرؤوس الضخمة، وتقصير الهامات العالية بالاجتزاز، وإقناع الناس أن لا مكان للكبار في غابة الأقزام، فإذا كان عليّة القوم وجماجمهم معرضة للقتل والتنكيل فكيف بالصغار؟!

ولهذا كانوا يقتلون العظماء بين ظهراني أقوامهم، كما فعل بميثم ورشيد وعمارة بن صلخب «صلحب» وغيرهم:

روى البلاذري في أنساب الأشراف،

قال :

وخرج عمارة بن صلحب الأزدي (كذا) وكان ممّن أراد نصرة مسلم، فأخذه أصحاب ابن زياد، فأتوه به فأمر به فضربت عنقه في الأزد[١]..

وقال ابن زياد مخاطباً العرفاء :

«وأيما عريف وجد في عرافته من بغية أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره[٢]..».

---

١. أنساب الأشراف: ٢ / ٨٥.

٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

أخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب

في أنساب الأشراف: «وأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب»...

وفي الإرشاد: وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال: أيّها الناس الحقوا بأهاليكم... وأن يأخذ البرئ بالسقيم والشاهد بالغائب.. وتكلّم الأشراف! بنحو من ذلك.

وهذا يعني تجريم المجتمع كملاً، والتعامل بالهمجية وسلب الأمان والاستقرار، وإشاعة الخوف عند الجميع، فلا يسلم من يد البطش أحد بتاتاً..

الإبادة الجماعية والهلاك والقهر

تجد في كلام «كثير» مشهداً مروّعاً للإبادة الجماعية والهلاك والقهر بكلّ وسائله المتاحة يومذاك.

فقد روى المفيد في الإرشاد قال:

وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال:

أيّها الناس! الحقوا بأهاليكم.. وقد أعطى الله الأمير عهداً: لئن تمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذرّيّتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي الشام، وأن يأخذ البريّ بالسقيم والشاهد بالغائب، حتّى لا تبقى له بقية من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما جنت أيديها.

وتكلّم الأشراف! بنحو من ذلك.

ويعدّ ما ذكره في كلامه من أهمّ وأنفذ وسائل الإبادة الجماعية من قبيل التعريض للقتل والحرمان من العطاء والإقحام في الحروب، وغيرها من الوسائل والأساليب المذكورة في النصّ التي تقضي عليهم ولا تبقي لهم أثراً، ولا تبقي بقية من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما جنت أيديها..

وكذا هي الصورة في خطاب ابن الأمة الفاجرة الذي رواه الطبري، وقد نصّ فيه على الهلاك، فقال:

أمّا بعد، أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمّتكم، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا...

وفي نصّ الفتوح لابن أعثم تصريح بالقهر: ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتندموا وتذلّوا وتقهروا، فلا يجعلن أحد على نفسه سبيلاً، وقد أعذر من أنذر.

وهنا جعل نفسه في حلّ، وحمّل الأفراد جميعاً مسؤولية القضاء على أنفسهم، لأنّهم جعلوا السبيل على أنفسهم، ولم تغنهم النذر..

منع العطاء والحرمان

هدّدهم اللعين بمنع الأعطية كما في أنساب الأشراف، والحرمان كما في الإرشاد للمفيد،

قال :

فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم، ثم أشرفوا على الناس .. وخوّفوا أهل العصيان الحرمان ...

وفي تاريخ الطبري : أمّا بعد، أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا ..

وفي تاريخ الطبري أيضاً : أشرفوا على الناس فنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوفوا أهل المعصية الحرمان ...

ولم يقتصر في التهديد على حرمان المباشرين للتمرّد عليه، وإنما ضرب على وتر حساس يهمّ كلّ إنسان، حيث توعّدهم بحرمان ذريّاتهم ومن سيتركون من خلفهم، لأنّهم حسب فرضه سيقتلون ويهلكون ولا يبقى منهم أحد، فحرمان الآباء من العطاء سيكون بقتلهم وحرمانهم من الدنيا

بأسرها، أمّا العطاء فستحرم منه الذرّيّة من بعدهم.

قال الشيخ المفيد في الإرشاد: وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تحجب، فقال: أيّها الناس الحقوا بأهاليكم.. وقد أعطى الله الأمير عهداً:

لئن تمتّم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذرّيّتكم العطاء... وتكلّم الأشراف! بنحو من ذلك.

تفريق المقاتلة في الثغور ومغازي الشام

من لم يقتل في الكوفة فإنّه سيحكم بالإعدام بطريقة أخرى حيث يفرّق بينه وبين أهله، ويحرم من عشيرته وقومه، وينفى في الأرض إلى حيث سيقتله العدو في أرض غربة...

روى الشيخ في الإرشاد قال:

وتكلّم كثير حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال: أيّها الناس الحقوا بأهاليكم.. ويفرّق مقاتلتكم في مغازي الشام.. وتكلّم الأشراف! بنحو من ذلك.

محو العرافات

خطب الدعي فهدّد وأرعد، ثم نزل فأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال:

اكتبوا الى الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين، ومن فيكم من الحرورية وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف والشقاق، فمن كتبهم لنا فبريئ، ومن لم يكتب لنا أحداً، فيضمن لنا ما في عرافته ألا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمّة، وحلال لنا ماله وسفك دمه، وأيّما عريف وجد في عرافته من بغيه أمير المؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، وألقيت تلك العرافة من

العطاء، وسيّر الى موضع بعمان الزارة[١].

وهذه تهديدات خاصّة للعرفاء، فيها تشديد ووعيد واستباحة مرعبة للمتخاذلين.

موقف مذحج

كان لموقف مذحج القبيلة الكبيرة في الكوفة دوراً مؤثراً في تخذيل الناس بعد أن تخاذلت عن رأسها وكبيرها وزعيمها والمبرز بالفضل بينها حينما رجعت عن قصر الخبال مكتفية بما زعمه شريح وممتثلة لأمر عمرو بن الحجاج الزبيدي «المتفاني في امتثال أوامر أعداء أهل البيت عليهم السلام مع أنّ هانئاً كان صهراً له»[٢].

تقول الرواية التاريخية: وبلغ عمرو بن الحجاج أنّ هانئاً قد قتل، فأقبل في مذحج

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٩.

٢. مع الركب الحسيني: ٣ / ١٠٥.

حتّى أحاط بالقصر ومعه جمع عظيم، ثم نادى:

أنا عمرو بن الحجاج، وهذه فرسان مذحج ووجوهها، لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة، وقد بلغهم أنّ صاحبهم قتل فأعظموا بذلك!

فقيل لعبيد الله بن زياد: هذه مذحج بالباب!

فقال لشريح القاضي: أدخل على صاحبهم فانظر إليه، ثم أخرج وأعلمهم أنّه حيّ لم يقتل!

فدخل شريح فنظر إليه، فقال هاني لمّا رأى شريحاً: يالله! ويا لمسلمين! أهلكت عشيرتي؟! أين أهل الدين؟! أين أهل المصر؟! والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرجّة على باب القصر، فقال: إنّي لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنّه إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني!

فلمّا سمع كلامه شريح خرج إليهم، فقال لهم: إنّ الأمير لمّا بلغه مكانكم ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرني أن ألقاكم وأعرّفكم أنّه حيّ، وأنّ الذي بلغكم من قتله باطل!

فقال له عمرو بن الحجاج وأصحابه: أمّا إذا لم يقتل فالحمد لله! ثم انصرفوا!![1]

وفي رواية الدينوري:

فقال لهم سيّدهم عمرو بن الحجاج: أما إذ كان صاحبكم حيّاً فما يعجلكم الفتنة؟! انصرفوا فانصرفوا[2]!!

انصرفوا وخذلوا هانياً بقيادة عمرو بن الحجاج الذي قادهم من قصر الخبال إلى قصر الخبال مرّة أخرى، وانقلبوا على

---

١. مع الركب الحسيني: ٣/ ١٠٨، عن الإرشاد للمفيد: ١٩٢.

٢. مع الركب الحسيني: ٣/ ١٠٩ عن الأخبار الطوال للدينوري: ٢٣٨.

أنفسهم ودخلوا في طاعة ابن الأمة الفاجرة وسيّده القرد الأموي إذ أعلنوا أنّهم لم يخلعوا طاعة ولم يفارقوا جماعة.

وكانوا قد خرجوا تحت عنوان كبير «فرسان مذحج ووجوهها»، وفي نصّ ابن أعثم: «.. فركبوا جميعهم عن آخرهم حتّى وافوا باب القصر فضجوا وارتفعت أصواتهم..»[1].

ولم تكن مذحج يومها في الكوفة قليلة العدد ولا العدّة، فرجوعها واستسلامها لأعداء سيّد الشهداء عليه السلام وانصرافها عن الحقّ يعني انسلاخ كم هائل من الناس وهروبهم باتجاه العدوّ، وهذا النمط من الخيانة يعدّ من المخذّلات المؤثرة في المنهزمين والمتذبذبين!

❋❋❋

١. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٨.

هذا باختصار ما يتعلّق بجانب الوعيد والتهديد، أمّا الوعد والترغيب:

الوعد والترغيب

قد جعل لمن سمّاهم أهل الطاعة ممّن رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم الزيادة والكرامة! وتوفير العطاء، ورفع لهم رايات الأمان ليفرج لهم الطريق إلى جحور الوشم بالعبودية، ومصانع الطرق والسحب والتشكيل وفق مرادات الشياطين، والانصهار التام في عفن التبعية للقرود الأموية.

وقد ورد التصريح بذلك في تاريخ الطبري والإرشاد للمفيد والكامل لابن الأثير والمناقب لابن شهرآشوب وتجارب الأمم لمسكويه وغيرها من المصادر.

الطمع

الترغيب والطمع هو أحد أركان التخذيل، وقد بان واضحاً في تصريحات المخذّلين، وأوّلهم ابن زياد في خطابه الأوّل في الكوفة حينما قال:

«..يا أهل الكوفة، إنّ أمير المؤمنين! قد ولاني مصركم، وقسم فيئكم فيكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم، والشدّة على عاصيكم ومريبكم، وأنا منته في ذلك الى أمره، وأنا لمطيعكم كالوالد الشفيق..».

وروى الطبري في تاريخه عن ابن زياد قال: أشرفوا على الناس فتنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة...

وجعل لعوامهم جعلاً، ولكبرائهم جوائز وقطائع وعطايا، فسالت أودية بلعابهم العفن.

المتأثرون بالتخذيل

ينقسم الناس حسب تأثرّهم بالتخذيل وانفعالهم به إلى أقسام:

القسم الأوّل: العوام

وهم يمثّلون الأكثرية التي تغطّي الأغلب، وربما أمكن التعبير بالجميع إلّا ما ندر من المجتمع الكوفي يومها، من الذين كانوا في خدمة الوالي وتحت تأثيراته، وهم من أتباع العجعل والسامري.

وهؤلاء كانوا هم المخاطب المستهدف في حملات التخذيل، ويبدو من لحن الخطاب ونوع التهديد أنهم المقصودون بالخصوص،

إذ أنّ التهديد بإنفاذ رجالهم إلى الثغور البعيدة وحرمانهم من العطاء يشير إلى أنّه تهديد لأفراد العسكر المسجّل في الديوان حيث يمكن للوالي وهو قائدهم العسكري والآمر والناهي فيهم أن يتّخذ فيهم قراراً.

وكذا تهديدهم بجند الشام، وأنهم قد ذاقوا سيوفهم وعرفوا صولاتهم، فهو تهديد لشريحة كانت تباشر القتال ولعوائلهم...

وكذا النداء ببراءة الذمّة من الشرطة والحرس والعسكر إن لم يحضروا المسجد...

فهم المخذّلون المتأثرون، قُصدوا بحملات التخذيل، فاستجابوا ورضخوا..

القسم الثاني: الشيعة

لم نجد ـ حسب فحصنا ـ نصّاً صريحاً يشير إلى تهديد يستهدف الشيعي حسب ولائه واعتقاده الخاص بالإمام المعصوم عليه السلام.

وقد مرّ معنا أنّ الشيعة كانوا أقليّة قليلة جدّاً في المجتمع الكوفي يومذاك، مع ذلك يمكن تقسيمهم إلى كواكب لأهميتهم ولتميزهم:

الكوكبة الأولى:

إن كان هذا الشيعي المفترض فرداً عسكرياً منضوياً تحت أغصان الشجرة الملعونة، ولم تغيّره دعوة سيّد الشهداء ولا سفيره عليه السلام، وبقي بالرغم من مجريات الأحداث الجارية أيام قيام سيّد الشهداء عليه السلام لم يتزحزح عن مكانه، ولم ينقل موقفه من جيش الضلال إلى معسكر الهدى، فهو والحال هذه مصنّف ضمن القسم الأول، وقد انسلخت عنه هويّة التشيع، فلا موقع له هنا ضمن هذه الكوكبة، ويعود ليعدّ في القسم الأوّل من العوام.

الكوكبة الثانية:

من كان من الشيعة في عداد العسكر الذي كان يسمّى يومها بالجيش الإسلامي غير أنّه قد نقل موقفه، أو أنّه لم يكن من رأس منضوياً تحت رايات الضلال، ولا متعلّقاً بأغصان الشجرة التي ما لها من قرار، وابتلي في تلك الأيام بالحبس أو السفر البعيد أو أيّ عذر آخر.

فهؤلاء جميعاً لم يتأثّروا ولم ينفعلوا، والمفروض أنهم ثبتوا، وإن لم يبلغوا الفتح...

الكوكبة الثالثة: الخواصّ

وهؤلاء هم الكوكبة الخالصة الخاصّة من أنصار سيّد الشهداء عليه السلام التي طلعت شهباً أحرقت جذور الشجرة الملعونة، وطلعت نجوماً زواهر أنارت الدنيا والآخرة بنورها الوهاج الذي امتزج بأنوار الإمام عليه السلام التي لن تطفأ أبداً.

وهؤلاء لم يعبأوا بالتهديد والتخذيل، بل ما زادهم إلّا عزيمة وإيماناً وثباتاً ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

الكوكبة الرابعة:

وهم الذين أعدّوا واستعدّوا لنصر سيّد الشهداء عليه السلام ولم يلحقوا الفتح، ونذكر لذلك نموذجين:

النموذج الأوّل:

روى السيّد ابن طاووس في اللهوف وابن نما في مثير الأحزان والمجلسي في البحار:

.. وكان الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعة من أشراف البصرة كتاباً مع مولى له اسمه «سليمان» ويكنّى «أبا رزين» يدعوهم فيه إلى نصرته ولزوم طاعته، منهم يزيد بن مسعود النهشلي، والمنذر بن الجارود العبدي.

فجمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، فلمّا حضروا قال: يا بني تميم! كيف ترون فيكم موضعي وحسبي منكم؟!

فقالوا: بخ بخ! أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر حللت في الشرف وسطاً، وتقدّمت فيه فرطاً.

قال: فإنّي قد جمعتكم لأمر أريد أن أشاوركم فيه، وأستعين بكم عليه.

فقالوا: إنّا والله نمنحك النصيحة، ونجهد لك الرأي، فقل حتّى نسمع.

فقال: إنّ معاوية مات، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، إلّا وأنّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أنّه قد أحكمه، وهيهات والذي أراد! اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام ابنه يزيد شارب الخمور، ورأس الفجور يدّعي

الخلافة على المسلمين، ويتأمّر عليهم بغير رضى منهم مع قصر حلم وقلّة علم، لا يعرف من الحقّ موطئ قدميه، فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي ابن بنت رسول الله ﷺ ذو الشرف الأصيل، والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنّه وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير، ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجّة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحقّ، ولا تسكعوا في وهدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس المخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ﷺ ونصرته، والله لا يقصر أحد عن نصرته إلّا أورثه الله الذلّ في ولده، والقلّة في عشيرته.

وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها،

وادرعت لها بدرعها، من لم يقتل يمت، ومن يهرب لم يفت، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فتكلّمت بنو حنظلة، فقالوا: أبا خالد نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا نخوض والله غمرة إلّا خضناها، ولا تلق والله شدّة إلّا لقيناها، تنصرك والله بأسيافنا، ونقيك بأبداننا، إذا شئت فافعل.

وتكلّمت بنو سعيد بن يزيد، فقالوا: يا أبا خالد! إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك، والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمرنا وبقي عزّنا فينا!! فأمهلنا نراجع المشورة، ونأتيك برأينا.

وتكلّمت بنو عامر بن تميم، فقالوا: يا أبا خالد! نحن بنو أبيك وخلفائك، لا نرضى إن غضبت، ولا نوطن إن ظعنت، والأمر

إليك، فادعنا نجبك، وأمرنا نطعك، والأمر لك إذا شئت.

فقال: والله يا بني سعد! لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً، ولا زال سيفكم فيكم.

ثم كتب إلى الحسين عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم،

أمّا بعد: فقد وصل إليّ كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني له من الأخذ بحظّي من طاعتك، والفوز بنصيبي من نصرتك، وإنّ الله لا يخلي الأرض قطّ من عامل عليها بخير، أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجّة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمدية، هو أصلها وأنتم فرعها، فأقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذلّلت لك أعناق بني تميم، وتركتهم أشدّ تتابعاً في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسها وكظّها، وقد ذلّلت لك بني سعد،

وغسلت درن صدروها بماء سحابة مزن حين استهمل برقها فلمع.

فلمّا قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال: ما لك آمنك الله يوم الخوف، أعزّك وأرواك يوم العطش الأكبر.

فلمّا تجهّز المشار إليه للخروج إلى الحسين عليه السلام بلغه قتله قبل أن يسير، فجزع من انقطاعه عنه[1].

النموذج الثاني:

روى الشيخ ابن قولويه في كامل الزيارات مسنداً:

عن أحمد بن عمرو بن مسلم عن الميثمي قال:

خمسة من أهل الكوفة أرادوا نصر الحسين بن علي عليه السلام، فمرّوا بقرية يقال لها

---

١. اللهوف لابن طاووس: ٣٨ وما بعدها، مثير الأحزان لابن نما: ٢٩، بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٣٩.

«شاهي»، إذ أقبل عليهم رجلان شيخ وشاب، فسلّما عليهم.

قال: فقال الشيخ: أنا رجل من الجنّ، وهذا ابن أخي أردنا نصر هذا الرجل المظلوم.

قال: فقال لهم الشيخ الجنّي: قد رأيت رأياً.

فقال الفتية الإنسيون: وما هذا الرأي الذي رأيت؟

قال: رأيت أن أطير فآتيكم بخبر القوم، فتذهبون على بصيرة.

فقالوا له: نعم ما رأيت.

قال: فغاب يومه وليلته، فلمّا كان من الغد إذا هم بصوت يسمعونه ولا يرون الشخص وهو يقول:

والله ما جئتكم حتى بصرت به
بالطفّ منعفر الخدّين منحورا

وحوله فتية تدمى نحورهم
مثل المصابيح يعلون الدجى نورا
وقد حشت قلوصي كي أصادفهم
من قبل ما أن يلاقوا الخرد الحوراء
كان الحسين سراجاً يستضاء به
الله يعلم أنّي لم أقل زورا
مجاوراً لرسول الله في غرف
وللبتول وللطيّار مسرورا

فأجابه بعض الفتية من الإنسيين يقول:

اذهب فلا زال قبر أنت ساكنه
إلى القيامة يسقي الغيث ممطورا
وقد سلكت سبيلاً أنت سالكه
وقد شربت بكأس كان مغرورا
وفتية فرغوا لله أنفسهم
وفارقوا المال والأحباب والدورا[1]

---

١. كامل الزيارات: ٩٤ باب ٢٩.

الكوكبة الخامسة:

وهم طائفة ممّن انتحل التشيع وادّعى نصرة أهل البيت عليهم السلام غير أنهم تقاعسوا ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف، وأخلدوا إلى الدنيا، ومن طبع هذا النمط من المخلوقات التأثّر والانفعال بالتهديد، والطمع بالدنيا.

غير أنّنا لم نجد نصّاً تاريخياً موثّقاً يذكر لنا شيعة من هذا القبيل، وإنما استفدناه من حديث ورد عن أهل البيت عليهم السلام ربما يفهم منه الإشارة إلى هذا النوع ممّن يسمّون شيعة، بنفس الدواعي التي تسمح بتسمية الأمة التي حرّفت دين النبي صلى الله عليه وآله وأعرضت عن كتابه وتركته وراء ظهورها وعدت على عترته فقتلتهم وشرّدتهم بـ«أمّة النبي»، فهم يحسبون أنفسهم على النبي صلى الله عليه وآله رغماً عنه وعتواً وطغياناً عليه.

روى العياشي في تفسيره عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير هذه الآية ﴿أَلَم تَرَ

إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُم كُفُّوا أَيدِيَكُم﴾ مع الحسن عليه السلام ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾... ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتَالُ﴾ مع الحسين عليه السلام ﴿قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبتَ عَلَينَا القِتَالَ لَولَا أَخَّرتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلى خروج القائم عليه السلام، فإنّ معه النصر والظفر، قال الله: ﴿قُل مَتَاعُ الدُّنيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾ الآية[1].

وروى العيّاشي أيضاً عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال:

والله الذي صنعه الحسن بن علي عليهما السلام كان خيراً لهذه الأمّة ممّا طلعت عليه الشمس، والله لفيه نزلت هذه الآية ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُم كُفُّوا أَيدِيَكُم وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ إنّما هي طاعة الإمام عليه السلام، فطلبوا القتال ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيهِمُ القِتَالُ﴾ مع الحسين عليه السلام ﴿قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبتَ عَلَينَا القِتَالَ

---

١. تفسير العياشي: ١ / ٢٥٨، سورة النساء: ٧٧.

لَولَا أَخَّرتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾.

وقوله ﴿رَبَّنَا أَخِّرنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِب دَعوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ أرادوا تأخير ذلك إلى القائم عليه السلام.

الحلبي عنه عليه السلام: ﴿كُفُّوا أَيدِيَكُم﴾ قال: يعني ألسنتكم..

ربما أمكن الاستفادة من مجمل جوّ هذه الأحاديث، ومن انتظارهم القائم المنتقم عليه السلام، وطلبهم تأجيل القتال معه أنّهم كانوا يزعمون الاعتقاد بالإمامة.

إنّ صحّ هذا الفهم، فهو إشارة صريحة إلى نمط خاصّ من المنتحلين للتشيع والمنتسبين له، فهم بزعمهم راضون وعلى التشيع محسوبون، وغاب عنهم أنّهم قد امتازوا عن الشيعة، لأنّهم لم يكونوا للإمام عليه السلام في مثل هذا الموقف سامعون مطيعون.

وقد ميّزتهم الدعوة الحسينية التي بلغتهم عن الشيعة حينما تخاذلوا وأعرضوا عنها،

وأخرجتهم من دائرة التشيّع لمّا تركوا نصرة ابن بنت رسول الله ﷺ من دون عذر يذكر، فلا يصنّفون في الشيعة بعد يوم الحسين عليه السلام، وإن أطلق عليهم الاسم باعتبارات عرفية وخارجية. إلّا أنّهم ممّن تأثروا وانفعلوا بحملات التخذيل، طلباً للدعة والاسترخاء في ظلال الشجرة الملعونة الزائلة.

آثار التخذيل

﴿الَّذِينَ قالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزادَهُمْ إِيماناً وَقالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ..

التهديد والتخذيل إنما يؤثر في النفوس الضعيفة والعزائم المهزوزة والإرادات المتذبذبة. إمّا المؤمن الواثق الثابت الجنان المطمئن بما وعده به الرحمن فهو كالجبل لا تزلزله القواصف، ولا تستفلّ منه المعاول، ولا تزحزحه العواصف، يقول لمن هدّده بالموت ما قاله سيّد الشهداء عليه السلام:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى
إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلماً

ويجيب كما أجاب زهير بن القين إذ قال له شمر: إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

قال: أفبالموت تخوفني؟! فوالله للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم.

وقد عبّر أصحاب سيّد الشهداء عليه السلام كلّ منهم بطريقته عمّا عبّر عنه زهير بن القين صلوات الله عليهم أجمعين..

والذين ثبتوا مع المولى مسلم بن عقيل لم يعمل فيهم التخذيل، بل شدّ عزمهم، ورسّخ مواقفهم، وثبّت أقدامهم، غير أنّهم كانوا ذلك اليوم أقلّ القليل!

أمّا سيلانات الزيد الطافح في الكوفة يومذاك التي كانت تجري من كلّ مناهجها وسككها ودورها، فإنّ التخذيل عمل فيها عمله، فكانت النتيجة:

الفتور

لمّا سمع من يسمّونهم بأصحاب مسلم ﷺ، وهو تعبير استخدمه المؤرّخ، ويعني بهم من خرجوا في تلك الزحمة وكأنهم في صفّ المولى الغريب مسلم بن عقيل ﷺ مستجيبين لنداءه، فإنّ التخذيل بان فيهم على حدّ تعبير البلاذري في أنساب الأشراف بهيئة الفتور، قال:

«فلمّا سمع أصحاب مسلم مقالتهم فتروا بعض الفتور»..

فراح الحماس المتوهّج يخبو، والحمية الكاذبة تبرد، والمواقف المزيّفة تنكشف، والبهرج ينجلي، والطين النتن يغزو الآفاق بعفنه، بعد أن خمد دخان النار المشتعلة من الدمن في نفوس الانتهازيين والمتربصين.. لأنهم كانوا أصغر وأحقر من أن يباشروا الصيد بذواتهم، فأرادوا أن يأكلوا الجيف،

فاستسلموا لابن الأمة الفاجرة، فأكلوا جيفهم أذلاء خاسئين.

التفرّق

ربما كان تعبير البلاذري لبيان حالة مرّ بها الناس يومذاك من دون ترتب بين عبارته وعبارة غيره من المؤرّخين، غير أنّ النتيجة الطبيعية للفتور وخمود الروح والتزلزل والعودة إلى المتبنيات الأصلية والمنطلقات الأساسية التي ينطلق منها الإنسان في حراكه دائماً.

وكيف كان، فإنّ عبّاد الطاغوت الذين اتخذوا أهواءهم آلهة انفعلوا وراحوا يتفرّقون عن المولى الغريب ﷺ، ويبتعدون عن الصراط المستقيم، ويدلفون في السبل المتفرّقة التي تودي بهم إلى جهنم وساءت مصيراً.

تجمهروا حول حبل الله الممدود لهم من

السماء بيد أنهم لم يمسكوه ولم يتعلّقوا به، ولم يشدّدوا قبضاتهم عليه ويفتلوا أناملهم بخيوطه، ولو كانوا قد تمسّكوا به لما أفلتوا منه...

قال الشيخ المفيد في الإرشاد وغيره:

فلمّا سمع الناس مقالهم أخذوا يتفرّقون...

الانصراف

إذا انصرف الإنسان عن وجه الله فأين سيولّي وجهه؟

انصرفوا عن سيّد الشهداء وسفيره المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام استجابة إلى أهليهم، وإن كان المحرّك لذلك الانصراف هو تخذيل السلطان وحبّ الدنيا:

﴿قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ في سَبيلِهِ

فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقين﴾ ..

ف«كانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف .. ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشرّ؟ انصرف، فيذهب به فينصرف».

«فما زالوا يتفرّقون وينصرفون ..» حتّى بقي المولى في ثلّة قليلة معه.

المعركة

اختلف العلماء والمؤرّخون في بيان أحداث الحركة نحو القصر، ويمكن تقسيم أقولهم إلى عدّة مشاهد:

المشهد الأوّل:

تفرّق الجمع دون قتال

قال البلاذري: وقد أغلق عبيد الله بن زياد أبوابه، وليس معه فيه إلّا عشرون من الوجوه وثلاثون من الشرط.

فوجّه محمد بن الأشعث بن قيس وكثير بن شهاب الحارثي، وعدّة من الوجوه ليخذّلوا الناس عن مسلم بن عقيل

والحسين بن علي، ويتوعّدونهم بيزيد بن معاوية وخيول أهل الشام ومنع الأعطية وأخذ البريء بالسّقيم والشاهد بالغائب.

فتفرّق أصحاب ابن عقيل عنه، حتّى أمسى وما معه إلّا نحو من ثلاثين رجلاً[١].

وروى الطبري في خبر الدهني قال:

فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمته، وعبى ميمنته وميسرته، وسار في القلب الى عبيد الله، وبعث عبيد الله الى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر.

فلمّا سار إليه مسلم فانتهى الى باب القصر أشرفوا على عشائرهم، فجعلوا يكلّمونهم ويردّونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمائة، فلمّا اختلط الظلام

---

١. أنساب الأشراف (ت ٢٧٩): ٢ / ٨١.

ذهب أولئك أيضاً[١].

وروى الطبري أيضاً:

... قال أبو مخنف: وحدّثني يونس بن أبي إسحاق، عن عباس الجدلي قال:

خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن ثلاثمائة.

قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتّى أحاط بالقصر، ثم إنّ الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فو الله ما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يثوبون حتّى المساء، فضاق بعبيد الله ذرعه، وكان كبر أمره أن يتمسّك بباب القصر، وليس معه إلّا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته ومواليه، وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذي يلي دار

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠.

الروميين، وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم، فينظرون إليهم فيتّقون أن يرموهم بالحجارة، وأن يشتموهم وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه.

ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير بالكوفة، ويخذّل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب، ويحذّرهم عقوبة السلطان.

وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت، فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس.

وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري، وحبس سائر وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس، وخرج كثير بن شهاب يخذّل الناس عن ابن عقيل.

قال أبو مخنف: فحدّثني أبو جناب الكلبي أنّ كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له «عبد الأعلى بن يزيد»، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتّى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنما أردتك!

قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟! فأمر به فحبس.

وخرج محمد بن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به الى ابن زياد فحبسه.

فبعث ابن عقيل الى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن ابن شريح الشبامي، فلمّا رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه، أخذ يتنحّى ويتأخّر، وأرسل القعقاع بن شور الذهلي إلى محمد بن الأشعث: قد جلت على ابن عقيل من العرار، فتأخّر عن موقفه،

فأقبل حتّى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين.

فلمّا اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، قال له كثير ـ وكانوا مناصحين لابن زياد ـ: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله.

وعقد لشبث بن ربعي لواء، فأخرجه، وأقام الناس مع ابن عقيل يكبّرون ويثوبون حتّى المساء، وأمرهم شديد.

فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه، ثم قال: أشرفوا على الناس فخوّفوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوّفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم.

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد، عن عبد الله بن خازم الكثيري من

الأزد، من بني كثير، قال:

أشرف علينا الأشراف، فتكلّم كثير بن شهاب أوّل الناس حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال:

أيّها الناس، ألحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين!! يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً:

لئن أقمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم أن يحرم ذرّيّتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقى له فيكم بقيّة من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما جرت أيديها، وتكلّم الأشراف بنحو من كلام هذا.

فلمّا سمع مقالتهم الناس أخذوا يتفرّقون، وأخذوا ينصرفون.

قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد،

إنّ المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشرّ! انصرف، فيذهب به.

فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً.(١)

وهذا الخبر على طوله وتفصيله وتعدّد رواته يدخل في المشهد الأوّل، لأنّه ينتهي بتفرّق الجمع دون أيّ قتال.

بل حتّى الشبامي الذي أرسله المولى مسلم بن عقيل عليه السلام لم يتشبك مع ابن الأشعث ولم يحصل بينهم قتال يذكر، إضافة إلى ما قد يناقش ويلاحظ في تفاصيله.

وروى المسعودي في المروج قال:

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٠، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٦.

ولمّا بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانئ، أمر مناديا فنادى «يا منصور»، وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل.

فسار الى ابن زياد، فتحصّن منه، فحصروه في القصر فلم يُمْسِ مسلم ومعه غير مائة رجل.

فلمّا نظر إلى الناس يتفرّقون عنه سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلّا ومعه منهم ثلاثة[1].

وقال ابن كثير في البداية والنهاية:

فلمّا انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف، وتهدّدوهم وتوعّدوهم.

---

١. مروج الذهب للمسعودي: ٣/ ٥٨.

وأخرج عبيد الله بعض الأمراء وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذّلون الناس عن مسلم بن عقيل، ففعلوا ذلك.

فجعلت المرأة تجيء إلى ابنها وأخيها وتقول له: ارجع إلى البيت، الناس يكفونك ويقول الرجل لابنه وأخيه: كأنّك غداً بجنود الشام قد أقبلت فما ذا تصنع معهم؟

فتخاذل الناس وقصّروا وتصرّموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل حتّى لم يبق إلّا في خمسمائة نفس، ثم تقالّوا حتّى بقي في ثلاثمائة ثم تقالوا حتّى بقي معه ثلاثون رجلاً، فصلّى بهم المغرب، وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة، ثم انصرفوا عنه[1]

وقال ابن الجوزي في المنتظم:

... فنادى مسلم أصحابه، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة آلاف، فمضى بهم إلى

---

١. البداية والنهاية: ٨/ ١٥٥.

القصر، فأشرف أصحاب عبيد الله على أهاليهم يعدونهم ويقولون: غداً يأتيكم جنود الشام. فتسلّلوا، فما اختلط الظلام حتّى بقي مسلم وحده، فأوى إلى امرأة[١]..

وقال ابن شهرآشوب في المناقب:

.. ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل في أربعة آلاف كانوا حواليه فاجتمع إليه ثمانية آلاف ممّن بايعوه، فتحرز عبيد الله وغلق الأبواب، وسار مسلم حتّى أحاط بالقصر.

فبعث عبيد الله كثير بن شهاب الحارثي ومحمد بن الأشعث الكندي من باب الروميين براية الأمان لمن جاءها من الناس، فرجع الرؤساء إليها فدخلوا القصر.

فقال لهم عبيد الله: أشرفوا على الناس فمنّوا أهل الطاعة وخوّفوا أهل المعصية، فما زال الناس يتفرّقون حتّى أمسى مسلم وما

---

١. المنتظم: ٥ / ٣٢٦.

معه إلّا ثلاثون نفساً. فلمّا صلّى المغرب ما رأى أحداً[١]..

وقال ابن حجر في الإصابة:

ونادى مسلم بن عقيل لمّا بلغه الخبر بشعاره، فاجتمع عليه أربعون ألفاً!! من أهل الكوفة، فركب.

وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فأمر كلّ واحد منهم أن يشرف على عشيرته فيردّهم، فكلّموهم فجعلوا يتسلّلون، فأمسى مسلم وليس معه إلّا عدد قليل منهم.

فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً، فلمّا بقي وحده تردّد في الطرق بالليل، فأتى باب امرأة[٢]....

وفي مقاتل الطالبيين لأبي الفرج

---

١. المناقب لابن شهرآشوب تحقيق السيّد علي أشرف: ١٠ / ٣١٧.

٢. الإصابة: ٢ / ٧٠.

الأصفهاني: .. وتكلّم الأشراف بنحو من كلام كثير، فلمّا سمع الناس مقالتهم تفرّقوا.

قال أبو مخنف: حدّثني المجالد بن سعيد:

إنّ المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشرّ؟ انصرف.

فما زالوا يتفرّقون وينصرفون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه إلّا ثلاثون نفساً، حتّى صلّيت المغرب، فخرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب إلّا ومعه منها عشر، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم إنسان فمضى متلدّداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، حتّى خرج إلى دور بني بجيلة من كندة، فمضى حتّى أتى باب امرأة يقال لها طوعة[1]...

---

١. مقاتل الطالبيين: ٤ - ١٠٤.

وفي روضة الواعظين للفتال النيسابوري:

فاجتمع لابن عقيل أربعة آلاف رجل، وما زالوا يتوثّبون حتّى المساء، فضاق يعبيد الله أمره، وكان أكثر عمله أن يمسك باب القصر، وليس معه في القصر إلّا ثلاثون رجلاً من الشرطة، وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته وخاصّته حتّى كادت الشمس أن تغيب.

فكانت المرأة تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشرّ، انصرف، فيذهب به فيصرفه، فما زالوا يتفرّقون عن ابن عقيل حتّى أمسى وصلّى المغرب وما معه إلّا ثلاثون نفساً في المسجد.

فلمّا رأى أنّه قد أمسى وليس معه إلّا أولئك النفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة فما بلغ الأبواب ومعه منهم عشرة.

ثم خرج من الباب فإذا ليس معه إنسان، فالتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً على الطريق، ولا يدلّه على منزله! ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ.

فمضى على وجهه متردّداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب، فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها «طوعة»[1]...

المحصّل:

المحصّل من هذه الأخبار أنّ الجمع المحتشد والزخم المتراكم قد انفعل بحملات التخذيل وتسلّل وانخرم وتفرّق وانصرم دون أيّ حرب وقتال واشتباك وتلاحم لا من قريب ولا من بعيد.

ولم تذكر هذه النصوص صور اصطفاف عسكري ولا حرب منظمة، كما لم تذكر أيّ احتكاك ومناوشات ولا حرب «شوارع

---

١. روضة الواعظين: ١٧٣ وما بعدها.

وعصابات»!!

وكلّ ما تفيده أنّ ثمّة جمهور مختلط كان يتقلّب في تلك الساحة، اختلط فيه الحابل بالنابل، لم تحدّد فيه الجبهات ولا الصفوف، وإنما هو تجمّع ضخم على اختلاف الأرقام، لا يميّز فيه رجال صفّ الحقّ عن زبد الباطل، غير أنّه كان تجمّعاً تلى نداء المولى الغريب مسلم بن عقيل عليه السلام، فأخرج ابن الأمة الفاجرة عسكره ورياته، وشرعوا بالتخذيل من فوق سور القصر وعلى الأرض، وانفلت الناس وتبدّد الجمع منحسراً لئلا يحسب عند السلطة ضمن المتعاطفين مع الحقّ ورجاله.

ولا يخفى ما في هذه النصوص من قوّة من حيث ورودها في مصادر مهمّة في التقييم عند المحقّقين من قبيل البلاذري والطبري والمسعودي وابن كثير وابن شهرآشوب والفتال النيسابوري وغيرهم ممّن ذكرناهم.

المشهد الثاني:
وقوع القتال الشديد

روى ابن سعد في الطبقات: ... وبلغ الخبر مسلم بن عقيل، فخرج في نحو من أربع مائة من الشيعة، فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو ستّين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد[1]...

وروى ابن أعثم في الفتوح قال:

وأقبل مسلم بن عقيل ـ رحمه الله ـ في وقته ذلك عليه، وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام وشاكوا السلاح، وهم في ذلك يشتمون عبيد الله بن زياد ويلعنون أباه.

قال: وركب أصحاب عبيد الله واختلط

---

١ ـ الطبقات الكبرى: خ ١ / ٤٦٦.

القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً، وعبيد الله بن زياد وجماعة من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس...

قال: وجعل رجل من أصحاب عبيد الله بن زياد اسمه كثير بن شهاب ينادي من أعلى القصر بأعلى صوته:

ألا يا شيعة مسلم بن عقيل! ألا يا شيعة الحسين بن علي! الله الله في أنفسكم وفي أهاليكم وأولادكم، فإنّ جنود أهل الشام قد أقبلت، وأنّ الأمير عبيد الله بن زياد قد عاهد الله لئن أقمتم على حربكم ولم تنصرفوا من يومكم هذا ليحرمنّكم العطاء، وليفرقنّ مقاتلتكم في مغازي أهل الشام، وليأخذنّ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقى منكم بقيّة من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال أمرها.

قال: فلمّا سمع الناس! ذلك تفرّقوا وتحادوا

عن مسلم بن عقيل ـ رحمه الله ـ ، ويقول بعضهم لبعض : ما نصنع بتعجيل الفتنة وغداً تأتينا جموع أهل الشام ، ينبغي لنا أن نفعل في منزلنا وندع هؤلاء القوم حتّى يصلح الله ذات بينهم .

قال : ثم جعل القوم يتسلّلون والنهار يمضي ، فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقلّ ولا أكثر واختلط الظلام ، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلّي المغرب وتفرّق عنه العشرة .

ملاحظة في الخبر

نسمع في هذا الخبر وغيره خطابات أوباش ابن زياد من «أعلى القصر» وهو ينادي بأعلى صوته كما في خبر ابن أعثم!

ولا ندري كيف كان يوصل «كثير» وأمثاله أصواتهم إلى الناس ، ويمكن أن

يلاحظ على ذلك عدّة معوّقات تعيق وصول الصوت إلى الناس بسهولة، وبالتالي تعيق تصديق الخبر ببساطة:

العائق الأوّل: ارتفاع الجدران

كانت أسوار القصر عالية شاهقة مترامية الأطراف في اتجاهاته الأربعة، ممّا يصعّب وصول الصوت واضحاً مسموعاً إلى شريحة كبيرة من الواقفين على الأرض في تلك الساعة.

والمفروض أنّ أخلاط الناس وما يسمّونهم بعسكر المولى مسلم بن عقيل عليه السلام لم يسمح لهم بالدنو من أسوار القصر، فلابد أنّهم يقفون على بعد مسافة من أسوار القصر وأبوابه، لأنّ من كان فوق القصر كان يرميهم بالمدر والنشاب لئلا يقتربوا من القصر!

هذا لو لم نفرض أنّ القصر كان محاطاً

بالحرس والشرطة وغيرهم من القوّات التي كانت تحمي ابن زياد وقصره، وهو فرض بعيد!

العانق الثاني: أصوات العسكر وتجهيزاته

كان الناس قد خرجوا إلى حرب ـ حسب الفرض ـ والخارج إلى قتال يخرج بعدّته وعلى حدّ تعبير ابن أعثم «شاكوا السلاح»، فيهم الفارس والراجل، فصهيل الخيل، وقعقعة السلاح، وجلبة الرجال، وارتطام السيوف بالدروع، وخشخشة حلقات المغافر، وغير ذلك مما يلزم اجتماع العساكر من ضجيج وجلبة وصخب وصراخ، يمنع ويجعل سماع المتكلّم القريب صعباً عسيراً، فكيف بمن ينادي من أعلى القصر؟!

العانق الثالث: أصوات الناس وتحركاتهم

اجتماع الناس في مكان واحد وتكأكأهم على موضع بذاته، وهم أمواج متحركة

متداخلة متشابكة تغدو وتروح، وتتسلّل وترجع، وتدخل وتخرج، ويعوج بعضها على بعض، ممّا يؤدّي إلى حركة يصحبها لغط وأصوات متداخلة.

فبين أصوات حوافر الخيل، واحتكاك النعل بالأرض، وبين اصطدام الرجال بعضهم ببعض وهم يتحرّكون ذاهبين راجعين داخلين خارجين تصطك آلاتهم الحربية بعضها ببعض، وبين صهلة فرس، أو سعلة رجل، ونداء صاحب لصاحبه، أو أب لابنه، أو أم لولدها، أو زوجة لزوجها، وغير ذلك ممّا يصدر من الناس إذا اجتمعوا في موضع واحد، فإنّها جميعاً تحدث ضجيجاً وصخباً يمنع من وصول الصوت إلى المخاطب من أعلى القصر مهما كان صوته جهورياً مرتفعاً!

العائق الرابع: ضخامة العدد

مرّ معنا الحديث عن الأعداد المذكورة حسب الفرض، وهي أعداد ضخمة تحتاج إلى مساحة شاسعة تستوعبها حوالي القصر، وتمنع من أن يكون الجميع متراكماً في مكان محصور محدود.

وانتشار العدد على أرض واسعة يعرقل وصول الصوت إليها بين كلّ تلك الجلبة والصخب والضجيج، فإذا سمع قوم ولنفرض أنهم كانوا قريبين من صوت المنادي من أعلى القصر، فإنّ ذلك يحتاج إلى مدّة من الزمن تكون كافية للتواصل بين المتواجدين على الأرض حتّى يبلّغ القريب منهم البعيد.

عودة إلى النصوص

قال السيّد ابن طاووس في اللهوف :

وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل ، فخرج بمن بايعه إلى حرب عبيد الله بن زياد ، فتحصّن منه بقصر دار الإمارة واقتتل أصحابه وأصحاب مسلم ، وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرفون منه ويحذّرون أصحاب مسلم ويتوعّدونهم بأجناد الشام ، فلم يزالوا كذلك حتّى جاء الليل .

فجعل أصحاب مسلم يتفرّقون عنه ويقول بعضهم لبعض : ما نصنع بتعجيل الفتنة ، وينبغي أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتّى يصلح الله ذات بينهم ، فلم يبق معه سوى عشرة أنفس ، فدخل مسلم المسجد ليصلّي المغرب ...

وقال ابن نما الحلّي في مثير الأحزان :

ولمّا بلغ مسلم بن عقيل خبره خرج بجماعة ممّن بايعه إلى حرب عبيد الله بعد أن

رأى أكثر من بايعه من الأشراف نقضوا البيعة وهم مع عبيد الله، فتحصّن بدار الإمارة، واقتتلوا قتالاً شديداً إلى أن جاء الليل[١]..

وفي تاريخ الطبري:

قال حصين: فحدّثني هلال بن يساف قال: لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرّون في طريق يميناً ولا شمالاً إلّا وذهبت منهم طائفة، الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك.

قال: فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة، ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بحرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

---

١ ـ مثير الأحزان لابن نما: ٣٤.

قال: فنزل فصعد المنبر وقال للناس: تميّزوا أرباعاً أرباعاً. فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربعهم.

فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا، فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة[١]...

مناقشة الخبر

وهذا الخبر فيه مناقشات كثيرة:

منها:

إنّ الخروج كان في الليل «لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار... فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة..».

ومنها:

إنّ ابن زياد نزل إلى المسجد وحصل القتال

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٣.

بحضوره، والحال أنّه كان يخاف النزول، وأمر بحرادي فيها النيران، فجعلوا ينظرون..

ومنها:

إنّهم دخلوا على مسلم بن عقيل عليه السلام نفس الليلة وأخذوه إلى ابن الأمة الفاجرة فأمر بقتله: «فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فساره، فقال له: إنّ مسلماً في دار فلان!

فقال ابن زياد: ما قال لك؟

قال: إنّ مسلماً في دار فلان.

قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فاتياني به، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار... ثم أمر به فضربت عنقه»[1]...

---

١. يفيد الخبر استمرار القتال إلى الليل، واستمرار المجموعة الباقية مع مسلم عليه السلام بالقتال دفاعاً عنه.

النتيجة:

نصّ ابن سعد أنّ القوة المقاتلة كانت زهاء ستّين قال: «فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو ستّين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة ..».

وهم في رواية الطبري زهاء خمسين: «فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً ..».

وعبارة ابن غا قريبة جدّاً من عبارة السيّد، وعبارة السيّد قريبة من عبارة ابن أعثم، وهو الأقدم، وكلّهم أجملوا ونصّوا على أصل القتال ولم يتعرّضوا لذكر العدد المقاتل، فيمكن أن تحمل عبارتهم على وقوع القتال بين العدد الذي لا يزيد عن ستّين على كلّ الاحتمالات.

فيكون الذين قاتلوا قتالاً شديداً هم العدد الذي نصّ عليه ابن سعد أو الطبري في إحدى رواياته.

المشهد الثالث:
مناوشات السور دفاعاً عن القصر

قال الدينوري في الأخبار الطوال: بعد أن ذكر تقسيم الرايات:

فتقدّموا جميعاً حتّى أحاطوا بالقصر، واتبعهم هو في بقيّة الناس.

وتحصّن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشراف! أهل الكوفة والأعوان والشرط، وكانوا مقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر[١] والنشاب[٢]، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتّى أمسوا.

وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من

---

١. المَدَرُ: قِطَعُ الطينِ اليابِس. انظر: لسان العرب، مجمع البحرين، العين.

٢. النُّشَّابُ: النَّبل والسهام. انظر: لسان العرب.

أشراف! أهل الكوفة: ليشرف كلّ رجل منكم في ناحية من السور، فخوّفوا القوم....

فلمّا سمع أصحاب مسلم مقالتهم فتروا بعض الفتور.

وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه، وأخاه، وابن عمّه فيقول: انصرف، فإنّ الناس يكفونك، وتجيء المرأة إلى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلّق به حتّى يرجع.

فصلّى مسلم العشاء في المسجد، وما معه إلّا زهاء ثلاثين رجلاً...

وأمّا ما رواه الشيخ المفيد من حصول الرشق بالحجارة، فإنّه نفس خبر عبد الله بن حازم الذي رواه الطبري غير أنّه قال:

«وجعل من في القصر مع ابن زياد يشرفون عليهم فينظرون إليهم وهم يرمونهم بالحجارة ويشتمونهم ويفترون!! على عبيد الله وعلى أبيه....».

وعبارة الطبري:

«وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم، فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة، وأن يشتموهم وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه..».

ويلاحظ التفاوت الشديد بين النصّين بالرغم من أنّهما رواية واحدة، وعبارة الشيخ المفيد فيها ارتباك واضح، وعبارة الطبري تفيد الخوف من وقوع الرمي بالحجارة والشتم، لا أكثر...

النتيجة:

حصيلة عبارة الدينوري أنّ كلّ من كان في القصر «كانوا مقدار مائتي رجل» وكذا محصل عبارتي الشيخ والطبري.

ولم يكن الاشتباك بين من كان على سور القصر ومن كان في الخارج مباشراً، ولم يتحقّق بينهم قتال والتلحام.

ورمي الحجارة من الأرض إلى أعالي سور القصر على ارتفاعه وتحصّنه لا أثر له ألبتة.

ورمي الحجارة والنشاب من أعلى السور باتجاه المتواجدين على الأرض لم يكن قتالاً، وإنما كانوا «على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتّى أمسوا».

فهم لم يشتبكوا مع القوم، وإنما كان الخوف يدفعهم لاتخاذ إجراء يمنع القوم من الدنو من القصر، ليس إلّا.

على أنّ ما يسمّى «المواجهة» كانت بين شرذمة على السور وجماعة على الأرض لو اعتمدنا رواية ابن سعد والطبري لا يتجاوز عددهم الستّين...

ولو اعتمدنا النصوص المتعلّقة بهذا المشهد، فهم خليط من الزبد الذي تدفعه التهديدات الفارغة، وتفتته دعوات الأقرباء الواهية...

المشهد الرابع:
قتال مسلم عليه السلام حتّى الأسر

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال:

وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر[١]..

وروى اليعقوبي في التاريخ قال:

ووجّه ـ أي ابن زياد ـ بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه، وهو لا يشكّ في وفاء القوم، وصحّة نياتهم! فقاتل عبيد الله، فأخذوه، فقتله عبيد الله، وجرّ برجله في السوق وقتل هانئ بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانته إياه[٢]..

---

١. الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت ٢٧٦): ٢ / ٩.
٢. تاريخ اليعقوبي (ت ٢٩٢): ٢ / ٢٤٣.

النتيجة:

إنّ هذا المشهد يختلف تماماً عن المشاهد السابقة حيث أنّه لا يروي تفاصيل الخروج إلى القصر، وإنما يصوّر تقدّم جرذان القصر نحو المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، أي أنّه يرسم الصورة عكس المشهور تماماً، ولا يخفى ما لهذين المصدرين من ثقل وقدم..

ويلاحظ أنّ عبارتي ابن قتيبة واليعقوبي كلاهما ترويان القتال بصيغة المفرد، وتنسبان القتال للمولى الغريب وحده.

وسيأتي الكلام في هذا المشهد في دراسة لاحقة إن شاء الله.

المشهد الخامس:

مشهد خاصّ

قال لسان الملك سبهر في ناسخ التواريخ حياة الإمام الحسين عليه السلام :

نظرت وبحثت وأنا أسطّر هذه الصفحات في كتاب بحار الأنوار، والعوالم، وكتاب زبدة الفكرة، وكتاب اللهوف، وكتب الشيخ المفيد، وكتاب ابن شهرآشوب، وكتاب اعلام الورى، وبحر اللئالي، والفي، والطبري، وكتاب مروج الذهب، وكتاب الفصول المهمة، وكتاب تذكرة خواص الأمّة، وكتاب شرح الشافية، وكتاب كشف الغمّة، وكتاب اليافعي، وكتاب الطريحي، وكتاب أعثم الكوفي، والمعيني، وأبو مخنف، وكتاب مطالب السؤول، وكتاب عبد الله بن محمد رضا الحسيني المعروف بجلاء العيون، وفي مئات الكتب والمجلدات العربية

والفارسية التي ألفها العلماء العظام في مقتل الحسين عليه السلام، ولم أجد في أيّ واحدة منها قصّة تدخّل محمد بن كثير في نصرة مسلم بن عقيل بهذا التفصيل الذي يأتي.

ولما كان ابن أعثم الكوفي من علماء أهل السنّة والجماعة، وله إحاطة ودراية في جمع السير، وهو يروي في الغالب عن ابن اسحاق وابن هشام، رأيت من المؤسف أن لا آخذ ما كتبه بنظر الاعتبار، فهو يقول:

لما تفرّق الناس عن مسلم واختلط الظلام استوى مسلم على فرسه ومضى يخرج من الكوفة وهو لا يعرف الطريق فمضى يطوف في بعض الأزقة فرآه سعيد بن الأحنف فعرفه فقال له: الى أين يا سيّدي ومولاي في مثل هذا الوقت؟

فقال: أريد أن أخرج من هذا البلد إلى مأمن، حتى يجتمع إليّ بعض من بايعني من القوم فينصرونني.

فقال سعيد بن الأحنف: لا أدعك تذهب أبداً، فقد جعلوا المدينة عليك سجناً مقفلاً، وأحاطوا بك، وملأوا الأزقة والسكك بالجنود والحرس، فأين ذهبت قبضوا عليك وأسروك.

فقال مسلم: فماذا ترى؟

قال: تعال معي حتى أدلّك على الطريق وأهديك الى مكان تأمن فيه.

فجاء به حتّى وقف على باب دار محمد بن كثير، فنادى: يا محمد بن كثير أسرع واستقبل مسلماً.

فخرج محمد من الدار مسرعاً واستقبل مسلماً استقبالاً مبجّلاً، وحمد الله على ما أنعم عليه وأكرمه باستضافة مسلم، وأدخله إلى بيته وجعله في موضع لا يدخله أحد غيره، وهيّأ له ما يلزمه.

وكان أصحاب عبيد الله بن زياد يطوفون في الأزقة والمحلات ويدخلون كلّ موضع

ومكان بحثاً عن مسلم بن عقيل، فكأنهم أحسّوا بموضعه فأرسلوا الى ابن زياد يخبرونه بذلك، ففرح ابن زياد فرحاً شديداً، وأمر ابنه خالد أن يخرج مع فوج من الجنود ويحاصروا دار محمد بن كثير، ويهجموا عليه مغافصة وعلى حين غرّة، فحاصروه ولم يكن معه أعوان ولا أنصار، فأمسكوا به وبابنه دون قتال ولا جدال، فلا ضربوا سيفاً ولا سفكوا دماً، فأرسلوا بهما الى ابن زياد، وفتّشوا البيت فلم يجدوا عيناً ولا أثراً، فرجع خالد إلى قصر الإمارة.

فلمّا سمع بذلك سليمان بن صرد الخزاعي والمختار بن أبي عبيدة الثقفي وورقاء بن عازب وجماعة آخرون من أشراف الكوفة تعاهدوا على الخروج غداة غد للهجوم على ابن زياد لانقاذ محمد وابنه، والخروج بعد ذلك خارج الكوفة يتلقون الحسين عليه السلام لينصروه ويقاتلوا معه أعداءه، فتعاقدوا

على ذلك وتعاهدوا وأرسلوا إلى قبائلهم ليستعدّوا ويخرجوا غداة الغد لقتال ابن زياد.

فلمّا أصبح الصباح وصل عامر بن الطفيل ومعه عشرة الآف رجل من جند الشام والتحق بابن زياد، ففرح ابن زياد واستقوى بهم، فأرسل الى محمد بن كثير.

فلمّا حضر عنده سبّه وشتمه، وتكلّم معه كلاماً غليظاً.

فقال محمد: يا ابن زياد! اعرف قدرك، والزم حدّك، ولا تقل ما لا يليق بك، فإني أعرف حسبك ونسبك وأعلم استلحاق معاوية لزياد، وما فعله في ذلك من فتنة وفساد.

فبينا كان محمد يتكلّم ارتفعت أصوات طبول الحرب تصمّ الآذان، وتخرق الصماخ، وإذا بأربعين ألف رجل ـ أو ما يقرب من ذلك ـ قد حاصروا قصر الإمارة، واصطفوا

حوله صفوفاً.

فاشتدّ غضب ابن زياد وقال: يا بن كثير أقسم بيزيد أن ليس على كلامي مزيد، لتأتيني بمسلم أو لأضربن عنقك.

فقال له: أنت أحقر من أن تمسّ شعرة مني.

فسكت ابن زياد، وأطرق برأسه الى الأرض، وكتم غضبه، وفكر في عواقب فعله، وإن كانت تلك الكلمات ثقيلة عليه، وهو لا يطيق سماعها.

ثم رفع رأسه وقال: يا بن كثير! أيّهما أحبّ إليك أهلك وعشيرتك أم مسلم بن عقيل؟

فقال: يا بن زياد إنّ الله حافظ ابن عقيل وناصره ومعينه، وأنا لي ثلاثون ألف سيف متعطّشة للدماء تحيط الآن بقصر الإمارة.

فغضب ابن زياد ولم يعد يحتمل الصبر عليه، فأخذ دواة كانت أمامه فرمى بها محمد، فأصابته في جبهته فشجّته، وسال

الدم على وجهه.

فوثب محمد إلى سيف، فأخذه وهجم على ابن زياد، فأحاط به أشراف! الكوفة ومنعوه من الوصول اليه.

فلمّا رأى معقل! ذلك، وكان من قبل قد جرحه هاني كما ذكرنا، حمل على محمد فوثب عليه محمد كالليث الغضبان وضربه بسيفه فقطّه نصفين.

فلمّا رأى ابن زياد إقدام محمد وشجاعته تنحّى جانباً ونادى بغلمانه: اقتلوه ولا تبقوه. فأحاطوا به من كلّ جانب وتكاثروا عليه ومحمد يقاتلهم يميناً وشمالاً، فقتل منهم اثنين، ثم إنّه عثر بوتد، فسقط إلى الأرض، فانتهزوها فرصة، فحملوا عليه وقتلوه.

أمّا ابن محمد فقد سلّ سيفاً وقاتل وهو يريد الوصول الى باب القصر، فقاتل قتال الأبطال، فقتل عشرين حتّى وصل إلى باب القصر، فطعنه غلام في ظهره بالرمح، فسقط

شهيداً.

وكان جيش الشام مشغولاً بقتال الكوفيين على الباب يتبادلون معهم الضرب والطعان بالسيوف والسنان، وهم يتعجّبون ويتأهّبون لصبر الكوفيين وجلدهم.

فقال ابن زياد: إنّما يقاتل أهل الكوفة لمكان محمد بن كثير وابنه فاقطعوا رأسيهما وارموا بهما إلى الناس ليروهم، فيفتّ في عضد المقاتلين، ويخمد حماسهم، فقطعوا الرؤوس ورموا بها من أعلى الشرف بين الناس، فعلموا أنّ محمداً وابنه قد قتلا.

ولكنهم استمروا في القتال حتّى انتهى النهار، وهبط عليهم الظلام، فانصرف كلّ واحد إلى أهله، ولم يبق منهم ولا رجل واحد في الميدان.

فلمّا سمع مسلم بن عقيل بالخبر خرج من مكمنه في دار محمد بن كثير، وهو لا يعلم إلى أين يذهب! وكان ابن زياد على وجل من

أهل الكوفة وانقلابهم عليه! وفي نفس الوقت كان جاداً في البحث عن مسلم بن عقيل غاية الجدّ، ولهذا فرق جنده وهم إثنا عشر ألفاً في شوارع الكوفة وأزقّتها ومناطقها، فلم يترك محلّة إلاّ وجعل فيها جماعة من عسكره، سيما في الليل، فأخذوا كلّ المعابر والسبل.

فلمّا خرج مسلم لقيته جماعة من الحراس فسألوه: من أنت؟ وإلى أين تريد؟

فقال: أنا رجل من بني فزارة!!! أريد الرجوع إلى قومي!!

فقالوا له: ارجع فليس هذا طريقك، فرجع مسلم ومشى في طريق آخر حتى وصل إلى دار البيع، وكان خالد بن عبيد الله بن زياد في اثني عشر ألفاً حراساً على تلك المحلّة، فرجع من هناك وأخذ يميناً وشمالاً في السكك والأزقة حتّى وصل إلى الكناسة، وكان هناك خادم الشامي في ألفي رجل، فمرّ

مسلم بشجاعة وإقدام من هناك وعبر إلى سوق الحدادين، فرآه رجل يقال له الحارث، فقال في نفسه: لا يكون هذا الفارس المتعجّل! الذي مرّ من هنا إلاّ مسلم بن عقيل، وكان الوقت يقارب الفجر، فجاء راكضاً مسرعاً إلى قصر الإمارة وقال لنعمان الحاجب: رأيت مسلماً وهو يدخل سوق الحدادين ويتّجه نحو باب البصرة، فركب نعمان في خمسين فارساً وتبعوه.

فلمّا سمع مسلم وقع حوافر الخيل عرف أنّهم في طلبه، فنزل عن ظهر جواده وضربه، فانطلق الجواد مسرعاً، ودخل مسلم في شارع آخر، فاتبع الفرسان الجواد حتّى لحقوه في محلّة الحلاجين، فوجدوه دون فارس، فأخذوه ورجعوا به إلى ابن زياد، فأخبروه بالخبر.

فأمر ابن زياد أن يشدّدوا الحراسة، ويأخذوا الطرقات، وينصبوا الكمائن

ويشدّدوا على المخارج والمداخل، وأمر مناديه فنادى في الكوفة: من دلنا على مسلم أو جاءنا به فله من مال الدنيا ما يغنيه، ويكون من أهل الزلفى والقربى عند الأمير.

فطمع بذلك المتهافتين على الذهب والفضّة، وخرجوا في طلب مسلم لا يفترون ليلاً ونهاراً.

أمّا مسلم، فبعد أن أفلت من نعمان الحاجب ومن معه من الفرسان، جعل يطوف في الأزقة لا يدري إلى أين يذهب، وقد أثّر فيه الجوع والعطش، حتّى وجد نفسه في زقاق مسدود، فجعل يذهب يميناً وشمالاً، وهو في حيرة من أمره! إذ رأى مسجداً خراباً، فدخله وجلس في زاوية منه حتّى غربت الشمس، وهبط الظلام فلفع الكون بالسواد، فخرج من المسجد، وجعل يمرّ من زقاق إلى زقاق حتّى عبر على دور بني جبلة، وهم جماعة من كندة، فالتفت

فرأى بنياناً منيفاً عالياً، فجلس في فنائه يستريح ساعة، وكانت الدار لامرأة يقال لها «طوعة»[١] ....

❊❊❊

كذا هي القصّة بتفاصيل فريدة رواها سبهر عن ابن الأعثم، غير أنّ الطبعات المتوفّرة لفتوح ابن الأعثم لا تفيد أيّ إشارة إلى هذا الخبر بحيث يحتمل المراجع أنّ حذفاً ما وقع في النسخ المطبوعة، وهو حسب المطبوع يروي الخبر مسترسلاً متواصلاً ضمن مجريات الأحداث التي يرويها كما نقلناها عنه في ثنايا البحث، ولسان الملك سبهر نفسه يذكر كتاب ابن أعثم ضمن الكتب التي راجعها فلم يجد القصّة فيها، فيقول: «نظرت وبحثت وأنا أسطّر هذه

---

١. ناسخ التواريخ / حياة الإمام الحسين عليه السلام ترجمة السيّد علي أشرف: ١ / ٢٨٤.

الصفحات في كتاب بحار الأنوار... وكتاب أعثم الكوفي... وفي مئات الكتب والمجلّدات العربية والفارسية التي ألّفها العلماء العظام في مقتل الحسين عليه السلام، ولم أجد في أيّ واحدة منها قصّة تدخّل محمد بن كثير في نصرة مسلم بن عقيل بهذا التفصيل الذي يأتي.

ثم يستدرك ويقول: «ولمّا كان ابن أعثم الكوفي من علماء أهل السنّة والجماعة، وله إحاطة ودراية في جمع السير، وهو يروي في الغالب عن ابن إسحاق وابن هشام، رأيت من المؤسف أن لا آخذ ما كتبه بنظر الاعتبار..».

ومن يعرف منهج لسان الملك سبهر في الكتابة تكاد المسألة تكون واضحة عنده، فإنّي قد ترجمت له ـ بحمد الله ـ كتاب حياة الإمام الحسن عليه السلام وكتاب حياة الإمام الحسين عليه السلام من الناسخ وهو أربعة أجزاء في مجلّدين، وتعقّبت منهجه وطريقة نقله من

المصادر حيث يعتمد مصدراً معيّناً فينقل عنه، ولكنّه ينسب ما ينقله عنه للمصدر الأصلي الذي ينقل عنه الكتاب المعتمد لديه.. فهو ينقل من البحار وينسب ما ينقله لمصدر البحار مباشرة دون الإشارة إلى البحار اعتماداً منه على العلّامة المجلسي وثقة به.. فتجد مصادره متنوّعة إذ يروي عن الأمالي والخصال وشرح نهج البلاغة وهكذا، وهو في الحقيقة لم يراجع سوى البحار وينقل ما فيه فقط..

ورعاكان هذا هو السبب في نسبة ما يرويه في هذه القصّة إلى ابن أعثم، حيث أنّه راجع «روضة الشهداء»[1] للواعظ حسين الكاشفي (ت ٩١٠) المتفرّد بنقلها بحذافيرها، وهو يرويها مرسلة دون الإرجاع إلى مصدر أو إسناد، ويروي قبلها

---

١. روضة الشهداء للكاشفي ترجمة السيّد محمد شعاع فاخر: ٤٤٢.

خبراً عن ابن الأعثم ثم يقول: «قال الراوي» ويأخذ بسرد هذه القصّة. فظنّ لسان الملك سيهر أنّ هذه القصّة وقول هذا الراوي استمرار لما رواه الكاشفي عن ابن الأعثم فنسبه إليه...

ويبدو أنّ ما في القصّة يغني عن نقدها، وقد ترى في ما مرّ من البحث من المناقشات ما يجري هنا أيضاً.

ونحن إنّما نقلناها هنا لنكون قد استوعبنا كلّ المشاهد التي ظفرنا بها خلال تتبّعنا لمعركة القصر، فربما رسمت صورة للقارئ يمكنه أن يستفيد منها.

نهاية الحصار[1]

كيف كان! فقد انتهى الحصار ليلاً، وتفرّق الجمع وولّى الدبر، وانحسر المدّ بعد حين ولم يدم طويلاً، إذ جرى كلّ ما جرى من تحشيد وتفريق في ساعات معدودة لا تزيد عن يوم أو بعض يوم.

ويبدو لنا من خلال التأمّل في النصوص التاريخية أنّ القتال الدائر في المسجد الأعظم أو في أطرافه إنما كان قتالاً يستهدف شخص المولى مسلم بن عقيل عليه السلام بالقتل أو الأسر.

---

١. لا نقصد بالحصار محاصرة القصر للحرب وإنّما نقصد تجمع الناس في رحبة المسجد والقصر.

وبهذا يمكن الجمع بين المصادر التي نصّت على وقوع القتال «المحدود»، والمصادر التي نصّت على تفرّق الجمع دون أيّ قتال يذكر، والله العالم.

وهنا سنترك الجموع ونتابع ـ في الرسالة القادمة إن شاء الله تعالى ـ من لا تساوي كلّ تلك الجموع شسع نعله، تعني المولى الغريب سفير الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام.

ولكن نشير هنا إلى موقف ابن زياد في المعركة...

موقف ابن زياد اثناء الحصار

إنّنا نعرف ابن زياد ـ كما عرّفه التاريخ ورسمه لنا ـ فهو جبان متناهٍ في الجبن.

قال عنه الحسن البصري:

وكان عبيد الله جباناً[1]..

وهذا لا يمنع أن يكون سفيهاً بطاشاً لا يتورّع عن دم، فهو جبان في حال ضعفه، وجبان إذا انفرد، لكنّه كان شرساً متوحّشاً سفّاكاً للدماء إذا تمكّن وأمن.

قال فيه الحسن البصري: أمّره معاوية غلاماً سفيهاً، سفك الدماء سفكاً

---

١ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٥٤٥.

شديداً[١]..

وسنراه بعد قليل يمتنع عن الخروج إلى المسجد، ويأمر بإنزال المشاعل لاستكشاف ما تحت الظلال!! هذا والحرس يحيطون به من كلّ مكان...

ويمكن أن نستعرض موقف ابن زياد وطريقة تعامله مع التجمّع أو الحصار أو المعركة، وذلك في عدّة مشاهد:

---

١ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي: ٣ / ٥٤٥.

المشهد الأوّل:

موقفه قبل الحصار

كان ابن زياد قد تسلّق الأعواد في المسجد الأعظم محفوفاً بأفراده عن اليمين وعن الشمال يحملون الأعمدّة والسيوف المسلّلة، وكان يزبد ويرعد، إذ جاءت النظارة فحذّرته من قدوم الأسد الطالبي، فتزلّقت أقدامه عن الأعواد، وأسرع يسابق قدميه إلى جحره في قصر الخبال وأغلق الأبواب!

فرّ بمجرد أن أخبره النظارة أنّ ابن عقيل قد أقبل، ولم يسعه جبنه أن يتحقّق الخبر.

قال ابن أعثم في الفتوح:

وخرج عبيد الله بن زياد من القصر حتّى دخل المسجد الأعظم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم التفت فرأى أصحابه عن يمين المنبر وعن شماله وفي أيديهم الأعمدّة والسيوف المسلّلة، فقال: أمّا بعد يا أهل الكوفة...

قال: فما أتمّ عبيد الله بن زياد الخطبة حتّى سمع الصيحة، فقال: ما هذا؟

فقيل له: أيّها الأمير! الحذر! الحذر! هذا مسلم بن عقيل قد أقبل!...

قال: فنزل عبيد الله بن زياد عن المنبر مسرعاً، وبادر فدخل القصر، وأغلق الأبواب[١]..

وروى الطبري في التاريخ وأبو الفرج في المقاتل[٢]:

عن أبي مخنف، قال: حدّثني الحجاج بن علي الهمداني قال:

لمّا ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه، خشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أناس من أشراف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال...

فذهب لينزل، فما نزل حتّى دخلت النظارة

---

١. الفتوح لابن أعثم: ٥ / ٤٩.

٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٥٠، مقاتل الطالبيين: ١٠٣.

المسجد من قبل التمارين يشتدّون، ويقولون: قد جاء ابن عقيل، قد جاء ابن عقيل، فدخل عبيد الله القصر مسرعاً وأغلق بابه.

❊❊❊

المفروض أنّ الدعي المدعو بالأمير! كان يخطب في الناس، يهدّدهم ويتوعّدهم محاطاً بالحرس والسيوف تلمع عن يمينه وشماله، وقد دخل الكوفة ليلقي القبض على البطل الهاشمي فيقتله أو ينفيه، فما باله انسلخ من تلك الأعواد بسرعة ودخل القصر وأغلق عليه بابه؟!!

وما باله أدبر وولى فاراً خائفاً وجلاً مذعوراً إذ أقبل إليه المولى؟! وهو يطلبه ومأمور بالقبض عليه؟!

وإنّه فرّ لخبر إقبال الليث العقيلي، فماذا كان يصنع لو واجهه، ولو كان مسلم عليه السلام قد وصل بالفعل إلى المسجد؟!

المشهد الثاني:
موقفه أثناء الحصار

دخل القصر وترك الناس الذين كان يخطب فيهم ويتوعّدهم وراءه! واختلط هنا الناس اختلاطاً حسب مجريات الأحداث، إذ كان أتباع ابن الأمة الفاجرة يستمعون إليه، فدخل عليهم المولى مسلم بن عقيل عليه السلام

دخل القصر وكان غاية همّه وهمّته أن يستمسك بالقصر، وأجبر بعض الناس على البقاء معه استيحاشاً، وكلّما أصرّوا عليه وقالوا له: إنّ الذين معه كثير، فليخرج بهم رفض وأبى، وخاف من الخروج.

والحال أنّ فارس الكوفة وبطلها انطلق إلى الميدان بنفسه يواجه جموع العساكر رغم خذلان الناصر وفرار الحاضر.

روى الشيخ المفيد في الإرشاد وغيره قال:

وجعل محمد بن الأشعث وكثير بن شهاب والقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي يردّون الناس عن اللحوق بمسلم، ويخوّفونهم السلطان، حتّى اجتمع إليهم عدد كثير من قومهم وغيرهم، فصاروا إلى ابن زياد من قبل دار الرومیین ودخل القوم معهم.

فقال له كثير بن شهاب: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله؟!!

وعقد لشبث بن ربعي لواء فأخرجه...

المشهد الثالث:

بعد انتهاء الحصار مباشرة

سمعنا قبل قليل كيف يشجّعه أصحابه ليخرجوه من جحره، فيقولون له: «معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم» فيأبى الجبان دون أيّ خجل!

فهو يخاف من الخروج بالرغم من وجود الشرطة والحرس وكثير من وجوه أهل الكوفة وقادة العسكر وأفرادهم معه، وأبى أن يخرج إلّا أن يستكشف المسجد، وتدلّى شعل النيران خوفاً من الكمين.

روى الدينوري في الأخبار الطوال قال:

ثم إنّ ابن زياد لمّا فقد الأصوات ظنّ أنّ القوم دخلوا المسجد، فقال: انظروا، هل ترون في المسجد أحداً؟ وكان المسجد مع القصر.

فنظروا فلم يروا أحداً، وجعلوا يشعلون أطناب القصب، ثم يقذفون بها في رحبة المسجد ليضيء لهم، فتبيّنوا، فلم يروا أحداً...

فخرج فيمن كان معه، وجلس في المسجد[١]...

وروى الطبري والشيخ المفيد وغيرهما، واللفظ للأوّل:

ولمّا طال على ابن زياد، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا هل ترون منهم أحداً!

فأشرفوا فلم يروا أحداً، قال: فانظروا لعلّهم تحت الظلال قد كمنوا لكم!

ففرعوا بحابح المسجد[٢]، وجعلوا

---

١. الأخبار الطوال: ٢٣٨.

٢. في الإرشاد: «فنزعوا تخاتج المسجد».

يخفضون شعل النار في أيديهم، ثم ينظرون: هل في الظلال أحد؟ وكانت أحياناً تضيء لهم، وأحياناً لا تضيء لهم كما يريدون، فدلّوا القناديل وأنصاف الطنان[١] تشدّ بالحبال، ثم تجعل فيها النيران، ثم تدلّى، حتّى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتّى فعلوا ذلك بالظلّة التي فيها المنبر.

فلمّا لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدّة التي في المسجد، ثم خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه معه[٢]..

---

١. في الإرشاد: «وأطناب القصب».

٢. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧٦، الإرشاد للمفيد: ٢ / ٥٦.

المشهد الرابع:

بعد أن اجتمع الناس عنده

بعد أن خرج إلى المسجد وأمر المنادي أن ينادي في الكوفة أن برئت الذمّة من العرفاء والشرطة والناس أجمعين!! إن لم يحضروا العتمة في المسجد.

فحضروا واجتمع إليه شياطينه من كلّ مكان، وهو مع ذلك يخاف من ظلّه، ويأبى أن يصلّي بالناس إلّا أن يوقف الحرس وراءه..

قال الطبري:... فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة...

ثم أمر مناديه فأقام الصلاة، فقال الحصين بن تميم: إن شئت صلّيت بالناس، أو يصلّي بهم غيرك، ودخلت أنت فصلّيت في القصر، فإني لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك!

فقال: مر حرسي فليقوموا ورائي كما كانوا

يقفون، ودر فيهم...[١]

والحال أنّ فارس آل عقيل صلّى وحده واثقاً مطمئناً والأعداء يحيطونه من كلّ مكان، كما تذكر الرواية.

---

١. تاريخ الطبري: ٥ / ٣٧١.

عوامل الخذلان

ظاهرة انهيار المجتمع الكوفي وخذلان المولى مسلم بن عقيل عليه السلام، ثم تخاذلهم عن نصرة ريحانة النبي صلى الله عليه وآله تركت فجوة كبيرة صعب على الكتاب والمحلّلون ردمها واكتشاف أسبابها، لأنها تبدو للوهلة الأولى مفاجأة غير متوقّعة، وانقلاب سبق التصوّرات، وقفز على الزمن، واختزل الموقف.

وغالب ما نقرأ في تحليله التأكيد على ازدواجية الشخصية والشلل النفسي وحالات النفاق التي امتاز بها المجتمع الكوفي يومذاك، ولا ريب أنّ لهذه العوامل دور

فاعل ومؤثر جداً في رسم المشهد.

وربما جرّ الكلام للتأكيد على أنّ المولى مسلم بن عقيل عليه السلام قد استعجل القيام تحت قهر الضرورة أو خرج بالقوم قبل أن يستكمل تربيتهم وتأديبهم وتعميق إيمانهم، وتصفية قلوبهم، وما شاكل من التحليلات التي تؤدّي بالمآل إلى التجاسر على قدس المولى وتترك خدوشاً في ساحته المطهّرة.

ويمكن أن نقرأ الموقف قراءة جديدة نحاول من خلالها بيان أن ما جرى لم يكن مفاجأة، وإنما كان نتيجة واضحة ومعروفة، وأمراً لا يعد حادثاً خلقته ظروف القهر والاستبداد والخوف والرهبة وتقلّبات الأحداث وحدها فقط.

والفرق بين أن يكون الإنسان عازماً على الحقّ ومنقلباً عليه شاسع لا تسعه تلك الفترة الزمنية الوجيزة التي ربما حصرت بالساعات.

وفرق أيضاً بين أن يكون الإنسان قاصداً للحقّ ثم ينحرف عنه، وبين أن يكون منحرفاً لا يقصد الحقّ بتاتاً، وإنما يدخل دائرته لتحقيق باطله والوصول إلى مآربه.

ولعلّنا سوف نرى من خلال البحث أنّ بعض الشرائح لم تكن تعاني من الشلل النفسي، ولا من ضعف الإرادة، بل هي مصرّة ثابتة على الباطل، وقاصدة عامدّة قد بيّتت عزمها على سلوك طريق الحقّ لتصل إلى باطلها.

فلا مفاجأة في انتقالها من اليمين إلى الشمال إذا عرفنا أنها كانت منذ البداية من تلك الزمرة.

وربما كانت بعض الشرائح قد تأثّرت بالظروف ومجريات الأحداث.

ولكنّنا سنرى أنّ هذه الظروف التي يسمّونها «الظروف المؤثرة» لم تك وليدة الساعة ـ أي ساعة التخاذل ـ بل كانت لها

خلفيات وسوابق وامتدادات[١].

وربما كانت بعض الظروف قسرية لم يعبأ بها البعض واضطر للاستسلام لها «من قبيل هبوط الظلام»، لعدم وجود مندوحة أخرى، بيد أنّه أصيب فيما بعد بالأمراض التي ابتلي بها المجتمع، كما ذكرها المحلّلون من قبيل الشلل النفسي وضعف الإرادة وغيرها...

أو أنّه رجّح أن ينحاز إلى جبهة الحقّ في ركب الفتح الحسيني.

ولكي نتعرّف إلى تفاصيل الحدث ينبغي أن نعرف أوّلاً حقيقة البيعة التي بايعوا بها، إذ يتبيّن أنّ المشكلة كانت كامنة فيهم منذ اللحظة الأولى، ثم دوافع البيعة، والمثبطات.

---

١ ـ انظر: ما سبق بيانه «متى بدأ التخذيل؟».

أوّلاً:
حقيقة البيعة

لا نريد هنا الدخول في التفاصيل وذكر الشواهد والأدلة والأقاويل، وإنما نكتفي بالإشارة السريعة، وربما تجد في فقرات دوافع البيعة بعض ما يشرح ما نقصده بهذا العنوان.

وخلاصة القول في حقيقة بيعة الذين غدروا المولى مسلم بن عقيل عليه السلام وتركوه وانصرفوا إلى جهنم وبئس المصير:

أنّهم لم يبايعوا بيعة عقائدية للإمام المعصوم عليه السلام اعتقاداً منهم بإمامته، وأنّه إمام مفترض الطاعة صدّيق، أمره أمر الله، ونهيه نهي الله، وأنّه منصوب من قبل الله منصوص على إمامته.

فإنّ أكثر من بايعوا ـ كما مرّ معنا في البحث سابقاً ـ كانوا من أتباع العجل والسامري

وغيرهم من الرعاع.

وهؤلاء لم يعرفوا الإمامة، ولا الإمام، ولذا بيّن لهم سيّد الشهداء عليه السلام باقتضاب فصيح من هو الإمام كما سنسمع بعد قليل.

فهم يبايعون البيعة التي يعرفونها هم باعتبارهم عسكر وجنود يعيشون في ثكنة تلزمهم بإظهار الطاعة لمن يؤمّر عليهم، كأيّ عسكري يعيش حالة الطاعة المطلقة للآمر، وبالخصوص إذا كان يوفّر لهم الغزو والغنائم التي اعتادوا عليها في حياة البداوة من قبل.

وهم قد بايعوا في فترات متقاربة سليل الأنبياء الإمام الحسين عليه السلام، ثم بايعوا ابن الأمة الفاجرة، ثم بايعوا المختار، ثم بايعوا مصعب بن الزبير، وهكذا دواليك...

وقد وصفهم الأحنف بن قيس بالموسة تريد كلّ يوم بعلاً[1].

---

١. مقتل الحسين عليه السلام للسيد المقرّم: ١٧٩.

ثانياً:
دوافع البيعة

لا يشكّ من يطالع التاريخ أنّ المجتمع الكوفي كان مزيجاً غير متجانس، وخليطاً عجيباً ينطوي على شرائح وطبقات وطوائف وجماعات اجتماعية تنتشر من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار في الديانات والمذاهب والطوائف والانفلات والاعتدال والتطرّف... وتتشكّل الأكثرية الغالبة فيه من غير الموالين لأهل البيت عليهم السلام من قبيل الخوارج وأتباع العجل والسامري والجمل وصاحبته.

وقد أشبع الكتّاب والمحقّقون والمحلّلون هذه النقطة بحثاً وتنقيباً ولفّاً ونشراً...

بيد أنّنا نريد أن نوظّف هذه الظاهرة لاكتشاف الدوافع التي حركّت هذه المجموعة بكلّ أطيافها ومكوناتها وتشعباتها

وتشابكاتها وتقاطعاتها باتجاه سفينة النجاة ورحمة الله الواسعة ﷻ، وجعلتهم يطوفون بشكل يثير الاستغراب والتعجّب حول ثقة الحسين مسلم بن عقيل عليه السلام.

والمفروض أن يكون هذا الانسجام الظاهري المزيّف خارجاً عن المألوف، وهذا الالتفاف حول سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام من قبل سكان طبقات جهنم والنيران غريباً يثير العجب والاستغراب.

قال الإمام الحسن عليه السلام مجيباً سفيان بن أبي ليلى الخارجي حينما دخل عليه وتكلّم بمحضر الإمام عليه السلام بكلمات تنمّ عن كفره ونفاقه والعفن الذي طفح من قلبه، وأبدى جفاءه وجهله وعناده ونصبه بحجّة التحريض على قتال معاوية ورفض الصلح، فأجابه الإمام عليه السلام قائلاً:

ويحك أيّها الخارجي، لا تعنّفني فإنّ الذي أحوجني إلى ما فعلت قتلكم أبي وطعنكم

إيّاي وانتهابكم متاعي...

ويحكم أيّها الخارجي! إني رأيت أهل الكوفة قوماً لا يوثق بهم، وما اغترّ بهم إلّا من ذلّ ليس أحد منهم يوافق رأي الآخر، ولقد لقي أبي منهم أموراً صعبة وشدائد مرّة، وهي أسرع البلاد خراباً وأهلها هم الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً[١]...

فهم قوم لا يوثق بهم، ولا يعتمد عليهم، وليس لهم موقف يحسب عليه، وقد فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً.

***

ولابد أن يكون لكلّ فرد أو جماعة دوافع تحركه نحو الإقدام على عمل ما، واتخاذ موقف مهما كان بسيطاً، فكيف بموقف له علاقة مباشرة بالدنيا والآخرة.

والبيعة ـ بأيّ معنى كانت ـ أمر غير

---

١. تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٨١.

عادي ولا بسيط، والناس أفراد وجماعات يتعاملون معها قديماً وحديثاً كعقد مقدّس وموقف له تبعاته وآثاره وامتداداته.

فإذا نظرنا في دوافع البيعة التي أعلنها الكوفيون لسيّد الشهداء الحسين عليه السلام مباشرة أو على يدي سفيره الشهيد مسلم بن قيل رضي الله عنه، نجد أنها تختلف من فرد إلى فرد، ومن جماعة إلى جماعة..

وعلى أساس هذه الدوافع سوف ندرس المواقف، لنرى أنّ بعض المبايعين نكثوا البيعة على علم وسبق إصرار، أو أنهم نكثوها وفق المنهج المقرّر عندهم، أي أنهم انطلقوا إلى البيعة بتأثير دافع أو دوافع معينة تحقّقت لهم عند أعداء الحسين عليه السلام فانحرفوا لها ومالوا معها...

وسوف نذكر الدوافع ونرتّبها تحت أرقام لا نقصد بذلك الترتيب حسب الأهمية، ولا نريد أن نستقصي، ولا أن نطيل في ذكر

الأدلة والشواهد. وإنما نجمل إجمالاً، ونقدّم نموذجاً يكفي لبيان المقصود:

الدافع الأوّل: الانتهازيون وطلّاب العيش الرغيد

وهم أكثرية بين الرؤوس وكبار الشخصيات وغيرهم من الديدان التي كانت تنتشر في المجتمع الكوفي يومئذٍ. وهم إنّما كاتبوا الحسين عليه السلام طمعاً في الدنيا وحبّاً للدعة، وانتهازاً للفرص، وركوباً للموجة التي كانوا يستشرفون منها جني قطاف العيش الرغيد الذي استروحوه يوم ماجت الكوفة بذكر الحسين عليه السلام، واللجوء إليه فراراً من الحكم الأموي الذي اهتزّت أركانه بهلاك معاوية.

ويمكن استكشاف ذلك من نصّ الكتاب الذي أمضاه جماعة الانتهازيين من أمثال شبث بن ربعي وحجار بن أبجر وعزرة بن

قيس وأمثالهم.

روي أنّه كتب شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعزرة ابن قيس، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، ومحمد بن عمير التميمي:

أمّا بعد، فقد اخضرّ الجناب، وأينعت الثمار، وطمّت الجمام، فإذا شئت فاقدم على جند لك مجند، والسلام عليك.

فكلام هؤلاء الأوغاد يتركّز على جنّات خضراء، وثمار يانعة، وآبار طامية، وزروع باسقة، تنتظر القطاف، وجني الثمار، وهم في رفاهية من العيش ودعة من الحياة، فإن شاء الحسين عليه السلام فليقدم لأنّ الناس ينتظرونه.. الناس ينتظرونه، أمّا هم أنفسهم فإنّهم ينتظرون القطاف، فإذا جاء كانوا هم معه، وقد قدّموا لذلك مع من قدّم، وسجّلوا موقفاً مع من سجّل، وإن لم يأتي الحسين عليه السلام فليأتي غيره، ولا خطر عليهم في ظلّ الغير

لأنّهم منه.

ثم إنّهم قالوا: إذا شئت أقدم على جند لك مجندة، فكأنّهم يريدون إخباره عليه السلام بما يجري من بيعة الناس له، ولا يريدون أن يعلنوا له عن استعداد البتة، فلا يريدونه أن يقدم عليهم إماماً وأميراً يحاربون تحت لوائه، فهم يقولون: أقدم على جند لك، ولا يقولون: أقدم علينا فإنّنا جند لك!

وهكذا هم أصحاب هذا الفريق.. متقلّبون، متزلّفون، انتهازيون، يميلون مع كلّ ريح ترحل بهم الى مآربهم وأطماعهم، فإذا كانت الدنيا مع الأدعياء ركعوا لهم، وتزلّفوا إليهم، وتخندقوا في خنادقهم.

الدافع الثاني: طلاب الحقّ

ثمة فريق آخر ـ وهم الأقلّية القليلة ـ كتب يخاطب الإمام الحسين عليه السلام معتقداً بإمامته وقيادته، ومتذمّراً من الحكم

الأموي المنحرف، وهارباً من ظلم المتمرّدين على الله وعلى رسوله ﷺ، وملتجأ إلى العدل المطلق، ومعلناً عن استعداده للموت بين يدي الحقّ، ونلحظ ذلك في نموذج آخر من الكتب التي وصلت الى الحسين عليه السلام من شيعته:

روى الطبري وغيره عن محمد بن بشر الهمداني قال:

اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد، فذكرنا هلاك معاوية، فحمدنا الله عليه، فقال لنا سليمان بن صرد:

إنّ معاوية قد هلك، وإنّ حسيناً قد تقبّض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل، فلا تغرّوا الرجل من نفسه.

قالوا: لا، بل نقاتل عدوّه، ونقتل أنفسنا

دونه.

قال: فاكتبوا إليه. فكتبوا إليه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم. لحسين بن علي من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة ابن شداد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة:

سلام عليك، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، أمّا بعد:

فالحمد لله الذي قصم عدوّك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمّة، فابتزّها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، واستبق شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود.

إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا

نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك.

مقارنة بين الفريقين

قارن بين الكتابين تعرف الفريقين:

فريق يمدّ عينيه الى زهرة الحياة الدنيا، والجنان المخضرّة، والثمار اليانعة، والمياه الجارية.

وفريق يتضوّر من الكفر والظلم والجور، ويتوق إلى الإيمان والعدل والشهادة والحور...

الفريق الأوّل لا يعاني من مضايقات، ولا مطاردات في ظلّ الحكم القائم، ويرى ازدهار مسيرة العمران الدنيوي، وكلّ ما يراه هو نعيم وحدائق ذات بهجة، ونخيل باسقات حان اقتطافها، وأكل دائم يخشون انقطاعه.

والفريق الآخر يشكو العدوّ الجبار العنيد الذي تسلّط على الأمّة فابتزها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها، واستبق شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها...

فريق لا يذكر السلطان الحاكم بسوء. وفريق يذكره بمساوي، أفعاله وتجبّره وطغيانه، ويدعو عليه بالانتقام واللعنة فيقول: فبعداً له كما بعدت ثمود.

فريق لا يشعر بفراغ الإمامة لأنّه لا يميّز بين إمامة سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، وملك أولاد البغايا والأدعياء والطلقاء.

وفريق لا يقرّ للأوغاد بالطاعة، ويستغيث ويتوسّل بالمعصوم قائلاً: إنّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحقّ.

فريق يتكلّم بضمير الغائب، وفريق ينطق

بضمير المتكلّم..

فريق يتحدّث عن استعداد الغير، وفريق يعد النصرة بالنفس..

فريق يعد عن جند لا يعدّ نفسه منهم، وفريق يعد المبادرة..

فريق يكتب بالكناية والتلويح، ويستعمل العبارات التي لا تدخل السرور على قلب الحسين عليه السلام ولا تحزن أعداءه، تماماً كما يعبّر القرآن الكريم: ﴿لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾.

ولو وقع الكتاب بيد أعداء الحسين عليه السلام فإنّ فيه متّسعاً، ومجال اعتذار، ومدحاً مبطناً يكشف بعد شرح ما بين السطور من كلماتهم، وهم لا يذكرون هلاك الطاغية، ولم يبدوا فرحاً بضعف الدولة الحاكمة في الشام، ولم يتعرّضوا للوالي الممثّل له في الكوفة.

وفريق يصرّح بالبراءة من أعداء الله وأعداء الحسين عليه السلام ويحمد الله على هلاك

الطاغية، ويعلن استعداده لمواجهة الوالي الممثّل له في الكوفة.

«والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنّك قد أقبلت إلينا أخرجناه حتّى نلحقه بالشام إن شاء الله».

ولا يخاف هؤلاء في الله لومة لائم، ويعرضوا الدنيا خراباً تنتظر يد الرأفة الحسينية لتمسح عليها، وتنفخ فيها روح الحياة والعمران.

الدافع الثالث: الأكثرية التائهة

هذا الفريق كان يمثل الشريحة الأكبر في المجتمع الكوفي يومذاك، لأنّ الشيعة كانت أقلّية، وغالبية المجتمع الذين شكّلوا سواد الجيش الأموي الذي حارب سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام، كانوا ممّن تربى على موائد السلطان، وحلت دنياهم الهزيلة في أعينهم،

واتبعوا العجل والسامري، واشربوا حبّهم في قلوبهم، وذاقوا وبال ما قدّمته أيديهم، فهم في زيغهم وضلالهم يتردّدون، وقد أحسّوا بضعف أركان مساكن الظالمين التي سكنوها، وشعروا بفراغ القائد والإمام، وماجت الكوفة يومها بأهلها، وارتفعت الصرخات، وعلا الضجيج، وشقّ أجواء المدينة التائهة الحائرة يهتف بالإمام، فهتفوا مع من هتف، وهم لا يفرّقون بين أن يكون إمامهم الحسين عليه السلام سليل الإنبياء وسيّد شباب أهل الجنّة، أو يزيد بن معاوية البغي ابن البغي، ولكنّهم يطلبون الإمام ويريدون الراية التي تجمعهم وتوحّد كلمتهم، على هدى الله ضمن المقاسات المرسومة في قلوبهم.

فهم يريدون الإمام ويهتفون بذلك لا إعتقاداً بإمامة سيّد الشهداء عليه السلام المنصوصة من قبل الله التي نزل بها الروح الأمين من

عند ربّ العالمين على لسان سيّد الأنبياء والمرسلين ﷺ.

وهذا شرح لهم ريحانة النبي ﷺ معنى الإمام باختصار في جواب رسائلهم، ليكونوا على علم من دعوتهم له. فالإمام كما يرسمه الحسين عليه السلام:

فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذات الله[1].

فهؤلاء كما يتّضح من دينهم وعقيدتهم وتربيتهم ومواقفهم ليسوا مع الإمام الحسين عليه السلام. ولكنّهم اضطرّوا له بانتظار الإمام الذي يعتقدون به، ويرضونه!

---

١. انظر للمزيد: كتاب «مسلم بن عوسجة أوّل شهداء الله في معسكر الحسين عليه السلام» للمؤلّف.

الدافع الرابع: طلّاب العافية والدعة

وهم الذين كانت قلوبهم معه وسيوفهم عليه، حسب تقييم بعض الشخصيات من قبيل الفرزدق وغيره، فهم يريدون أن يخادعوا الله وهو خادعهم، وهم يخدعون أنفسهم وهم يشعرون، ورضوا بأن يكونوا مع الخوالف، فيقنعوا أنفسهم أنهم قاموا بواجبهم مع ريحانة النبي ﷺ فبايعوه، ووعدوه النصر، ما دام في قدومه عليهم ظفر وعافية، أمّا إذا لزم من قدومه التعرّض للخطر، فهو خروج عن بغيتهم ومخالفة لسنّتهم، فترى الدين لعق ـ لغو ـ على ألسنتهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديانون...

وهؤلاء لا يعدّون في الشيعة، والشيعة والتشيّع منهم براء، ولم نسمع في التاريخ ولا في حديث أهل البيت عليهم السلام ـ حسب فحصنا وعلمنا ـ عذراً لهؤلاء ولا تصويباً لفعلهم، ولا حشراً لهم في شيعتهم.

وهؤلاء بايعوا طلباً للراحة والدعة، فلمّا لم يجدوها بالمعنى الذي تهواه نفوسهم في صفّ الأنبياء والأوصياء وحامل رايتهم سيّد الشهداء عليه السلام انحازوا إلى حيث بغيتهم كما يزعمون!

الدافع الخامس: البعد القبلي

كانت القبيلة والعشيرة والعلاقات النسبية وامتداد الدم من المؤثرات، بل من الأسباب القويّة جدّاً في البناء العقلي والاجتماعي والتخندق والتموضع يومذاك.

وربما كانت القبيلة تفعل فعلها في تحديد مواقف الأفراد، وتزجّهم في الحروب، أو معاهدات الصلح، وتجعلهم في صفوف من المولاة والبراءة للأفراد والجماعات والقبائل، فيرضخون لكبرائهم تعصّباً جاهلياً ممقوتاً لا يحكمه دين ولا يهذبه خلق.

وكم رأينا وسمعنا في التاريخ جماعات تسارع إلى الجحيم انجراراً وراء رأس ممسوخ من رؤوس القبيلة. وربما كان أقرب مثال يشهد لنا ما مرّ معنا من موقف مذحج حينما رضخت ذليلة خاسئة لعمرو بن الحجاج الزبيدي، وانصرفت بكلمة واحدة قالها الخائن:

قال لهم سيدهم عمرو بن الحجاج: أما إذ كان صاحبكم حيّاً فما يعجلكم الفتنة؟ انصرفوا. فانصرفوا[١].

الدافع السادس: العداوة مع الأمويين

عموماً ويزيد خصوصاً وبغض أهل البيت عليهم السلام مثل الخوارج، فإنهم يعادون الأمويين ويبغضون أهل البيت عليهم السلام وينصبون لهم العداء، وليس لهم رأس ولا مدد ينهض بهم في ميادين الحرب والقتال،

---

١. الأخبار الطوال: ٢٣٨.

ولكنّهم همج عتاة، وفتّاكين طغاة، أسفك الناس دماءاً، وأجرأهم على الموت في الباطل.

يبحثون عن أيّ راية ينضوون تحتها لقتال العلويين أو الأمويين، فإذا قامت راية للعلويين لقتال الأمويين قاموا معها، وإذا نعق ناعق الأمويين لحرب العلويين تبعوا الناعق، حالهم حال مروان في حرب الجمل إذ كان يرمي سهامه إلى جهة العسكرين معاً ويقول إنّه ظفر من أيّ العسكرين قتل..

المهم عندهم أن ينتقموا ممّن يضمرون له العداوة حقّاً كانت أو باطلاً.

فلمّا قام داعي الله يدعوهم لقتال أعداء الله اغتنموها فرصة، فأعلنوا البيعة لعلّهم يبلغون البغية في قتال عدوّهم، ولا يهمّهم أمر الحسين عليه السلام من قريب ولا من بعيد.

حتّى إذا دارت الأيام ورأوا الأحداث العسكرية والسياسية الظاهرية تسري

لصالح الأمويين، وقد لاحت بوادر ذلك منذ دخول الدعي ابن الدعي ابن الأمّة الفاجرة إلى الكوفة، فاغتنموها فرصة لا بديل لها، بل لا يحلمون بها أبداً أن تعينهم الظروف على أبناء واترهم ومبيدهم وباتر رؤوس كبراتهم العفنة قاتل المارقين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فقتال الأمويين ممكن وظلمهم كافٍ لرفع الرايات ضدّهم في كلّ حين، أمّا آل الله وأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فليس كذلك.

وهذا النمط من الجرذان الوحشية يمكنها أن تنتقل من معسكر إلى معسكر بلحظات، بل إنها لا ترتاح ولا تستطيع أن تعيش في الجنان وتراها تسرع كلحظ البصر إلى المستنقعات والقذر...

قال الإمام الحسن عليه السلام مجيباً عبد الله بن الزبير يوم اعترض على صلح الإمام عليه السلام مع معاوية في كلام طويل:

... نحن أكرم أهل الأرض زنداً، لنا المشرق الثاقب والكرم الغالب، ثم تزعم إني سلّمت الأمر لمعاوية فكيف يكون؟ ويحك كذلك! وأنا ابن أشجع العرب ولدتني فاطمة سيّدة النساء وخيرة الأمهات لم أفعل ويحك ذلك جبناً ولا فرقاً، ولكنّه بايعني مثلك وهو يطلب بترة ويداجيني المودّة، فلم أثق بنصرته، لأنّكم بيت غدر وأهل إحن ووتر[1] ...

الدافع السابع: حبّ الدنيا

قال الإمام سيّد الشهداء الحسين عليه السلام: الناس عبيد الدنيا والدين لعق «لغو» على ألسنتهم فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون..

وهؤلاء الناس عبيد الدنيا، والعبد لا حول له ولا طول ولا إرادة مقابل إرادة

---

١. المحاسن والأضداد للجاحظ: ١٣٦، حياة الإمام الحسن عليه السلام: ٢ / ٢٧٧.

سيّده. إمّا الدين فهو عندهم شيء يلعقونه بألسنتهم، يتذوّقونه ما دام فيه طعم ولذة تغيّر ذائقتهم وتغذي شهواتهم، فإذا جدّ الجدّ، وأزفة الآزفة، قلّ الديّانون..

والعبد يتبع مولاه، ويكون حيثما كان، فحسب هؤلاء العبيد ذوي الأثمان الرخيصة والأسعار الزهيدة أنّ سيّدهم ـ الدنيا ـ مع سيّد الشهداء عليه السلام حيث أعلن قيامه، وأنّ رياح التغيير ستقتلع أغصان الشجرة الملعونة في نفس ذلك اليوم، وإن بقيت الجذور، فمالوا مع سيّدهم، فلمّا رأوا الدنيا المنتنة التي يذوبون فيها ويستسيغونها عند ابن الأمة الفاجرة رحلوا إلى حيث أقام سيّدهم.

الحصيلة

تبيّن أنّ جملة الدواعي والدوافع التي بايع بناءاً عليها هؤلاء القوم كانت عائمة تتنقل

حيث يدفعها الموج من جهة إلى جهة، ومن جبهة إلى جبهة.

وأنّهم كانوا ينتمون إلى قاعدة ويطفون على سطح يتحرّكون بتحرّكه، ويتنقلون بتنقل تلك القاعدة. فالانتهازي يطلب العيش الرغيد ولا يبال أين كان ومع من كان.

والأكثرية التائهة قد نبت أصلها في السقيفة، فإذا مالت الريح بعيداً عنها سرعان ما تعود إلى الأصل، وهي تتوب مع الجمع الكبير، وتسير بالعقل الجمعي الحقير، وتنحدر إلى القاع، وهي لا تقرّ لغصن الرسالة وشجرة النبوة ومعدن الطهارة إلّا إذا فقدت من يحميها من أسيادها، فإذا قام ناعقها تبعته تبعية الفرع للأصل.

وطلّاب العافية والدعة، يسافرون حيث تتحقّق بغيتهم، وتتوفّر لهم وسائل الدعة والراحة التي تمكّنهم من الاسترخاء

والتبذّل، ويتقلّبون على وسائد النوم الهانيء، فإذا قامت الحرب كان الوقوف على التلّ أسلم لها، توزّع العواطف وتنثر القلوب من داخل الصدور على هذا الفريق أو ذاك، وليس للحقّ عند هؤلاء القوم منزل ولا مقام ولا قيمة إلّا إذا وفّر لها الدعة والراحة التي جعلوها هدفاً يتوقون إليه، وأمنية يحلمون بها.

أمّا المسيّرون بأمر زعيم القوم ورأس القبيلة، فلا يمكن أن يحزر لهم موقف، ويبنى على اجتماعهم وكلمتهم، تقيمهم كلمة وتقعدهم كلمة، وتدفعهم صرخة وتمنعهم زجرة، وتجدهم يتجمهرون تحت أقدام الزعيم، وقد رأينا الزعيم داخلاً في الفئات الأخرى سوى طلّاب الحقّ، فهو إما انتهازي، أو طالب دعة، أو عبد للدنيا وما تشاكل، فلمّا وجد ما يحبّ تحت أقدام ابن الأمة الفاجرة سارع إلى هناك يحبّ ويحبو

بمن تحت قدميه.

والخوارج وأمثالهم لا دين لهم ولا اعتقاد، ولا يحكمهم ذوق ولا آداب، يبتغون الفتنة، إبن وجودوها ألقحوها، وقد التحقوا بالمولى مسلم بن عقيل عليه السلام طمعاً في قتال أبناء البغايا، فلمّا رأوا ابن الأمة الفاجرة قد رفع راياته وجدوها فرصة لا يجود بها الدهر إلّا قليلاً، فالتحقوا به متوثّبين على ذرّيّة الرسول صلى الله عليه وآله وأبناء فاطمة البتول عليها السلام، وقد دلعوا ألسنتهم ليلغوا في الدماء الزاكية، أمّا الأمويون فإنّهم سيجدون من يجمعهم على محاربتهم في كلّ حين.

وعبيد الدنيا قد اتخذوها إلهاً يحبّونها، لا يفكرون في فراقها أبداً، وقد تكشّفت الأمور عن الشهادة وفراق الدنيا الدنية مع سيّد الشهداء عليه السلام، وشمّوا رائحة بقيّة من عيش وبيل مع أبناء الدنيا، فانساقوا إلى صفّ إلههم ومعبودهم.

وهذه الأصناف المنقلبة كلّها كان انقلابها طبيعياً متوقّعاً، بل منتظراً في أيّ لحظة، لأنّ تحرّكها كان بداعٍ ودافع وسبب مبتنٍ على قواعد لهم مرسومة، لا يخفونها ولا يتنصّلون عنها، ولم يكن انقلابهم اعتباطاً، وقراراً آنياً يخالف المقرّرات وموقفاً تغيّر نتيجة تغيّر العقائد والفهوم والمبادئ والمنطلقات.

فهم أصحاب سوابق ومتبنّيات ثابتة من قبل، ولم يؤمنوا بالحسين عليه السلام طرفة عين أبداً لا قبل البيعة ولا بعد الخذلان.

وهذا ما تؤكّده كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وكلمات الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وكلمات الإمام الحسين عليه السلام نفسه.

وهذه الحقيقة لم تكن بعيدة عن العالم العارف الخبير بالمجتمع الكوفة ثقة الحسين عليه السلام مسلم بن عقيل عليه السلام.

أمّا طلّاب الحقّ، وذووا المنابت الطيبة،

والأصول الطاهرة، والنطف الزكية، فإنّهم كانوا مع الحقّ يتبعونه ويثبتون عليه ومعه، أقدامهم ثابتة، ومواقفهم راسخة، تزول الجبال وهم لا تزلزلهم القواصف، ولا تستفلّ منهم المعاول، ولا يزيدهم فراق الدنيا إلّا شوقاً للقاء المحبوب، يرون الحقّ في إمامهم، لا فرق عندهم بين أن يكونوا في الدنيا أو غيرها.

فنعيمهم الحسين عليه السلام..

ودنياهم الحسين عليه السلام..

ودينهم الحسين عليه السلام..

وأهلهم وعشيرتهم الحسين عليه السلام..

وجنّتهم ونعيمهم، وروحهم وريحانهم الحسين عليه السلام.

وقد رأوا في الذات المسلمية المقدّسة سيماء الحسين عليه السلام، فثبتوا...

ثالثاً:

الشيعة أقلّية في المجتمع الكوفي

مرّ الكلام مفصلاً في بيان هذه الحقيقة، فلا نعيد، والذي نريد الإشارة إليه هنا هو أنّ الشيعة الأطائب الذين نرى في مواقفهم الشموخ، وفي أقدامهم الصدق والثبات، أقلّية في ذلك الكمّ الهائل الهائج يومذاك، فإنّهم ثبتوا، ولكنّه كان ثبات الأقلّ، أمّا الأكثر فلا ينتظر منهم الثبات إلّا على المصالح والدنيا المعبودة.

رابعاً:

الانطلاق المبكّر لحملات التخذيل والتهديد

كان لانطلاق حملات التخذيل المبكّر منذ عهد السقيفة وقبلها وبعدها، وقوّة مواد التخذيل ووسائله التي وظّفها ابن الأمة الفاجرة دور فاعل في تثبيط العزائم الخائرة،

وتفتيت المواقف المتزلزلة، وهزيمة النفوس الخاوية التائهة.

خامساً:
وجود جيش بعدّة وعدد عند الأعداء

مرّ معنا أنّ ابن زياد كان في عدّة وعدد، وكان له جيش منظّم وشرطة وحرس، وأعداد غفيرة من الأوباش والغوغاء والرعاع. وهذه الصورة تختلف تماماً عمّا أراد المؤرّخ رسمها في ظاهر عبارته، وقد فصّلنا الكلام في ذلك فيما مضى من هذه الدراسة.

ومن الطبيعي أن يكون تخويف صاحب هذه العساكر مؤثراً، ويكون الناس ـ ونعني بهم الهمج الرعاع لا رجال العقيدة والثبات ـ يخافون هذه العساكر الشرسة الوحشية.

سادساً:

هبوط الظلام ودخول الليل

كانت الحروب يومها تعتمد على الرؤية المباشرة، وتقوم على المصاولة والاستهداف المباشر والمواجهة، ولهذا كانت الحروب لا تقوم ساقها إلّا في ضوء النهار، فإذا جنّ الليل انسحبت الصفوف، وتأجل القتال إلى صباح اليوم التالي.

ولم يكن القتال في الليل معهوداً إلّا نادراً، بل أندر من النادر، ولو قد قاتل القوم ليلاً صار ذاك القتال تاريخاً وحديثاً تجول به الركبان، كما حدث في ليلة الهرير.

وقد اتفقت المصادر على أنّ التجمع قد امتدّ إلى الليل.

وأفاد نصّ ابن الأثير أنّ الأعداء كانوا يناورون ويجرّون الحدث إلى الليل ليتفرّق الناس، قال:

وكان فيمن قاتل مسلماً محمّد بن الأشعث وشبث بن ربعيّ التميميّ والقعقاع بن شور، وجعل شبث يقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا..

فلمّا هبط الليل، واكتسح الظلام الساحات حان الوقت لتفرّق الجموع.

ولا يخفى أنّ الجموع كانت تتحرّك في ثكنتها، بمعنى أنّ كلّ فرد منهم إذا أراد أن يقضي ليلته تلك وينتظر الصباح ليعود ـ على فرض وجود حرب ـ عليه أن يرجع إلى مكان يكنّه، ويطوي فيه ليله، ولمّا كان التحرّك في الكوفة نفسها، عاد كلّ رجل منهم إلى بيته وأهل وعشيرته.

المهمّ كان هبوط الظلام عاملاً طبيعياً ساعد على تفرّق الجمع.

ولا يغيب عنّا أنّ هذا العامل الطبيعي لا يكون عذراً للغدر، والتخلّي عن البيعة والأخلاق والاستسلام للخذلان.

غير أنّه كان سبباً لانسحاب الجموع من الساحة باعتبارها جموع محاربة! أمّا مطلق التجمع فإنّه كان بالإمكان حصوله، بل قد حصل، كما في النصوص حيث أمر ابن زياد أن يجتمع الناس بعد العتمة فاجتموا!

سابعاً:

وجود العساكر داخل المدينة

كان لوجود الأسر والعوائل والأولاد والأزواج والآباء والأمهات والأملاك والدور وزهرة الحياة الدنيا دور فاعل في التخذيل، وتثبيط العزائم، وجرّ الأفراد بعيداً عن الساحة والرحبة!

مواد البحث

إنّ ما مرّ من دراسة وبحث احتوت على نصوص تكرّر توظيفها أحياناً بحكم الحاجة إليها في مواضع متعدّدة، أو لحاظات شتّى مختلفة.

وثمّة نصوص أخرى استفدنا منها مرّة واحدة، بحكم الحاجة إليها.

وسنذكر هنا النصوص الأكثر استخداماً، لتكون في متناول القارئ الكريم، فربما قرأها وفهم منها غير ما فهمنا، أو تلقّف ما فاتنا وكان بالإمكان الاستفادة منه في بحثنا فلم نثبته، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى ربما فاتنا في موضع من

مواضع البحث أن نرجع إلى المصدر، فإنّه سيجده هنا إن شاء الله.

الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠): خ ١ / ٤٦١:

وبلغ الخبر مسلم بن عقيل فخرج في نحو من أربعمائة من الشيعة، فما بلغ القصر إلّا وهو في نحو ستّين رجلاً، فغربت الشمس واقتتلوا قريباً من الرحبة، ثم دخلوا المسجد وكثرهم أصحاب عبيد الله بن زياد.

وجاء الليل فهرب!!! مسلم حتّى دخل على امرأة من كندة يقال لها: طوعة. فاستجار بها...

الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت ٢٧٦): ٢ / ٨:

قال: فبعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل إلى الكوفة يبايعهم له، وكان على الكوفة النعمان بن بشير.

فقال النعمان: لابن بنت رسول الله ﷺ أحبّ إلينا من ابن بحدل!

قال: فبلغ ذلك يزيد، فأراد أن يعزله، فقال لأهل الشام: أشيروا عليّ، من أستعمل على الكوفة؟

فقالوا: أترضى برأي معاوية؟ قال: نعم.

قالوا: فإنّ الصكّ بإمرة عبيد الله بن زياد على العراقين قد كتبه في الديوان.

قال: فاستعمله على الكوفة، فقدم الكوفة قبل أن يقدم الحسين، وبايع له مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين ألفاً من أهل الكوفة، فنهضوا معه يريدون عبيد الله بن زياد، فجعلوا كلّما أشرفوا على زقاق، انسلّ عنه منهم ناس، حتّى بقي مسلم في شرذمة قليلة..

قال: فجعل أناس يرمونه بالآجرّ من فوق البيوت، فلمّا رأى ذلك دخل دار هانئ بن عروة المرادي...

الإمامة والسياسة: ٢ / ٩:

.. فضرب بها وجهه حتّى كسرها، ثم قدّمه فضرب عنقه.

قال: وأرسل جماعة إلى مسلم بن عقيل، فخرج عليهم بسيفه، فما زال يقاتلهم حتّى أخرج وأسر.

أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩): ٢ / ٨١:

... قال: فأتني به لتتلافى الذي فرط من سوء رأيك، فأبى فقال: والله لئن لم تأتني به لأضربن عنقك.

قال: والله لئن ضربت عنقي لتكثرن البارقة حول دارك.

فأمر به فأدني منه فضرب وجهه بقضيب أو محجن كان معه، فكسر أنفه وشقّ حاجبه، ثم أمر به فحبس في بعض بيوت الدار.

وأتى مسلماً خبر هانئ فأمر أن ينادي في أصحابه، وقد تابعه ثمانية عشر ألف رجل، وصاروا في الدور حوله.

فلم يجتمع إليه إلّا أربعة آلاف رجل.

فعبأهم ثم زحف نحو القصر.

وقد أغلق عبيد الله بن زياد أبوابه، وليس معه فيه إلّا عشرون من الوجوه وثلاثون من الشرط.

فوجّه محمد بن الأشعث بن قيس وكثير بن شهاب الحارثي، وعدّة من الوجوه ليخذّلوا الناس عن مسلم بن عقيل والحسين بن علي، ويتوعّدونهم بيزيد بن معاوية وخيول أهل الشام، وبمنع الأعطية، وأخذ البريء بالسّقيم والشاهد بالغائب.

فتفرّق أصحاب ابن عقيل عنه، حتّى أمسى وما معه إلّا نحو من ثلاثين رجلاً.

فلمّا رأى ذلك خرج متوجهاً نحو أبواب الكندة، وتفرّق عنه الباقون حتّى بقي وحده

يتلدّد في أزقة الكوفة ليس معه أحد!!!.

أنساب الأشراف: ٣ / ٢٢٤:

حدّثنا سعيد بن سليمان، حدّثنا عباد بن العوام، عن حصين:

أنّ أهل الكوفة كتبوا إلى الحسين: إنّا معك ومعنا مائة ألف سيف.

فبعث (الحسين) إليهم مسلم بن عقيل، فنزل بالكوفة (في) دار هانئ بن عروة، فبعث إليه ابن زياد فأتي به، فضربه بقضيب كان معه، ثم أمر به فكتف وضربت عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج في أناس كثير.

قال حصين: فحدّثني هلال بن اساف قال: (ثم إنهم) لقد تفرّقوا عنه، فلمّا قلّت الأصوات، فقيل لابن زياد: ما نرى معه كبير أحد.

فأمر فرفعت جرادي فيها النار حتّى

نظروا، فإذا ليس مع مسلم إلّا قدر خمسين.

فقال ابن زياد للناس: تميّزوا أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربعهم، فنهض إليهم قوم قاتلوا مع مسلم، فجرح مسلم جراحة، وقتل ناس من أصحابه.

ولجأ! (مسلم) إلى دار من دور كندة، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث، وهو جالس عند ابن زياد فأخبره بذلك.

فقال (ابن الأشعث) لابن زياد: إنّه قال لي: إنّ مسلماً في دار فلان.

فقال: ائتوني به.

فدخل (ابن الأشعث) عليه وهو عند امرأة قد أوقدت ناراً، فهي تغسل عنه الدم، فقالوا له: انطلق إلى الأمير.

فقال: عفواً!!!

قالوا: ما نملك ذلك، فانطلق معهم! فلمّا رآه أمر به فكتف وقال: أجئت ـ يا ابن حلية ـ لتنزع سلطاني؟ وأمر به فضربت عنقه.

قال: و«حلية» أمّ مسلم بن عقيل، وهي أم ولد[١].

أنساب الأشراف: ٢ / ٨٥:

قالوا: وخرج عمارة بن صلخب الأزدي (كذا)، وكان ممّن أراد نصرة مسلم، فأخذه أصحاب ابن زياد، فأتوه به، فأمر به فضربت عنقه في الأزد، وبعث برأسه مع رأس مسلم وهانئ (بن عروة) إلى يزيد بن معاوية، وكان رسوله بهذه الرؤوس هانئ بن أبي حية الوادعي من همدان...

الأخبار الطوال للدينوري (ت ٢٨٢): ٢٤٠ ـ ٢٣٨:

ولمّا بلغ مسلم بن عقيل قتل هانئ بن عروة نادى فيمن كان بايعه، فاجتمعوا، فعقد لعبد

---

١. انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصّة شراء والدته»، للمؤلف.

الرحمن بن كريز الكندي على كندة وربيعة، وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد، وعقد لأبي ثمامة الصيداوي على تميم وهمدان، وعقد للعباس بن جعدة بن هبيرة على قريش والأنصار، فتقدّموا جميعاً حتّى أحاطوا بالقصر، واتبعهم هو في بقيّة الناس.

وتحصّن عبيد الله بن زياد في القصر مع من حضر مجلسه في ذلك اليوم من أشراف! أهل الكوفة والأعوان والشرط، وكانوا مقدار مائتي رجل، فقاموا على سور القصر يرمون القوم بالمدر والنشاب، ويمنعونهم من الدنو من القصر، فلم يزالوا بذلك حتّى امسوا.

وقال عبيد الله بن زياد لمن كان عنده من أشراف! أهل الكوفة: ليشرف كلّ رجل منكم في ناحية من السور، فخوّفوا القوم.

فأشرف كثير بن شهاب، ومحمد بن الأشعث، والقعقاع بن شور، وشبث ابن ربعي، وحجّار بن أبجر، وشمر بن ذي

الجوشن، فتنادوا: يا أهل الكوفة، اتقوا الله ولا تستعجلوا الفتنة، ولا تشقّوا عصا هذه الأمة، ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم، وجرّبتم شوكتهم.

فلمّا سمع أصحاب مسلم مقالتهم فتروا بعض الفتور.

وكان الرجل من أهل الكوفة يأتي ابنه، وأخاه، وابن عمّه فيقول: انصرف، فإنّ الناس يكفونك. وتجيء المرأة إلى ابنها وزوجها وأخيها فتتعلّق به حتّى يرجع.

فصلّى مسلم العشاء في المسجد، وما معه إلّا زهاء ثلاثين رجلاً.

فلمّا رأى ذلك مضى منصرفاً ماشياً، ومشوا معه، فأخذ نحو كندة، فلمّا مضى قليلاً التفت فلم ير منهم أحداً، ولم يصب إنساناً يدلّه على الطريق، فمضى هائماً على وجهه في ظلمة اللّيل حتّى دخل على كندة.

فإذا امرأة قائمة على باب دارها تنتظر

ابنها، وكانت ممّن خفّ مع مسلم، فآوته وأدخلته بيتها، وجاء ابنها، فقال: من هذا في الدار؟

فاعلمته، وأمرته بالكتمان.

ثم إنّ ابن زياد لما فقد الأصوات ظنّ أنّ القوم دخلوا المسجد، فقال: انظروا، هل ترون في المسجد أحداً؟ وكان المسجد مع القصر.

فنظروا فلم يروا أحداً، وجعلوا يشعلون أطناب القصب، ثم يقذفون بها في رحبة المسجد ليضيء لهم، فتبينوا، فلم يروا أحداً.

فقال ابن زياد: إنّ القوم قد خذلوا، وأسلموا مسلماً.

وانصرفوا.

فخرج فيمن كان معه، وجلس في المسجد، ووضعت الشموع والقناديل، وأمر منادياً فنادى بالكوفة ألا برئت الذمّة من رجل من العرفاء والشرط والحرس لم يحضر المسجد.

فاجتمع الناس، ثم قال: يا حصين بن نمير وكان على الشرطة ثكلتك أمّك إن ضاع باب سكّة من سكك الكوفة، فإذا أصبحت فاستقرء الدور، داراً، داراً، حتّى تقع عليه.

وصلّى ابن زياد العشاء في المسجد، ثم دخل القصر.

فلمّا أصبح جلس للناس، فدخلوا عليه، ودخل في أوائلهم محمد بن الأشعث، فأقعده معه على سريره.

وأقبل ابن تلك المرأة التي مسلم في بيتها إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وهو حينئذٍ غلام حين راهق، فأخبره بمكان مسلم عنده.

فأقبل عبد الرحمن إلى أبيه محمد بن الأشعث، وهو جالس مع ابن زياد، فأسرّ إليه الخبر.

فقال ابن زياد: ما سارّ به ابنك؟

قال: أخبرني أنّ مسلم بن عقيل في بعض

دورنا.

فقال: انطلق، فاتني به الساعة.

وقال لعبيد بن حريث: ابعث مائة رجل من قريش، وكره أن يبعث إليه غير قريش خوفاً من العصبية أن تقع.

فأقبلوا حتّى أتوا الدار التي فيها مسلم بن عقيل، ففتحوها، فقاتلهم، فرمى، فكسر فوه، وأخذ، فأتي ببغلة فركبها، وصاروا به إلى ابن زياد.

تاريخ اليعقوبي (ت ٢٩٢): ٢ / ٢٤٣:

قال بعد أن نقل قصّة التخطيط لاغتيال ابن زياد[١] في بيت هاني بن عروة:

.. ففهم ابن زياد، فقام فخرج من عنده، ووجّه بالشرط يطلبون مسلماً، وخرج وأصحابه، وهو لا يشكّ في وفاء القوم،

---

١ ـ انظر: «مسلم بن عقيل عليه السلام قصّة محاولة اغتيال ابن زياد»، للمؤلّف.

وصحّة نياتهم، فقاتل عبيد الله، فأخذوه، فقتله عبيد الله، وجرّ برجله في السوق وقتل هانئ بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانته إياه..

تاريخ الطبري (ت ٣١٠): ٥ / ٣٥٠ وما بعدها سنة ٦٠:

رجع الحديث إلى حديث عمار الدهني، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

فبينا هو كذلك، إذ خرج الخبر إلى مذحج، فإذا على باب القصر جلبة سمعها عبيد الله، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مذحج.

فقال لشريح: اخرج إليهم فأعلمهم إني إنما حبسته لأسأله، وبعث عينا عليه من مواليه يسمع ما يقول.

فمرّ بهانئ بن عروة، فقال له هانئ: اتق الله يا شريح، فإنّه قاتلي، فخرج شريح حتّى قام على باب القصر، فقال: لا بأس عليه، إنما

حبسه الأمير ليسأله.

فقالوا: صدق، ليس على صاحبكم بأس، فتفرّقوا...

فأتى مسلماً الخبر، فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمته، وعبّئ ميمنته وميسرته، وسار في القلب إلى عبيد الله.

وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة، فجمعهم عنده في القصر. فلمّا سار إليه مسلم فانتهى إلى باب القصر أشرفوا على عشائرهم، فجعلوا يكلّمونهم ويردّونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسلّلون حتّى أمسى في خمسمائة، فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً.

فلمّا رأى مسلم أنّه قد بقي وحده يتردّد في الطرق أتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة..

فقال أبو مخنف: فحدّثني الصقعب بن

زهير، عن عبد الرحمن بن شريح، قال: سمعته يحدث إسماعيل بن طلحة، قال:

دخلت على هانئ، فلمّا رآني قال: يا لله يا للمسلمين! أهلكت عشيرتي؟ فأين أهل الدين! وأين أهل المصر! تفاقدوا! يخلّوني، وعدوّهم وابن عدوّهم! والدماء تسيل على لحيته، إذ سمع الرجّة على باب القصر، وخرجت واتبعني، فقال: يا شريح، إني لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني.

قال: فخرجت إليهم ومعي حميد بن بكير الأحمري، أرسله معي ابن زياد، وكان من شرطه ممّن يقوم على رأسه، وأيم الله لولا مكانه معي لكنت أبلغت أصحابه ما أمرني به.

فلمّا خرجت إليهم قلت: إنّ الأمير لمّا بلغه مكانكم ومقالتكم في صاحبكم أمرني بالدخول إليه، فأتيته فنظرت إليه، فأمرني

أن ألقاكم، وأن أعلمكم أنّه حيّ، وأنّ الذي بلغكم من قتله كان باطلاً! فقال عمرو وأصحابه: فأمّا إذ لم يقتل فالحمد لله، ثم انصرفوا.

قال أبو مخنف: حدّثني الحجاج بن علي، عن محمد بن بشر الهمداني، قال:

لمّا ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه خشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أمّا بعد، أيّها الناس، فاعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمّتكم، ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحرموا، إنّ أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر.

قال: ثم ذهب لينزل، فما نزل عن المنبر حتّى دخلت النظّارة المسجد من قبل التمّارين يشتدّون ويقولون: قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل! فدخل عبيد الله القصر

مسرعاً، وأغلق أبوابه.

قال أبو مخنف: حدّثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن خازم، قال:

أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر إلى ما صار أمر هانئ، قال:

فلمّا ضرب وحبس ركبت فرسي، وكنت أوّل أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، وإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عترتاه! يا ثكلاه!

فدخلت على مسلم بن عقيل بالخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابه، وقد ملأ منهم الدور حوله، وقد بايعه ثمانية عشر ألفاً، وفي الدور أربعة آلاف رجل، فقال لي: ناد: يا منصور أمت، فناديت: يا منصور أمت.

وتنادى أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد مسلم لعبيد الله بن عمرو بن عزيز الكندي على ربع كندة وربيعة، وقال: سر أمامي في الخيل، ثم عقد لمسلم بن عوسجة الأسدي

على ربع مذحج وأسد، وقال: انزل في الرجال فأنت عليهم، وعقد لأبي ثمامة الصائدى على ربع تميم وهمدان، وعقد لعباس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة، ثم أقبل نحو القصر.

فلمّا بلغ ابن زياد إقباله تحرّز في القصر، وغلق الأبواب.

قال أبو مخنف: وحدّثني يونس بن أبي إسحاق، عن عباس الجدلي قال: خرجنا مع ابن عقيل أربعة آلاف، فما بلغنا القصر إلّا ونحن ثلاثمائة.

قال: وأقبل مسلم يسير في الناس من مراد حتّى أحاط بالقصر، ثم إنّ الناس تداعوا إلينا واجتمعوا، فو الله ما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يثوبون حتّى المساء، فضاق بعبيد الله ذرعه، وكان كبر أمره أن يتمسّك بباب القصر، وليس معه إلّا ثلاثون رجلاً من

الشرط وعشرون رجلاً من أشراف الناس وأهل بيته ومواليه. وأقبل أشراف الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الذى يلي دار الروميين، وجعل من بالقصر مع ابن زياد يشرفون عليهم، فينظرون إليهم فيتقون أن يرموهم بالحجارة، وأن يشتموهم وهم لا يفترون على عبيد الله وعلى أبيه، ودعا عبيد الله كثير بن شهاب ابن الحصين الحارثي فأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيسير بالكوفة، ويخذل الناس عن ابن عقيل ويخوفهم الحرب، ويحذرهم عقوبة السلطان.

وأمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت، فيرفع رايه أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذهلي وشبث بن ربعي التميمى وحجّار بن أبجر العجلي وشمر بن ذي الجوشن العامري، وحبس سائر وجوه

الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس، وخرج كثير بن شهاب يخذل الناس عن ابن عقيل.

قال أبو مخنف: فحدّثني أبو جناب الكلبي أنّ كثيراً ألفى رجلاً من كلب يقال له «عبد الأعلى بن يزيد»، قد لبس سلاحه يريد ابن عقيل في بني فتيان، فأخذه حتّى أدخله على ابن زياد، فأخبره خبره، فقال لابن زياد: إنّما أردتك، قال: وكنت وعدتني ذلك من نفسك؟! فأمر به فحبس.

وخرج محمد بن الأشعث حتّى وقف عند دور بني عمارة، وجاءه عمارة بن صلخب الأزدي وهو يريد ابن عقيل، عليه سلاحه، فأخذه فبعث به إلى ابن زياد فحبسه.

فبعث ابن عقيل إلى محمد بن الأشعث من المسجد عبد الرحمن ابن شريح الشبامي، فلمّا رأى محمد بن الأشعث كثرة من أتاه، أخذ يتنحّى ويتأخّر، وأرسل القعقاع بن شور

الذهلي إلى محمد بن الأشعث: قد جلت على ابن عقيل من العرار، فتأخّر عن موقفه، فأقبل حتّى دخل على ابن زياد من قبل دار الروميين.

فلمّا اجتمع عند عبيد الله كثير بن شهاب ومحمد والقعقاع فيمن أطاعهم من قومهم، قال له كثير، وكانوا مناصحين لابن زياد: أصلح الله الأمير! معك في القصر ناس كثير من أشراف الناس ومن شرطك وأهل بيتك ومواليك، فاخرج بنا إليهم، فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواء، فأخرجه.

وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون ويثوبون حتّى المساء، وأمرهم شديد.

فبعث عبيد الله إلى الأشراف فجمعهم إليه، ثم قال: أشرفوا على الناس فمنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، وخوّفوا أهل المعصية الحرمان والعقوبة، وأعلموهم فصول الجنود من الشام إليهم.

قال أبو مخنف: حدّثني سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن خازم الكثيري من الأزد، من بني كثير، قال:

أشرف علينا الأشراف، فتكلّم كثير بن شهاب أوّل الناس حتّى كادت الشمس أن تجبّ، فقال:

أيّها الناس، الحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا الشرّ، ولا تعرضوا أنفسكم للقتل، فإنّ هذه جنود أمير المؤمنين! يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً: لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم أن يحرم ذرّيّتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي أهل الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقى له فيكم بقية من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما جرت أيديها، وتكلّم الأشراف! بنحو من كلام هذا، فلمّا سمع مقالتهم الناس أخذوا يتفرّقون، وأخذوا ينصرفون.

قال أبو مخنف: فحدّثني المجالد بن سعيد: أنّ المرأة كانت تأتي ابنها أو أخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه أو أخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب والشرّ! انصرف فيذهب به، فما زالوا يتفرّقون ويتصدّعون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفساً

فلمّا رأى أنّه قد أمسى وليس معه إلّا أولئك النفر خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، وبلغ الأبواب ومعه منهم عشرة، ثم خرج من الباب وإذا ليس معه إنسان، والتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا يدلّه على منزل ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ، فمضى على وجهه يتلدّد في أزقة الكوفة لا يدري اين يذهب!

ولمّا طال على ابن زياد، وأخذ لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمعه قبل ذلك قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا

هل ترون منهم أحداً؟!

فأشرفوا فلم يروا أحداً، قال: فانظروا لعلهم تحت الظلال قد كمنوا لكم!!

ففرعوا بجابح المسجد، وجعلوا يخفضون شعل النار في أيديهم، ثم ينظرون: هل في الظلال أحد؟ وكانت أحياناً تضيء لهم، وأحياناً لا تضيء لهم كما يريدون.

فدلّوا القناديل وأنصاف الطنان تشدّ بالحبال، ثم تجعل فيها النيران، ثم تدلى، حتّى تنتهي إلى الأرض، ففعلوا ذلك في أقصى الظلال وأدناها وأوسطها حتّى فعلوا ذلك بالظلّة التي فيها المنبر.

فلمّا لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدّة التي في المسجد ثم خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه معه، فأمرهم فجلسوا حوله قبيل العتمة، وأمر عمرو بن نافع فنادى: ألا برئت الذمّة من رجل من الشرطة والعرفاء أو المناكب أو المقاتلة صلّى

العتمة إلّا في المسجد.

فلم يكن له إلّا ساعة حتّى امتلأ المسجد من الناس، ثم أمر مناديه فأقام الصلاة، فقال الحصين بن تميم: إن شئت صلّيت بالناس، أو يصلّي بهم غيرك، ودخلت أنت فصلّيت في القصر، فأني لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك!

فقال: مر حرسي فليقوموا ورائي كما كانوا يقفون، ودر فيهم فإني لست بداخل إذاً.

فصلّى بالناس، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد، فإنّ ابن عقيل السفيه الجاهل!! قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمّة الله!!! من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديّته، اتقوا الله عباد الله، والزموا طاعتكم وبيعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

يا حصين ابن تميم، ثكلتك أمّك إن صاح باب سكّة من سكك الكوفة، أو خرج هذا

الرجل ولم تأتني به، وقد سلّطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصده على أفواه السكك، وأصبح غداً واستبر الدور وجس خلالها حتّى تأتيني بهذا الرجل، وكان الحصين على شرطه، وهو من بني تميم.

ثم نزل ابن زياد فدخل، وقد عقد لعمرو بن حريث راية وأمّره على الناس، فلمّا أصبح جلس مجلسه، وأذن للناس فدخلوا عليه.

وحدّثنا محمد بن عمار الرازي، قال: حدّثنا سعيد بن سليمان، قال: حدّثنا عباد بن العوام قال: حدّثنا حصين:

إنّ الحسين بن علي عليه السلام كتب إليه أهل الكوفة: أنّه معك مائة ألف، فبعث إليهم مسلم بن عقيل، فقدم الكوفة، فنزل دار هانئ بن عروة، فاجتمع إليه الناس، فأخبر ابن زياد بذلك.

زاد الحسين بن نصر في حديثه: فأرسل

إلى هانئ فأتاه، فقال: ألم أوقّرك! ألم أكرمك! ألم أفعل بك! قال: بلى.

قال: فما جزاء ذلك؟ قال: جزاؤه أن أمنعك، قال: تمنعني!

قال: فأخذ قضيباً مكانه فضربه به، وأمر فكتف، ثم ضرب عنقه، فبلغ ذلك مسلم بن عقيل، فخرج ومعه ناس كثير.

فبلغ ابن زياد ذلك، فأمر بباب القصر فأغلق، وأمر منادياً فنادى: يا خيل الله اركبي، فلا أحد يجيبه، فظن أنه في ملأ من الناس!!!

قال حصين: فحدّثني هلال بن يساف قال: لقيتهم تلك الليلة في الطريق عند مسجد الأنصار، فلم يكونوا يمرّون في طريق يميناً ولا شمالاً إلّا وذهبت منهم طائفة، الثلاثون والأربعون، ونحو ذلك.

قال: فلمّا بلغ السوق، وهي ليلة مظلمة! ودخلوا المسجد، قيل لابن زياد: والله ما

نرى كثير أحد، ولا نسمع أصوات كثير أحد، فأمر بسقف المسجد فقلع، ثم أمر بحرادى فيها النيران، فجعلوا ينظرون، فإذا قريب خمسين رجلاً.

قال: فنزل فصعد المنبر وقال للناس: تميّزوا أرباعاً أرباعاً، فانطلق كلّ قوم إلى رأس ربعهم، فنهض إليهم قوم يقاتلونهم، فجرح مسلم جراحة ثقيلة، وقتل ناس من أصحابه، وانهزموا.

فخرج مسلم فدخل داراً من دور كندة، فجاء رجل إلى محمد بن الأشعث وهو جالس إلى ابن زياد، فسارّه، فقال له: إنّ مسلماً في دار فلان، فقال ابن زياد: ما قال لك؟

قال: إنّ مسلماً في دار فلان، قال ابن زياد لرجلين: انطلقا فاتياني به، فدخلا عليه وهو عند امرأة قد أوقدت له النار، فهو يغسل عنه الدماء، فقالا له: انطلق، الأمير

يدعوك.

فقال: اعقدا لي عقداً، فقالا: ما نملك ذاك.

فانطلق معهما!! حتّى أتاه فأمر به فكتف ثم قال: هيه هيه يا بن خلية ـ قال الحسين في حديثه: يا بن كذا ـ جئت لتنزع سلطاني! ثم أمر به فضربت عنقه..

الفتوح لابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤):

٥ / ٤٨ وما بعدها:

.. قال: فغضب ابن زياد وقال: والله! لتأتيني به أو لأضربن عنقك، فقال: إذاً والله تكثر البارقة حول دارك.

فقال له ابن زياد: أبالبارقة تخوفني؟ ثم أخذ قضيباً كان بين يديه فضرب به وجه هانئ، فكسر به وجهه وأنفه وشقّ حاجبه.

قال: فضرب هانئ بيده إلى قائم سيف من سيوف أصحاب ابن زياد، فجاذبه ذلك الرجل ومنعه من السيف، وصاح عبيد الله

بن زياد: خذوه! فأخذوه وألقوه في بيت من بيوت القصر وأغلقوا عليه الباب.

قال: ثم وثب أسماء بن خارجة إلى عبيد الله بن زياد فقال: أيّها الأمير! أمرتنا أن نأتيك بالرجل فلمّا جئناك به وأدخلناه إليك هشمت وجهه وأسلت دمه وزعمت أنّك تقتله.

قال: فغضب ابن زياد وقال: وأنت هاهنا أيضاً؟ ثم أمر بأسماء بن خارجة فضرب حتّى وقع لجنبه.

قال: فحبس أسماء ناحية من القصر وهو يقول: ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، إلى نفسي أنعاك يا هانئ.

قال: وبلغ ذلك بني مذحج، فركبوا جميعهم عن آخرهم حتّى وافوا باب القصر فضجوا وارتفعت أصواتهم، فقال عبيد الله بن زياد: ما هذا؟ فقيل له: أيّها الأمير هؤلاء عشيرة هانئ بن عروة يظنّون أنّه قد قتل.

فقال ابن زياد للقاضي شريح: قم فادخل إليه وانظر حاله واخرج إليهم وأعلمهم أنّه لم يقتل.

قال: فدخل شريح إلى هانئ فنظر إليه، ثم خرج إلى القوم فقال: يا هؤلاء! لا تعجلوا بالفتنة. فإنّ صاحبكم لم يقتل، والذي أبلغكم فإنّه أبلغكم باطلاً!

قال: فرجع القوم وانصرفوا.

قال: وخرج عبيد الله بن زياد من القصر حتّى دخل المسجد الأعظم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم التفت فرأى أصحابه عن يمين المنبر وعن شماله وفي أيديهم الأعمدة والسيوف المسلّلة، فقال:

أمّا بعد يا أهل الكوفة! فاعتصموا بطاعة الله ورسوله محمد ﷺ وطاعة أئمّتكم ولا تختلفوا ولا تفرّقوا فتهلكوا وتندموا وتذلّوا وتقهروا، فلا يجعلنّ أحد على نفسه سبيلاً، وقد أعذر من أنذر.

قال: فما أتمّ عبد الله بن زياد الخطبة حتّى سمع الصيحة، فقال: ما هذا؟ فقيل له: أيّها الأمير! الحذر الحذر! هذا مسلم بن عقيل قد أقبل في جميع من بايعه!

قال: فنزل عبيد الله بن زياد عن المنبر مسرعاً وبادر فدخل القصر وأغلق الأبواب.

ذكر مسلم بن عقيل ـ رحمه الله ـ وخروجه على عبيد الله ابن زياد!!!

قال: وأقبل مسلم بن عقيل ـ رحمه الله ـ في وقته ذلك عليه وبين يديه ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون، وبين يديه الأعلام وشاكوا السلاح، وهم في ذلك يشتمون عبيد الله بن زياد ويلعنون أباه.

قال: وركب أصحاب عبيد الله واختلط القوم، فقاتلوا قتالاً شديداً، وعبيد الله بن زياد وجماعة من أهل الكوفة قد أشرفوا على جدار القصر ينظرون إلى محاربة الناس.

قال: وجعل رجل من أصحاب عبيد الله بن زياد اسمه كثير بن شهاب ينادي من أعلى القصر بأعلى صوته:

ألا يا شيعة مسلم بن عقيل! ألا يا شيعة الحسين بن علي! الله الله في أنفسكم وفي أهاليكم وأولادكم، فإنّ جنود أهل الشام قد أقبلت، وأنّ الأمير عبيد الله بن زياد قد عاهد الله لئن أقمتم على حربكم ولم تنصرفوا من يومكم هذا ليحرمنّكم العطاء وليفرقنّ مقاتلتكم في مغازي أهل الشام، وليأخذنّ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقي منكم بقيّة من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال أمرها.

قال: فلمّا سمع الناس ذلك تفرّقوا وتحادوا عن مسلم بن عقيل ـ رحمه الله ـ، ويقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة وغداً تأتينا جموع أهل الشام، ينبغي لنا أن نفعل في منزلنا وندع هؤلاء القوم حتّى يصلح الله

ذات بينهم.

قال: ثم جعل القوم يتسلّلون والنهار يمضي، فما غابت الشمس حتّى بقي مسلم بن عقيل في عشرة أفراس من أصحابه لا أقلّ ولا أكثر، واختلط الظلام، فدخل مسلم بن عقيل المسجد الأعظم ليصلّي المغرب وتفرّق عنه العشرة.

فلمّا رأى ذلك استوى على فرسه ومضى في بعض أزقة الكوفة، وقد أثخن بالجراحات حتّى صار إلى دار امرأة يقال لها طوعة، فلمّا كان من الغد نادى عبيد الله بن زياد في الناس أن يجتمعوا، ثم خرج من القصر وأتى إلى المسجد الأعظم، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيّها الناس! إنّ مسلم بن عقيل أتى هذا البلاد، وأظهر العناد، وشقّ العصا، وقد برئت الذمّة من رجل أصبناه في داره، ومن جاء به فله ديّته، اتقوا الله عباد الله والزموا

طاعتكم وبيعتكم. ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً. ومن أتاني بمسلم بن عقيل فله عشرة آلاف درهم والمنزلة الرفيعة من يزيد بن معاوية. وله في كلّ يوم حاجة مقضية. والسلام.

ثم نزل عن المنبر ودعا الحصين بن نمير السكوني فقال: ثكلتك أمّك إن فاتتك سكّة من سكك الكوفة لم تطبق على أهلها أو يأتوك بمسلم بن عقيل! فو الله لئن خرج من الكوفة سالماً لنريقنّ أنفسنا في طلبه، فانطلق الآن فقد سلّطتك على دور الكوفة وسككها. فانصب المراصد وجدّ الطلب حتّى تأتيني بهذا الرجل...

مروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٦): ٣ / ٥٨:

.. ولمّا اتّصل خبر ابن زياد بمسلم تحوّل إلى هانئ بن عروة المرادي. ووضع ابن زياد

الرَّصَدَ على مسلم حتّى علم بموضعه، فوجّه محمد بن الأشعث ابن قيس إلى هانئ، فجاءه فسأله عن مسلم، فأنكره فأغلظ له ابن زياد القول، فقال هانئ: إنّ لزياد أبيك عندي بلاء حسناً، وأنا احِبُّ مكافأته به، فهل لك في خير؟ قال ابن زياد: وما هو؟

قال: تشخص إلى أهل الشام أنت وأهل بيتك سالمين بأموالكم، فإنّه قد جاء حقّ من هو أحقّ من حقّك وحقّ صاحبك.

فقال ابن زياد: أدنوه مني، فأدنوه منه، فضرب وجهه بقضيب كان في يده حتّى كسر أنفه وشقّ حاجبه، ونثر لحم وجنته، وكسر القضيب على وجهه ورأسه، وضرب هانئ بيده إلى قائم سيف شرطي من تلك الشرط، فجاذبه الرجل، ومنعه السيف، وصاح أصحاب هانئ بالباب: قتل صاحبنا، فخافهم ابن زياد، وأمر بحبسه في بيت إلى جانب مجلسه، وأخرج إليهم ابن زياد

شريحاً القاضي، فشهد عندهم أنّه حيّ لم يقتل، فانصرفوا.

ولمّا بلغ مسلماً ما فعل ابن زياد بهانئ، أمر منادياً فنادى «يا منصور» وكانت شعارهم، فتنادى أهل الكوفة بها فاجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل!!

فسار إلى ابن زياد، فتحصّن منه، فحصروه في القصر، فلم يُمْسِ مسلم ومعه غير مائة رجل، فلمّا نظر إلى الناس يتفرّقون عنه سار نحو أبواب كندة، فما بلغ الباب إلّا ومعه منهم ثلاثة، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم أحد، فبقي حائراً لا يدري أين يذهب! ولا يجد أحداً يدلّه على الطريق! فنزل عن فرسه ومشى متلدّداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يتوجّه، حتّى انتهى إلى باب مولاة للأشعث بن قيس، فاستسقاها ماء فسقته، ثم سألته عن حاله، فأعلمها بقضيته، فرقت له وآوته.....

مقاتل الطالبيين لأبي الفرج (ت ٣٥٦): ١٠٣ وما بعدها:

وقال عمر بن سعد: عن أبي مخنف، قال: حدّثني الحجاج بن علي الهمداني قال:

لمّا ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه، خشي أن يثب الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه أناس من أشراف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيّها الناس: اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمّتكم، ولا تفرّقوا فتختلفوا وتهلكوا وتذلّوا، وتخافوا وتخرجوا، فإنّ أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر.

فذهب لينزل، فما نزل حتّى دخلت النظّارة المسجد من قبل التمّارين يشتدون، ويقولون: قد جاء ابن عقيل، فدخل عبيد الله القصر وأغلق بابه.

وقال أبو مخنف: فحدّثني يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن حازم البكري قال:

أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر في أثر هانئ لأنظر ما صار إليه أمره، فدخلت فأخبرته الخبر، فأمرني أن أنادي في أصحابي، وقد ملأ الدور منهم حواليه، فقال: ناد «يا منصور أمت».

فخرجت فناديت، وتبادر أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد لعبد الرحمن بن عزيز الكندي على ربيعة، وقال له: سر أمامي وقدّمه في الخيل.

وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد، وقال له: انزل فأنت على الرجالة.

وعقد لأبي ثمامة الصائدي على تميم وهمدان.

وعقد للعباس بن جعدة الجدلي على أهل المدينة، ثم أقبل نحو القصر.

فلمّا بلغ عبيد الله إقباله تحرّز في القصر، وغلّق الأبواب، وأقبل مسلم حتّى أحاط بالقصر، فو الله ما لبثنا إلّا قليلا حتّى امتلأ

المسجد من الناس، والسوق، ما زالوا يتوثبون حتّى المساء، فضاق بعبيد الله أمره.

ودعا بعبيد الله ابن كثير بن شهاب الحارثي، وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، فيخذّل الناس عن ابن عقيل، ويخوّفهم الحرب، وعقوبة السلطان، فأقبل أهل الكوفة يفترون على ابن زياد وأبيه.

قال أبو مخنف: فحدّثني سليمان بن أبي راشد، عن عبد الله بن حازم البكري، قال:

أشرف علينا الأشراف، وكان أوّل من تكلّم كثير بن شهاب. فقال:

أيّها الناس، ألحقوا بأهاليكم، ولا تعجلوا، انتشروا ولا تعرّضوا أنفسكم للقتل، فهذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت، وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن أتممتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيّتكم هذه أن يحرم ذرّيّتكم العطاء، ويفرّق

مقاتليكم في مغازي الشام على غير طمع، ويأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقى فيكم بقيّة من أهل المعصية إلّا أذاقها وبال ما جنت.

وتكلّم الأشراف! بنحو من كلام كثير، فلمّا سمع الناس مقالتهم تفرّقوا.

قال أبو مخنف: حدّثني المجالد بن سعيد:

أنّ المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشرّ؟ انصرف.

فما زالوا يتفرّقون وينصرفون حتّى أمسى ابن عقيل وما معه إلّا ثلاثون نفساً، حتّى صلّيت المغرب، فخرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فما بلغ الأبواب إلّا ومعه منها عشر، ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم إنسان فمضى متلدّداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب! حتّى خرج إلى دور بني بجيلة من

كندة، فمضى حتّى أتى باب امرأة يقال لها «طوعة» ..

فلمّا طال على ابن زياد، ولم يسمع أصوات أصحاب ابن عقيل قال لأصحابه: أشرفوا فانظروا، فأخذوا ينظرون، وأدلوا القناديل وأطنان القصب تشدّ بالحبال وتدلي وتلهب فيها النار، حتّى فعل ذلك بالأظلّة التي في المسجد كلّها، فلمّا لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد، ففتح باب السدّة، وخرج ونادى في الناس:

برئت الذمّة من رجل صلّى العتمة إلّا في المسجد، فاجتمع الناس في ساعة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أمّا بعد: فإن ابن عقيل السفيه الجاهل!! قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمّة الله!! من رجل وجد في داره، ومن جاء به فله ديّته، اتقوا الله عباد الله، والزموا طاعتكم، ولا تجعلوا على أنفسكم

سبيلاً.

يا حصين بن تميم ثكلتك أمّك إن ضاع شيء من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلّطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح غداً فاستبرء الدور حتّى تأتي بهذا الرجل، ثم نزل.

فلمّا أصبح أذن للناس، فدخلوا عليه..

الإرشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣): ٢ / ٦٧ وما بعدها:

وكان خروج مسلم بن عقيل ـ رحمة الله عليهما ـ بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة سنة ستّين، وقتله يوم الأربعاء لتسع خلون منه يوم عرفة، وكان توجّه الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق في يوم خروج مسلم بالكوفة ـ وهو يوم التروية ـ بعد مقامه بمكة بقيّة شعبان وشهر رمضان

وشوالاً وذا القعدة وثماني ليال خلون من ذي الحجّة سنة ستّين، وكان قد اجتمع إليه مدّة مقامه بمكة نفر من أهل الحجاز ونفر من أهل البصرة، انضافوا إلى أهل بيته ومواليه.

ولمّا أراد الحسين عليه السلام التوجّة إلى العراق، طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، وأحلّ من إحرامه وجعلها عمرة، لأنّه لم يتمكّن من تمام الحجّ مخافة أن يقبض عليه بمكة فينفذ إلى يزيد بن معاوية، فخرج عليه السلام مبادراً بأهله وولده ومن انضمّ إليه من شيعته، ولم يكن خبر مسلم قد بلغه لخروجه يوم خروجه على ما ذكرناه..

الإرشاد الشيخ المفيد: ٢ / ٥٩ ـ ٥١:

.. وخرج عبيد الله بن زياد فصعد المنبر، ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه، فقال:

أمّا بعد: أيّها الناس فاعتصموا بطاعة الله

وطاعة أئمتكم، ولا تفرّقوا فتهلكوا وتذلّوا وتقتلوا وتجفوا وتحربوا، إنّ أخاك من صدقك، وقد أعذر من أنذر.

ثم ذهب لينزل فما نزل عن المنبر حتّى دخلت النظّارة المسجد من قبل باب التمّارين يشتدّون ويقولون: قد جاء ابن عقيل! قد جاء ابن عقيل! فدخل عبيد الله القصر مسرعاً وأغلق أبوابه.

قال عبد الله بن حازم: أنا والله رسول ابن عقيل إلى القصر لأنظر ما فعل هانئ، فلمّا حبس وضرب ركبت فرسي، فكنت أوّل أهل الدار دخل على مسلم بن عقيل بالخبر، فإذا نسوة لمراد مجتمعات ينادين: يا عبرتاه! يا ثكلاه!

فدخلت على مسلم بن عقيل فأخبرته فأمرني أن أنادي في أصحابه وقد ملأ بهم الدور حوله، وكانوا فيها أربعة آلاف رجل، فناديت: يا منصور أمت.

فتنادى أهل الكوفة واجتمعوا عليه، فعقد مسلم لرؤوس الأرباع على القبائل كندة ومذحج وأسد وتميم وهمدان، وتداعى الناس واجتمعوا، فما لبثنا إلّا قليلاً حتّى امتلأ المسجد من الناس والسوق، وما زالوا يتوثبون حتّى المساء، فضاق بعبيد الله أمره، وكان أكثر عمله أن يمسك باب القصر، وليس معه في القصر إلّا ثلاثون رجلاً من الشرط وعشرون رجلاً من أشراف! الناس وأهل بيته وخاصته، وأقبل من نأى عنه من أشراف الناس يأتونه من قبل الباب الذي يلي دار الروميين، وجعل من في القصر مع ابن زياد يشرفون عليهم فينظرون إليهم وهم يرمونهم بالحجارة ويشتمونهم ويفترون على عبيد الله وعلى أبيه ....

.... وحبس باقي وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلّة عدد من معه من الناس.

تجارب الأمم لمسكويه (ت ٤٢١):

٢ /٤٨ وما بعدها:

وبعث مسلم بن عقيل من يأتيه بالخبر، فأتوه بالخبر على وجهه، وأمر أن ينادى بشعاره: «يا منصور أمت»، وكان قد بايعه ثمانية عشر ألف رجل.

فاجتمعوا إليه، فعقد لجماعة على الأرباع، وقدّم أمامه صاحب ربع كندة، وأقبل نحو القصر، فتحرّز عبيد الله، وغلّق الأبواب، وسار مسلم حتّى أحاط بالقصر، وتداعى الناس، واجتمعوا، حتّى امتلأ المسجد والسوق، وما زالوا يتوثّبون حتّى المساء.

فضاق بعبيد الله أمره، وكان أكبر همّه أن يتمسّك بباب القصر، وليس معه فى القصر إلّا ثلاثون رجلاً من الشرط، وعشرون رجلاً من أشراف الناس، وأهل بيته، وجعل من فى القصر يشرفون فيشتمهم الناس، ويفترون على ابن زياد وأبيه،

ويتّقون أن يرموهم بالحجارة.

فـفتح عـبيد الله البـاب الذي يـلي دار الروميّين ليدخل إليه من يأتيه، ودعا كـثير بن شهاب، فأمره أن يخرج في من أطاعه من مذحج، فيخذّل الناس عن مسلم بن عقيل، ويخوّفهم عقوبة السلطان، وغائلة أمـرهم، وأمر محمد بـن الأشـعث بمـثل ذلك في مـن أطاعه من كندة، أن يـرفع رايـة أمـان لمـن جاءه من الناس، وقال لمثل هؤلاء من أهل الشرف! مثل ذلك.

فخرجوا، وجاءوا بعدّة، فحبسوا، ورجع إليـه الرؤسـاء مـن نـاحية دار الرومـيّين، فدخلوا القصر، فقال لهم عبيد الله: «أشرفوا على القصر فمنّوا أهل الطاعة، وخوّفوا أهل المعصية».

فتكلّم القوم، وقالوا: أيّها الناس! الحـقوا بأهاليكم، ولا تعجّلوا الشرّ، ولا تـتعرّضوا للقتل، فإنّ أمير المؤمنين، قد بعث جـنوده

من الشام، وقد أعطى الله الأمير عهداً لئن تمّمتم على حربكم، ولم تنصرفوا من عشيّتكم، أن يحرم ذرّيتكم العطاء، ويفرّق مقاتلتكم في مغازي الشام على غير طمع، وأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، حتّى لا يبقى له فيكم بقيّة من أهل المعصية، إلّا أذاقها وبال أمرها.

فأخذ الناس ـ كما سمعوا هذا وأشباهه من رؤسائهم ـ يتفرّقون، فكانت المرأة تأتي إلى ابنها، وأخيها، فتقول: انصرف، فإنّ الناس يكفونك، ويجيء الرجل إلى ابنه، وأخيه، فيقول: غداً يأتيك جنود الشام، فما تصنع بالحرب؟ فينصرف به.

فما زال الناس يتفرّقون، حتّى أمسى مسلم بن عقيل، وما معه إلّا ثلاثون رجلاً حين صلّيت المغرب، فصلّى بهم مسلم.

فلمّا رأى أنّه قد أمسى وليس معه إلّا أولئك، خرج متوجّهاً نحو كندة، فما بلغ

الأبواب ومعه منهم عشرة.

ثمّ خرج من الباب، فإذا ليس معه إنسان، والتفت فإذا هو لا يحسّ أحداً يدلّه على الطريق، ولا على منزل! ولا يواسيه بنفسه إن عرض له عدوّ، فبقي متلدّداً في أزقّة الكوفة، لا يدري أين يذهب.

فمشى حتّى انتهى إلى باب امرأة يقال لها: «طوعة»، وأخذ ابن زياد لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً، فقال لأصحابه: أشرفوا، فانظروا ما بالهم؟ فأشرفوا، فلم يروا أحداً.

قال: فانظروا، فلعلّهم تحت الظلال قد كمنوا لكم، فجعلوا يخفضون شعل النار في أيديهم، وينظرون: هل في الظلال أحد؟

فكانت أحياناً تضيء لهم، وأحياناً لا تضيء، كما يريدون، فدلّوا أنصاف الطّنان تشدّ بالحبال، ثمّ تجعل فيها النيران، ثمّ تدلّى إلى الأرض، ففعلوا ذلك من أقصى الظلال

وأدناها، فلم يروا شيئاً، فعلموا أنّ القوم انصرفوا نادمين.

فأعلموا ابن زياد، فأمر بفتح باب السدّة التي في المسجد، ثمّ خرج فصعد المنبر، وخرج أصحابه، فجلسوا حوله قبل العتمة، ونادى: برئت الذمّة من رجل من الشرطة، أو العرفاء، أو المناكب والمقاتلة، صلّى العتمة إلّا في المسجد!

فلم تكن إلّا ساعة حتّى امتلأ المسجد.

فقال الحصين بن تميم: إن شئت، صلّى غيرك، ودخلت القصر، فإنّي لا آمن أن يغتالك بعض أعدائك، فقال: مر حرسي أن يقوموا ورائي، وزد فيهم، فإنّي لست بداخل بعد أن آثرت الخروج.

فصلّى بالناس، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ ابن عقيل، السفيه الجاهل!! قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت الذمّة من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديّته.

ثمّ توعّد الناس، وحضّهم على الطاعة، وخوّفهم الفرقة والفتنة، نادى حصين بن تميم، فأجابه، وكان على شرطه، فقال: ثكلتك أمّك إن ضاع باب سكّة من سكك الكوفة، أو خرج هذا الرجل، ولم تأتني به، فابعث مراصد على أفواه السكك، وأصبح غداً واستبرأ الدور، وجس خلالها حتّى تأتيني بهذا الرجل، ثمّ نزل ابن زياد، ودخل القصر..

البدء والتاريخ للمقدسي (ت ٥٠٧): ٦/ ٨:

فأرسل الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب ليأخذ البيعة من أهلها، فجاء حتّى نزل على هانئ بن عروة واجتمع إليه خلق كثير من الشيعة يبايعون الحسين، وخرج الحسين بأهله وولده، وبلغ الخبر عبيد الله بن زياد عليه اللعنة وهو بالبصرة،

فهمّ إلى الكوفة، فسار إليه الشيعة وقاتلوه حتّى دخل قصره وأغلق بابه.

فلمّا كان عند المساء وتفرّق الناس عن المسلم بن عقيل بعث عبيد الله بن زياد خيلاً في خفية، فقبضوا على مسلم وعلى هانئ، ورفعوا مسلماً بين شرف القصر، وقتل أدنى من العضادة ثم ضربوا عنقه..

المناقب لابن شهرآشوب (ت ٥٨٨)
تحقيق السيّد علي أشرف: ١٠ / ٣١٧:

.. وبلغ ذلك مذحجاً فأقبلت إلى القصر، فأمر ابن زياد شريحاً القاضي أن يخرج إليهم ويعلمهم أنّه حيّ سالم، فخرج إليهم وصرفهم.

ووصل الخبر إلى مسلم بن عقيل في أربعة آلاف كانوا حواليه، فاجتمع إليه ثمانية آلاف ممّن بايعوه، فتحرّز عبيد الله وغلق الأبواب، وسار مسلم حتّى أحاط بالقصر، فبعث

عبيد الله كثير بن شهاب الحارثي ومحمد بن الأشعث الكندي من باب الروميين براية الأمان لمن جاءها من الناس، فرجع الرؤساء إليها، فدخلوا القصر فقال لهم عبيد الله: أشرفوا على الناس، فمنّوا أهل الطاعة، وخوّفوا أهل المعصية، فما زال الناس يتفرّقون حتّى أمسى مسلم وما معه إلّا ثلاثون نفساً.

فلمّا صلّى المغرب ما رأى أحداً، فبقي في أزقة كندة متحيراً! فمشى حتّى أتى إلى باب امرأة يقال لها «طوعة»..

المنتظم لابن الجوزي (ت ٥٩٧): ٥/ ٣٢٦:

.. قال: ائتني به، قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، فضربه على حاجبه فشجّه، ثم حبسه فنادى مسلم أصحابه، فاجتمع إليه من أهل الكوفة أربعة آلاف،

فمضى بهم إلى القصر، فأشرف أصحاب عبيد الله على أهاليهم يعدونهم ويقولون: غداً يأتيكم جنود الشام، فتسلّلوا، فما اختلط الظلام حتّى بقي مسلم وحده، فأوى إلى امرأة..

الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠): ٤ / ٣٠ وما بعدها:

.. وبلغ عمرو بن الحجّاج أنّ هانئا قد قتل فأقبل في مذحج حتّى أحاطوا بالقصر، ونادى: أنا عمرو بن الحجّاج، هذه فرسان مذحج ووجوهها، لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة.

فقال عبيد الله لشريح القاضي، وكان حاضراً: ادخل على صاحبهم فانظر إليه ثمّ اخرج إليهم فأعلمهم أنّه حيّ.

ففعل شريح، فلمّا دخل عليه قال له هانئ: يا للمسلمين! أهلكت عشيرتي؟ أين أهل

الدين؟ أين أهل النصر؟ أيخلّونني وعدوّهم وابن عدوّهم!

وسمع الضجّة، فقال: يا شريح إنّي لأظنّها أصوات مذحج وشيعتي من المسلمين، إنّه إن دخل عليّ عشرة نفر أنقذوني.

فخرج شريح ومعه عين أرسله ابن زياد، قال شريح: لولا مكان العين لأبلغتهم قول هانئ.

فلمّا خرج شريح إليهم قال: قد نظرت إلى صاحبكم وإنّه حيّ لم يقتل.

فقال عمرو وأصحابه: فأمّا إذ لم يقتل فالحمد لله! ثمّ انصرفوا.

وأتى الخبر مسلم بن عقيل فنادى في أصحابه: يا منصور أمت! وكان شعارهم، وكان قد بايعه ثمانية عشر ألفاً وحوله في الدور أربعة آلاف، فاجتمع إليه ناس كثير، فعقد مسلم لعبد الله بن عزير الكنديّ على ربع كندة وقال: سر أمامي، وعقد لمسلم بن

عوسجة الأسدي على ربع مذحج وأسد، وعقد لأبي ثمامة الصائدي على ربع تميم وهمدان، وعقد لعبّاس بن جعدة الجدلي على ربع المدينة، وأقبل نحو القصر.

فلمّا بلغ ابن زياد إقباله تحرّز في القصر وأغلق الباب، وأحاط مسلم بالقصر وامتلأ المسجد والسوق من الناس، وما زالوا يجتمعون حتّى المساء، وضاق بعبيد الله أمره وليس معه في القصر إلّا ثلاثون رجلاً من الشّرط وعشرون رجلاً من الأشراف وأهل بيته ومواليه، وأقبل أشراف! الناس يأتون ابن زياد من قبل الباب الّذي يلي دار الروميّين والناس يسبّون ابن زياد وأباه.

فدعا ابن زياد كثير بن شهاب الحارثي وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيسير ويخذّل الناس عن ابن عقيل ويخوّفهم، وأمر محمّد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع

راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شور الذّهليّ وشبث بن ربعيّ التميميّ وحجّار بن أبجر العجليّ وشمر بن ذي الجوشن الضبابيّ، وترك وجوه الناس عنده استئناساً بهم لقلّة من معه.

وخرج أولئك النفر يخذّلون الناس، وأمر عبيد الله من عنده من الأشراف أن يشرفوا على الناس من القصر فيمنّوا أهل الطاعة ويخوّفوا أهل المعصية، ففعلوا.

فلمّا سمع الناس مقالة أشرافهم أخذوا يتفرّقون حتّى إنّ المرأة تأتي ابنها وأخاها وتقول: انصرف، الناس يكفونك، ويفعل الرجل مثل ذلك، فما زالوا يتفرّقون حتّى بقي ابن عقيل في المسجد في ثلاثين رجلاً.

فلمّا رأى ذلك خرج متوجّهاً نحو أبواب كندة، فلمّا خرج إلى الباب لم يبق معه أحد، فمضى في أزقّة الكوفة لا يدري أين يذهب، فانتهى إلى باب امرأة من كندة يقال لها

«طوعة» ...

وأمّا ابن زياد فلمّا لم يسمع الأصوات قال لأصحابه: انظروا هل ترون منهم أحداً؟ فنظروا فلم يروا أحداً. فنزل إلى المسجد قبيل العتمة وأجلس أصحابه حول المنبر وأمر فنودي: ألا برئت الذمّة من رجل من الشّرط والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلّى العتمة إلّا في المسجد.

فامتلأ المسجد، فصلّى بالناس ثمّ قام فحمد الله ثمّ قال: أمّا بعد فإنّ ابن عقيل السفيه الجاهل!! قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت الذمّة من رجل وجدناه في داره، ومن أتانا به فله ديّته.

وأمرهم بالطاعة ولزومها، وأمر الحصين بن تميم أن يمسك أبواب السكك ثمّ يفتّش الدّور، وكان على الشّرط، وهو من بني تميم.

ودخل ابن زياد وعقد لعمرو بن حريث وجعله على الناس، فلمّا أصبح جلس

للناس.

وقيل: وكان مخرج ابن عقيل بالكوفة لثماني ليال مضين من ذي الحجّة سنة ستّين، وقيل: لتسع مضين منه.

قيل: وكان فيمن خرج معه المختار بن أبي عبيدة وعبد الله بن الحارث بن نوفل، فطلبهما ابن زياد وحبسهما، وكان فيمن قاتل مسلماً محمّد بن الأشعث وشبث بن ربعيّ التميميّ والقعقاع بن شور، وجعل شبث يقول: انتظروا بهم الليل يتفرّقوا، فقال له القعقاع: إنّك قد سددت عليهم وجه مهربهم فافرج لهم يتفرّقوا...

تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤): ٢١٨ وما بعدها:

قال علماء السير: ولما قدم مسلم الكوفة نزل على رجل يقال له «عوسجة» ودبّ إليه أهل الكوفة فبايعه منهم إثني عشر ألفاً،

وقيل : ثمانية عشر ألفاً ، فكتب إلى الحسين يخبره بذلك ، فقام رجل ممّن يهوى يزيد بن معاوية ، فدخل على النعمان بن بشير ، وكان والياً على الكوفة ، فقال له : إنّك ضعيف مستضعف قد فسدت البلاد ، وأخبره بقصّة مسلم!

فقال له النعمان : والله لئن أكون ضعيفاً في طاعة الله أحبّ إليّ من أن أكون قويّاً في معصية الله والله لا هتكت ستراً ستره الله!

فكتب إلى يزيد بقوله ، وكان يزيد أبغض الناس في عبيد الله بن زياد ، وإنما احتاج إليه .

فكتب إليه إني قد ولّيتك الكوفة مع البصرة ، وإنّ الحسين قد سار إلى الكوفة فاحترز منه ، وإنّ مسلم بن عقيل بالكوفة فاقتله .

فأقبل ابن زياد في وجوه أهل البصرة حتّى قدم الكوفة متلثّماً ، فما مرّ على مجلس من مجالسهم فيسلّم إلّا قالوا : وعليك السلام

يا بن بنت رسول الله، وهم يظنّون أنّه الحسين عليه السلام، فلم يزل كذلك حتّى نزل قصر الإمارة...

... فقال: آتيني به، فقال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه، فضربه ابن زياد بقضيب فشجّه، ومال هاني إلى سيف شرطي ليأخذ سيفه فدفع عنه، فقال ابن زياد: قد أحلّ الله دمك!

واجتمعت مذحج على باب القصر وصاحوا، فقال ابن زياد للقاضي شريح: اخرج إليهم وقل لهم: إنّما حبسه ليسأله، فقال له هاني: يا شريح اتق الله، فإنّه قاتلي، فخرج إليهم شريح فقال لهم ذلك، فتفرّقوا.

وبلغ مسلم بن عقيل الخبر، فخرج من دار هاني ونادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فعبأهم وسار إلى القصر.

وكان عند ابن زياد وجوه أهل الكوفة،

فقال لهم قوموا ففرّقوا عشايركم عن مسلم، وإلا ضربت أعناقكم.

فصعدوا على القصر وجعلوا يكلّمونهم، فتفرّق من كان مع مسلم، وتسلّلوا عنه، ودهمه الليل، وقد بقي وحده، فجاء إلى باب فجلس عليه، فجاءته امرأة أو خرجت إليه فقال لها: يا أمة الله اسقيني ماءا فسقته، وقالت: من أنت؟ فقال: أنا مسلم بن عقيل، فقالت: ادخل فدخل.

وكانت المرأة أم مولى لمحمد بن الأشعث فعرفه ابنها فانطلق فأخبر ابن الأشعث، فأخبر ابن زياد، فبعث إليه عمرو بن حريث المخزومي، وكان على شرطته، ومعه محمد بن الأشعث، فأحاطوا بالدار فخرج إليهم مسلم يقاتل فآمنه ابن الأشعث، وجاء به إلى ابن زياد، فأمر به، فاصعد إلى أعلى القصر، فضربت عنقه وألقى رأسه إلى الناس، وصلبت جثته بالكناسة، ثم فعل

بهاني بن عروة كذلك فقال الشاعر :

فإن كنت لا تدرين بالموت فانظري
إلى هانئ بالسوق وابن عقيل
أصابهما ريب المنون فأصبحا
أحاديث من يسعى بكلّ سبيل

وقال آخر في ممالاة ابن الأشعث على مسلم بن عقيل :

وتركت عمّك لم تقاتل دونه
فشلاً ولولا أنت كان منيعا
وقتلت وافد حزب آل محمد
وسلبت أسيافاً له ودروعا

وكان ابن الأشعث قد سلبه قبل أن يأتي به ابن زياد . وكان قتل مسلم لثمان مضين من ذي الحجّة بعد رحيل الحسين من مكة بيوم وقيل : يوم رحيله . ولم يعلم الحسين بما جرى في الكوفة .

وبعث ابن زياد برأس مسلم بن عقيل إلى دمشق إلى يزيد، وهو أوّل رأس حمل من رؤوس بني هاشم وجثّة مسلم أوّل جثّة صلبت منهم.

كان مخرج الحسين من المدينة إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستّين، ودخل مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة شهر شعبان ورمضان وشوال وذي القعدة، وخرج منها لثمان ليال مضين من ذي الحجّة يوم الثلاثاء، وكان يوم التروية في اليوم الذي خرج فيه مسلم بن عقيل بالكوفة.

اللهوف للسيد ابن طاووس (ت ٦٦٤): ٤٧:

.. قال الراوي: وبلغ عمرو بن الحجاج أنّ هانياً قد قتل، وكانت رويحة بنت عمرو هذا تحت هاني بن عروة، فأقبل عمرو في مذحج كافة حتّى أحاط بالقصر، ونادى:

أنا عمرو بن الحجاج وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة، وقد بلغنا أنّ صاحبنا هانياً قد قتل.

فعلم عبيد الله باجتماعهم وكلامهم، فأمر شريحاً القاضي أن يدخل على هاني فيشاهده ويخبر قومه بسلامته من القتل، ففعل ذلك وأخبرهم، فرضوا بقوله وانصرفوا.

قال: وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل، فخرج بمن بايعه إلى حرب عبيد الله بن زياد، فتحصّن منه بقصر دار الإمارة واقتتل أصحابه وأصحاب المسلم، وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرّفون منه، ويحذّرون أصحاب مسلم ويتوعّدونهم بأجناد الشام، فلم يزالوا كذلك حتّى جاء الليل فجعل أصحاب مسلم يتفرّقون عنه ويقول بعضهم لبعض: ما نصنع بتعجيل الفتنة وينبغي أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء

القوم حتّى يصلح الله ذات بينهم، فلم يبق معه سوى عشرة أنفس فدخل مسلم المسجد ليصلّي المغرب

تاريخ مختصر الدول لابن العبرى (ت ٦٨٥): ١١٠:

فأرسل الحسين مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة ليأخذ بيعة أهلها، فجاء واجتمع إليه خلق كثير من الشيعة يبايعون الحسين.

وبلغ الخبر عبيد الله بن زياد وهو بالبصرة فتمّ إلى الكوفة. فسار إليه الشيعة وقاتلوه حتّى دخل القصر وأغلق بابه.

فلمّا كان عند المساء وتفرّق الناس عن مسلم بعث ابن زياد خيلاً في خفية، فقبضوا عليه ورفعوه بين شرف القصر، ثم ضربوا عنقه..

البداية والنهاية لابن كثير (ت ٧٧٤): ٦ / ٢٣١:

.. وكان سبب قتل الحسين أنّه كتب إليه أهل العراق يطلبون منه أن يقدم إليهم ليبايعوه بالخلافة، وكثر تواتر الكتب عليه من العامّة، ومن ابن عمّه مسلّم بن عقيل.

فلمّا ظهر على ذلك عبيد الله بن زياد نائب العراق ليزيد بن معاوية، فبعث إلى مسلّم بن عقيل يضرب عنقه، ورماه من القصر إلى العامّة، فتفرّق ملؤهم وتبددت كلمتهم..

البداية والنهاية: ٨ / ١٥٣ وما بعدها:

ثم كتب يزيد إلى ابن زياد: إذا قدمت الكوفة فاطلب مسلم بن عقيل، فإن قدرت عليه فاقتله أو انفه.

وبعث الكتاب مع العهد مع مسلم بن عمرو الباهلي، فسار ابن زياد من البصرة إلى...

فدخل عبيد الله إلى قصر الإمارة وأمر منادياً فنادى: إنّ الصلاة جامعة. فاجتمع الناس فخرج إليهم فحمد الله وأثنى عليه. ثم قال:

أمّا بعد. فإن أمير المؤمنين قد ولّاني أمركم وثغركم وفيئكم. وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم. والإحسان إلى سامعكم ومطيعكم. والشدّة على مريبكم وعاصيكم. وإنما أنا ممتثل فيكم أمره ومنفذ عهده. ثم نزل وأمر العرفاء أن يكتبوا من عندهم من الزورية! وأهل الريب والخلاف والشقاق. وأيما عريف لم يطلعنا على ذلك صلب أو نفي وأسقطت عرافته من الديوان...

فجاء الأمراء إلى هانئ بن عروة فلم يزالوا به حتّى أدخلوه على عبيد الله بن زياد..

ثم نقل دخول هاني على ابن زياد ما دار بينهما من حوار إلى أن قال:

ثم أمر به فحبسه في جانب الدار وجاء قومه من بنى مذحج مع عمرو بن الحجاج فوقفوا على باب القصر يظنون أنه قد قتل، فسمع عبيد الله لهم جلبة، فقال شريح القاضي وهو عنده: أخرج إليهم فقل لهم: إنّ الأمير لم يحبسه إلّا ليسأله عن مسلم بن عقيل، فقال لهم: إنّ صاحبكم حيّ، وقد ضربه سلطاننا ضرباً لم يبلغ نفسه، فانصرفوا ولا تحلّوا بأنفسكم ولا بصاحبكم، فتفرّقوا إلى منازلهم.

وسمع مسلم بن عقيل الخبر فركب ونادى بشعاره «يا منصور أمت» فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، وكان معه المختار بن أبي عبيد، ومعه راية خضراء، وعبد الله بن نوفل بن الحارث براية حمراء، فرتبهم ميمنة وميسرة وسار هو في القلب إلى عبيد الله، وهو يخطب الناس في أمر هانئ ويحذّرهم من الاختلاف، وأشراف الناس وأمراؤهم تحت

متبره، فبينما هو كذلك، إذ جاءت النظارة يقولون: جاء مسلم بن عقيل، فبادر عبيد الله فدخل القصر ومن معه وأغلقوا عليهم الباب.

فلمّا انتهى مسلم إلى باب القصر وقف بجيشه هناك، فأشرف أمراء القبائل الذين عند عبيد الله في القصر، فأشاروا إلى قومهم الذين مع مسلم بالانصراف، وتهدّدوهم وتوعّدوهم، وأخرج عبيد الله بعض الأمراء وأمرهم أن يركبوا في الكوفة يخذلون الناس عن مسلم بن عقيل، ففعلوا ذلك، فجعلت المرأة تجيء إلى ابنها وأخيها وتقول له: ارجع إلى البيت، الناس يكفونك ويقول الرجل لابنه وأخيه: كأنّك غدا بجنود الشام قد أقبلت فما ذا تصنع معهم؟

فتخاذل الناس وقصّروا وتصرّموا وانصرفوا عن مسلم بن عقيل حتّى لم يبق إلّا في خمسمائة نفس، ثم تقالّوا حتّى بقي في

ثلاثمائة ثم تقالّوا حتّى بقي معه ثلاثون رجلاً، فصلّى بهم المغرب وقصد أبواب كندة فخرج منها في عشرة، ثم انصرفوا عنه فبقي وحده ليس معه من يدلّه على الطريق، ولا من يؤانسه بنفسه، ولا من يأويه إلى منزله، فذهب على وجهه واختلط الظلام وهو وحده يتردّد في الطريق لا يدري أين يذهب، فأتى باباً فنزل عنده وطرقه فخرجت منه امرأة يقال لها «طوعة» .....

قال أبو مخنف عن الصقعب بن زهير عن عون بن جحيفة قال:

كان مخرج مسلم بن عقيل بالكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجّة، وقتل يوم الأربعاء لتسع مضين من ذي الحجّة، وذلك يوم عرفة سنة ستّين، وكان ذلك بعد مخرج الحسين من مكة قاصداً أرض العراق بيوم واحد، وكان خروج الحسين من المدينة

إلى مكة يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستّين، ودخل مكة ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان، فأقام بمكة بقية شعبان ورمضان وشوال والقعدة، وخرج من مكة لثمان مضين من ذي الحجّة يوم الثلاثاء يوم التروية .....

فاتفق خروجه من مكة أيام التروية قبل مقتل مسلم بيوم واحد فإنّ مسلماً قتل يوم عرفة.

إمتاع الأسماع للمقريزي (ت ٨٤٥): ٣٦٣/٥:

ثم ركب من البصرة ودخل الكوفة وقد بايع مسلم بن عقيل ثمانية عشر ألفاً، فركب بهم وحاصر عبيد الله فلم يثبتوا وتفرّقوا عنه حتّى فرّ، فأخذ بعد خطوب وحروب وقتل.

الإصابة لابن حجر (ت ٨٥٢) ٢ / ٧٠:

فتلكأ فاستدناه، فأدنوه منه، فضربه بالقضيب وأمر بحبسه. فبلغ الخبر قومه، فاجتمعوا على باب القصر، فسمع عبيد الله الجلبة، فقال لشريح القاضي: اخرج إليهم فأعلمهم أنّي ما حبسته إلّا لأستخبره عن خبر مسلم، ولا بأس عليه منّي.

فبلغهم ذلك فتفرّقوا، ونادى مسلم بن عقيل لمّا بلغه الخبر بشعاره، فاجتمع عليه أربعون ألفاً من أهل الكوفة، فركب وبعث عبيد الله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فأمر كلّ واحد منهم أن يشرف على عشيرته فيردّهم، فكلّموهم فجعلوا يتسلّلون، فأمسى مسلم وليس معه إلّا عدد قليل منهم.

فلمّا اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً، فلمّا بقي وحده تردّد في الطرق بالليل، فأتى باب امرأة...

الفهرست

معركة القصر

المدخل

أولاً: اتّهام النصّ التاريخي ٢٨
الحالة الأولى: ٢٨
الحالة الثانية: ٢٩
الحالة الثالثة: ٢٩
الحالة الرابعة: ٢٩
ثانياً: ارتكاز المؤرّخ على بنائه العقلي ٢٩
ثالثاً: أخذ ما وافق الشروط المقرّرة ٣١
رابعاً: طرح ما خالف الأصول الاعتقادية ٣٢
خامساً: أن لا يخالف التاريخ حديث أهل البيت عليهم السلام ٣٣
سادساً: أن لا يخالف المسلّمات القطعية ٣٤
سابعاً: أن لا يكون دفاعاً عن الظالم ٣٦

ثامناً: أن لا يخالف إجماع الشيعة ٣٧
تاسعاً: استكشاف بعض الأحداث من الوقائع ٤٠
المقدّمة الأولى: ٤٠
المقدّمة الثانية: ٤٠
المقدّمة الثالثة: ٤٠
المقدّمة الرابعة: ٤٠
النتيجة: ٤١
عاشراً: تفصيل المختصر ٤٢
الحادي عشر: فكّ رموز كلام أهل البيت عليهم السلام ٤٢
الثاني عشر: ملاحظة تفرّق الحدث ٤٤
الثالث عشر: الاستناد إلى غير المصادر العربية ٤٥
النتيجة ٤٩

المقدّمة

دواعي النداء بالشعار

الداعي الأوّل: اعتقال هاني وغيره ٥٤
الداعي الثاني: موقف مذحج ٥٧
الداعي الثالث: الدفاع عن النفس ٦٢
مسلم عليه السلام هو الطلبة الأولى لابن زياد ٦٢

الهجوم على مسلم بن عقيل عليه السلام ٦٥
رواية شاذّة ٦٦
الداعي الرابع: اقتحام القصر لاستنقاذ هاني ٦٨
أوّلاً: استنتاج القطعي من الظنّي ٧٠
ثانياً: عدم انحصار النتيجة بخيار ٧٠
ثالثاً: خضوع مذحج ٧٢
رابعاً: قلّة المدافعين عن القصر ٧٣
خامساً: معرفة مسلم عليه السلام بالقصر ٧٤
المناقشة الأولى: لزوم التالي الفاسد ٧٦
المناقشة الثالثة: معرفة من كان معه ٧٧
الداعي الخامس: محاصرة القصر حتّى تحقيق النصر ٧٩
المناقشة الأولى: الفرض مبني على تخطئة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ٨٠
المناقشة الثانية: ٨٢
المناقشة الثالثة: ٨٢
المناقشة الرابعة: ٨٣
الداعي السادس: اقتحام القصر لإسقاط الحكم ٨٤
الداعي السابع: كشف النوايا وفضح المبايعين ٨٦
الأمر الأوّل: كشف النوايا ٨٧
الأمر الثاني: كشف العامل الغيبي ٨٩

يوم الحصار

القول الأوّل: الثامن من ذي الحجّة ٩١
القول الثاني: التاسع من ذي الحجّة ٩٣
القول الثالث: الثاني من ذي الحجّة ٩٤
القول الرابع: السابع من ذي الحجّة ٩٥
النتيجة ٩٨

جيش العسكرين

قصة العرض التاريخي ١٠١
ظليمة المولى الغريب ١٠٨
أولاً: خبرة المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ١٠٩
ثانياً: حضور المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ١١٠
ثالثاً: معرفة المولى بالمجتمع الكوفي ١١٠
عسكر ابن زياد ١١١
الشريحة الأولى: قوات السلطة والشرطة والحرس ١١٢
الشرطة: ١١٧
الحرس: ١٢٠
النتيجة: ١٢١

الشريحة الثانية: لم يكاتبوا ولم يبايعوا ١٢٢
الشريحة الثالثة: كاتبوا ولم يبايعوا ١٢٥
الكتلة الأولى: المعروفون بالأسماء ١٢٦
الكتلة الثانية: المعروفون إجمالاً ١٢٧
لفتة: ١٣٠
الشريحة الرابعة: اتّخذت الموقف المعادي قبل النداء
..... ١٣٠
الشريحة الخامسة: بايعوا ولم يلبوا النداء ١٣٣
الشريحة السادسة: لبّوا النداء ولم يثبتوا ١٣٤
النتيجة: ١٣٥
النتيجة الأولى: ١٣٥
النتيجة الثانية: ١٣٦
النتيجة الثالثة: ١٤٠
تذكير مهم ١٤٠
أولاً: ١٤١
ثانياً: ١٤١
ثالثاً: ١٤١
قطعات عسكر ابن زياد ١٤٣
القطيع الأوّل: عسكر مذحج بقيادة عمرو بن
الحجاج ١٤٤

القطيع الثاني: عسكر كثير بن شهاب ١٤٨
القطيع الثالث: عسكر القعقاع الهذلي ١٤٩
القطيع الرابع: عسكر حجّار بن أبجر العجلي... ١٥١
القطيع الخامس: عسكر محمد بن الأشعث.... ١٥١
القطيع السادس: عسكر الحرس والشرطة ١٥٣
القطيع السابع: عسكر شمر بن ذي الجوشن ... ١٥٤
القطيع الثامن: عسكر الوجوه والأشراف!..... ١٥٥
القطيع التاسع: عسكر شبث بن ربعي ١٥٦
القطيع العاشر: عسكر عمرو بن حريث..... ١٥٨
الأعداد باختصار ١٦٦
الاجتماع التدريجي ١٦٨
السبب الأوّل:..... ١٦٨
السبب الثاني:..... ١٦٨
ثمانية عشر ألفاً ١٦٩
الملاحظة الأولى: التخمين ١٦٩
الملاحظة الثانية: اجتماع العدد ١٧٠
الملاحظة الثالثة: انتشار جند ابن زياد ١٧١
الملاحظة الرابعة: تفرّقهم ١٧٢
الملاحظة الخامسة: عدم ثبات المبايعين .. ١٧٤
الملاحظة السادسة: اشتهار غيره من

الأعداد ١٧٥
الملاحظة السابعة: المناقشة في ما يربو على هذا العدد ١٧٦
الملاحظة الثامنة: يبق العدد أقلّية ١٧٦
النتيجة: ١٧٧
المجاميع التي لبّت النداء ١٧٨
المجموعة الأولى: الذين لبّوا النداء ولم يثبتوا. ١٧٨
المجموعة الثانية: الذين لبّوا النداء وثبتوا ١٧٨
رايات المولى مسلم بن عقيل عليه السلام ١٨٠
القسم الأول: المصادر التي لم تذكر التقسيم... ١٨١
القسم الثاني: المصادر الذي ذكر التقسيم وفق التشكيلة الاجتماعية (التقسيم المدني) ١٨٤
القسم الثالث: ذكر التقسيم العسكري ١٨٥
الشكل الأوّل: ١٨٦
الشكل الثاني: ١٨٦
تقسيم غريب: ١٨٧
النتيجة: ١٨٨
تعبئة العسكر ١٩٠
النوع الأوّل: تعبئة الدينوري ١٩٠
النوع الثاني: تعبئة الطبري ١٩٢

ميدان القتال

القسم الأوّل: خروج دون مواجهة ١٩٥
القسم الثاني: تراشق واحتكاك ١٩٦
القسم الثالث: وقوع القتال ١٩٦
الرحبة ١٩٧
أطراف القصر ١٩٧
المسجد الأعظم ١٩٨
الموضع الذي كان فيه مسلمﷺ ١٩٩
جغرافية الأحداث ٢٠٠
معنى الغلوة ورمية السهم: ٢٠٢
عودة إلى رواية الطبري: ٢٠٣

وقت التجمّع والقتال

تخذيل الناس عن مسلم بن عقيلﷺ

لفتة مهمّة ٢١٢

متى بدأ التخذيل؟

الفترة الأولى: طويلة الأمد ٢١٥

الفترة الثانية: الآنية ٢١٩
تخذيل يزيد ـ لعنه الله ـ : ٢٢٠
تخذيل ابن زياد ـ لعنه الله ـ : ٢٢٣
المستوى الأوّل: ممارساته الشخصية ٢٢٤
الموقع الأول: أوّل ما دخل الكوفة: ٢٢٥
المعنى الأوّل: ٢٢٩
المعنى الثاني: ٢٢٩
المعنى الثالث: ٢٣٠
المعنى الرابع: ٢٣٠
الموقع الثاني: أثناء الحصار: ٢٣١

المخذّلون

وسائل التخذيل وموادّه

اتّحاد خطاب التخذيل ٢٣٦
قلب المفاهيم وتبديل القيم ٢٣٧
التنصّل عن المسؤولية ٢٤١
استعراض القوّة العسكرية ٢٤١
توظيف ما يسمّون بالأشراف! ٢٤٧

توظيف أفراد الأسر ٢٤٨
التخويف بالحرب ٢٥٣
الجفاء والإذلال ٢٥٥
التهديد بيزيد وجنوده ٢٥٦
التهديد بجيش الشام ٢٥٨
عقوبة السلطان ٢٦٠
التهديد بالقتل ٢٦٧
قتل كبار القوم والأشراف ٢٦٨
الإبادة الجماعية والهلاك والقهر ٢٧٠
منع العطاء والحرمان ٢٧٢
تفريق المقاتلة في الثغور ٢٧٤
ومغازي الشام ٢٧٤
محو العرافات ٢٧٥
موقف مذحج ٢٧٦
الوعد والترغيب ٢٨٠
الطمع ٢٨١

المتأثرون بالتخذيل

القسم الأوّل: العوام ٢٨٣

القسم الثاني: الشيعة ٢٨٤
الكوكبة الأولى: ٢٨٥
الكوكبة الثانية: ٢٨٥
الكوكبة الثالثة: الخواصّ ٢٨٦
الكوكبة الرابعة: ٢٨٧
النموذج الأوّل: ٢٨٧
النموذج الثاني: ٢٩٢
الكوكبة الخامسة: ٢٩٥

آثار التخذيل

الفتور ٣٠١
التفرّق ٣٠٢
الانصراف ٣٠٣

المعركة!!

المشهد الأوّل: تفرّق الجمع دون قتال ٣٠٥
المحصّل: ٣١٩
المشهد الثاني: وقوع القتال الشديد ٣٢١
ملاحظة في الخبر ٣٢٣

العائق الأوّل: ارتفاع الجدران ٣٢٤
العائق الثاني: أصوات العسكر وتجهيزاته .. ٣٢٥
العائق الثالث: أصوات الناس وتحركاتهم .. ٣٢٥
العائق الرابع: ضخامة العدد ٣٢٧
عودة إلى النصوص ٣٢٨
مناقشة الخبر ٣٣٠
النتيجة: ٣٣٢
المشهد الثالث: مناوشات السور دفاعاً عن القصر.... ٣٣٣
النتيجة: ٣٣٥
المشهد الرابع: قتال مسلم ﷺ حتّى الأسر..... ٣٣٧
النتيجة: ٣٣٨
المشهد الخامس: مشهد خاصّ ٣٣٩

نهاية الحصار

موقف ابن زياد أثناء الحصار

المشهد الأوّل: موقفه قبل الحصار..... ٣٥٩
المشهد الثاني: موقفه أثناء الحصار..... ٣٦٢
المشهد الثالث: بعد انتهاء الحصار مباشرة..... ٣٦٤

المشهد الرابع: بعد أن اجتمع الناس عنده ٣٦٧

عوامل الخذلان

أوّلاً: حقيقة البيعة ٣٧٣
ثانياً: دوافع البيعة ٣٧٥
الدافع الأوّل: الانتهازيون وطلّاب العيش الرغيد ٣٧٩
الدافع الثاني: طلّاب الحقّ ٣٨١
مقارنة بين الفريقين ٣٨٤
الدافع الثالث: الأكثرية التائهة ٣٨٧
الدافع الرابع: طلّاب العافية والدعة ٣٩٠
الدافع الخامس: البعد القبلي ٣٩١
الدافع السادس: العداوة مع الأمويين ٣٩٢
الدافع السابع: حبّ الدنيا ٣٩٥
الحصيلة ٣٩٦
ثالثاً: الشيعة أقلّية في المجتمع الكوفي ٤٠٢
رابعاً: الانطلاق المبكّر لحملات التخذيل والتهديد .. ٤٠٢
خامساً: وجود جيش بعدّة وعدد عند الأعداء ٤٠٣
سادساً: هبوط الظلام ودخول الليل ٤٠٤

سابعاً: وجود العساكر داخل المدينة ٤٠٦

موادّ البحث

الطبقات الكبرى لابن سعد (ت ٢٣٠): ٤٠٨
الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت ٢٧٦): ٤٠٨
الإمامة والسياسة: ٤١٠
أنساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩): ٤١٠
أنساب الأشراف: ٤١٢
الأخبارالطوال للدينوري (ت ٢٨٢): ٤١٤
تاريخ اليعقوبي (ت ٢٩٢): ٤١٩
تاريخ الطبري (ت ٣١٠): ٤٢٠
الفتوح لابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤): ٤٣٦
مروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٦): ٤٤٢
مقاتل الطالبيين لأبي الفرج (ت ٣٥٦): ٤٤٥
الإرشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣): ٤٥٠
الإرشاد الشيخ المفيد: ٤٥١
تجارب الأمم لمسكويه (ت ٤٢١): ٤٥٤
البدء والتاريخ للمقدسي (ت ٥٠٧): ٤٥٩
المناقب لابن شهرآشوب (ت ٥٨٨) ٤٦٠